

دراسات
إسلامية

قصة الإسلام الصليبي

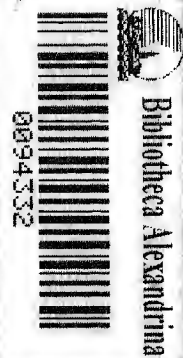
(قسم الرجال)

الجزء الأول

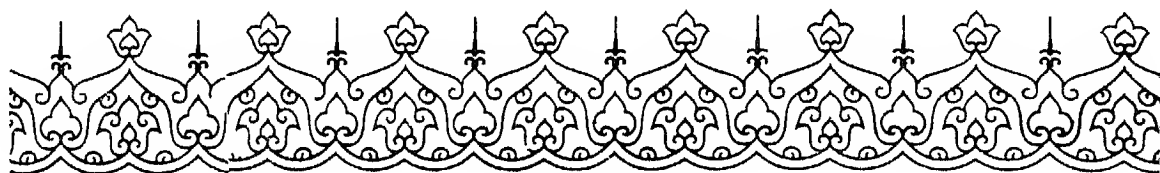
دكتور
حسن حبشي



الهيئة المصرية العامة للكتاب



دراسات إسلامية



قصة إسلام الصحابة (قسم الرجال)

الجزء الأول

دكتور
حسن حبشي



المكتبة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٧

إهداء

إلى أعزائي :

نهي أسامة عبدالنعم عمارة .
ومحمود ونرمين أيمن من مبشي .
ولينى وأحمد محمد أحمد علي .

أهدي إليكم هذه الصفحات من سير رجال
وفاء وشباب صنعوا التاريخ كأصمه ما يكون التاريخ
على مرّ القرون .

كان دينهم الإسلام ، وسبيلهم الحق . ورابطتهم
الحب ، وشعارهم العدل ، فكانوا مؤسسي دول ،
وبناة حضارة محمد بن علي الحامدون الشاكرون .
وأرجو أن يكون لكم - أنتم أمفادى الغالين
ولكم مثلكم - في هؤلاء قدوة ، ففي الاقتداء بهم هداية .

محمد
من مبشي

٢٤ رمضان ١٤١٧

٣١ يناير ١٩٩٧

مقدمه

باسم الله العلى جل جلاله

وبعد فهذه صفحات من تاريخ بعض الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - ، إذا تصفحها القارئ أدرك من أول وهلة جديتهم الصادقة فى بناء أعظم دولة شهدها التاريخ ، وهى دولة قامت على العدل ، والحب ، والاخاء ، والمعاشة الكريمة ، والرحمة ، وكل المعانى السامية التى يستظل بظلها كل ذى دين سماوى ، ولم يحرم من رعايتها السوية غيرهم ما عملوا الخير .

ولقد ساهم كل واحد من هؤلاء الصحابة فى إقامة هذه الدولة : فكربا وماديا دون من أو تفاخر ، ذلك لأن هؤلاء الصحابة كلهم تربوا فى مدرسة الرسول العظيم ، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ، واهتدوا بهديه ، وتمثلوا بخلقه ، وعرفوا رسالته حق المعرفة ، وعملوا بعمله ، فكان عملهم للدنيا والمجتمع كأنهم يعيشون أبدا ، وكان عملهم للآخرة كأنهم يموتون غدا ، وأدركوا سمو قوله عليه الصلاة والسلام « إنما أنا رحمة مهداة » .

كان هذا ما لمستته فى مطالعاتى لسير هؤلاء الصحابة اظننا الله واياهم برحمته يوم لا ظل الا ظله ، وآثابهم مثوبة من آمنوا واتقوا حق تقاته .

وكنت كلما ازددت نظرا فى سيرهم ازددت إيمانا بأنهم بناء مجتمع : دعائمه الحق ، وأركانه العدل ، وسبيله الرحمة ، وشرعته الحب ، فنعم بهذا كله جميع من عاشوا فى مجتمعهم ، أيا كان لونهم ودينهم وعقيدتهم ومكانتهم ... وكان ذلك منتهى المثالية .

وان هؤلاء الصحابة لكثير لأنهم كانوا يؤلفون هذا المجتمع يومذاك ، ومن ثم فما من شاردة أو واردة فيه إلا كان لها صداها عندهم ، وقد آلت بها كتب السير والتراجم والمغازي والملاحم ، فجمعت العزم وتوكلت على من هو في عون المتوكلين إذا صدقت عزائمهم وحسنت نواياهم ، ورأيت أن أولف بين شتات هذه الأخبار المبعثرة في ثنايا الكتب ، فكان من ذلك كله ما هو الآن بين يدي القارئ ، مما اطمأنت إليه نفسي .

وقد آثرت في عرض هذه السير أن يكون أصحابها من رواة الأحاديث التي صحت وحسنت .

ولقد كانت هذه الصفحات في صورتها الأولى بعضا مما ألقيته من إذاعة مكة المكرمة ، على مدى سنوات أربع لم تنقطع فيها يوما واحدا ، ثم ها هي ذا تعاد مرة بعد أخرى ، وكان ذلك بإشارة من أخى في الله وصديقي الأستاذ « سليمان عبيد » مدير إذاعة مكة المكرمة وجدة .

ولما أخذت في إعداد هذه السير للطبع عدت إلى ما كنت أذعته فزدت أشياء وحذفت أشياء ، ورجعت مرة أخرى إلى المصادر والمراجع حتى أتجنب كل ما قد يأخذه عليها البعض ، وحتى خرجت على هذه الصورة التي أردت أن يكون فيها النفع ، والحمد لله أولا وأخيرا .

٣٤ ش عمر بن الخطاب

المهندسين - الجيزة

١٦ مارس ١٩٩٧ م .

دكتور حسن حبشي

عمرو بن ثابت بن وقش دخل الجنة ولم يصل

نحن الآن مع رجل أسلم أهلوه جميعهم ، وكان الكثيرون منهم غرة في جبين الإسلام ، وأعلاما نيرة في تاريخه ، عرفهم جميع أهل المدينة مسلمين إلا هو فلم يسلم ، أو على الأقل لم يعلن إسلامه ، ولم يكن الظن به أبدا أنه في عداد المؤمنين ، لكنه مات صادق الإيمان ، مصدقا للنبي عليه الصلاة والسلام ، ولم يعلم الناس في حياته أنه من أصدق القوم إيمانا ، ولم يعرفوا ذلك إلا وهو يجود بأنفاسه شهيدا في ساحة أحد ، ذلك هو :

عمرو بن ثابت بن وقش بن عبد الأشهل ، الأوسى
الأنصارى •

كان أخوه سلمة بدرية ، واستشهد هو الآخر في يوم أحد ، وكذلك أبوهما ثابت وعمهما رفاعة • • وجميعهم من أسرة واحدة قدمت الشهيد تلو الشهيد في سبيل إعلاء كلمة الحق ودحر المشركين ، وقتال المنافقين • • فأكرم بها من أسرة اعتزت بالإسلام واعتز بها الإسلام ، وأكرم بقومه من قوم تفخر بهم الأيام ، وكانوا عقدا غاليا تحلّى به جيد الزمان •

وتسأل هل من مزيد عن هذه الأسرة المسلمة ؟ فيقول لك التاريخ : « أجل عندي المزيد لمن أراد الاستزادة من الخير ، فهذا ابن عمه عبّاد بن بشر بن وقش الذي جاهد الجهاد الطيب الذي قتالت عنه عائشة أم المؤمنين إن النبي عليه

الصلاة والسلام سمع صوته فقال : « اللّهم ارحم عبادا » ،
 ويزيد التاريخ فى التعريف بعباد بن بشر هذا فيقول إنه
 الرجل الذى أسلم على يد مصعب بن عمير الذى كان أول
 داعية فى الإسلام اختاره الهادى صلوات الله وسلامه عليه ،
 فكان شيخ الدعاة فى التاريخ وإمامهم وزعيمهم على الإطلاق ،
 وكان إسلام عباد قبل إسلام سعد بن معاذ .

لكن هل يغنى الرجل – أيا كان هذا الرجل – أن يكون
 ذوو قرباه من أشد الناس إسلاما والتصاقا به وخدمة للدين ،
 ثم لا يكون هو مسلما ؟

كلا . . فإنهم لن يغنوا عنه من الله شيئا ، يوم يجمع الله
 الناس إليه (يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون
 إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم)



كان عمرو بن ثابت بن وقش يأبى الإسلام ، أو هكذا
 كان الناس يظنونهم فيقولون عنه سرا وجهرا قولاً رجماً
 فما يبالي بما يقولون ، ولا يخرج عن الصمت ، وللناس أن
 يقولوا عنه ما يقولون وما يشاءون ، وأن يرموه بالكفر فإنه
 كان فى ظلّهم بدعا فى أسرته فلم يجهر قطّ بالشهادتين ،
 ولم يستمع إلى من جاؤوا إليه يرغبونه فيه ، ويحاولون
 إرشاده وهدايته ، فطالما حدثه قومه عن هذا الدين وراحوا
 يحببونه إليه ، ولكنه كان يشيح بوجهه عنهم وينصرف
 ولا يجيبهم بلا أو نعم .

غير أن الله – جل جلاله – يهدي من يشاء وهو أعلم
 بالمهتدين ، وصدق الحق فهو أدرى بالمهتدين وبمن ضل عن
 سبيله ، وهو الذى يعلم ما تخفى الصدور .

ويعجب الناس أن يكون هذا شأن عمرو بن ثابت ، . .
ويتساءلون : أيكون هذا حال من خاله حذيفة بن اليمان ،
وهو من هو في الإسلام ؟



وأخذ عدد المسلمين يتزايد في المدينة يوماً بعد يوم ،
وتتسع دائرتهم ، ويشتد ساعدهم ، وما من ساعة تمر إلا
ويدخل هذا الدين كثيرون ، غير عمرو بن ثابت بن وقش فقد
ظل كما هو لا يحضر مجالس الرسول ، ولا يعلن أمام أحد
بأنه مسلم ، ولا يشهد له أحد بما يشير من قريب أو بعيد إلى
ما يدل على اعترافه بالدين ودخوله فيه .

وراحت السرايا تخرج واحدة تلو الأخرى وهو يرقبها
صامتاً ، لا يتحدث بشيء مما يختلج في صدره .

ثم يأتي يوم بدر ويشارك فيه من الأنصار من يشارك
طواعية ، ويسهم فيه من بيت وقش وبنى عبد الأشهل من
يسهم ، ويخرجون مع إمام المتقين والمرسل من الله رحمة
للعالمين ، ولكن عمرا لا يعرفون عنه شيئاً ، ولا يعنيه أن
يبحثوا عنه ، فالموقف يومذاك أجل من أن يستحوذ على
الأذهان شيء غير بدر .

وتركه الناس وشأنه فإنه لا إكراه في الدين بعد أن تبين
الرشد من الغي ، ولا مكان لمثل هذا الرجل في ساحة بدر فما
كان للمسلمين أن يستعينوا في قتال المشركين بغير من آمن
بالله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه .

ثم يكون اليوم يوم أحد وهو اليوم الذي جمع الكفر فيه
قواته وأراد أن يمحو عار هزيمته في بدر ، وأن يثأر لقتله .
وظن الشرك أنه قاض على الإسلام والمسلمين قضاء مبرماً .
وعرف الجميع : مسلمهم وكافرهم أن قريشاً قد ألقت بثقلها
في معركة تنتقم فيها من يوم بدر ، وتكون يوماً كيوم بدر ،
كما قال أبو سفيان .

وكان يوم أحد كما نعلم يوما مشهودا في أوله ، ومشهودا في آخره •

والتقى الشرك والتوحيد وجهها لوجه ، فكانت الضلالة في جانب ، وكان النور الإلهي والهدى في الجانب الآخر •
واحتدم القتال •• ، وسلت السيوف من أغمادها ••
وكثر الكر والفر ، وتعانقت الرماح ، وأسفرت الحرب عن قتلى عديدين •

وانتهى اليوم على غير ما يرجوه المسلمون ، وكانت خاتمته درسا في معنى الطاعة للقائد الملهم والرسول الأعظم •

وانكفأ كل فريق إلى معسكره يمسح جراحه ويجمع قتلاه ، فأما هلكى الكفار ففي القلب ، وأما شهداء المسلمين ففي حواصل طيور خضر •

وخرج رجال من بنى الأشهل يتفقدون شهداءهم وجراحهم في المعركة •

فأبصروا •• ويا عجباً مما أبصروا •• لقد أبصروا شيئاً لم يكن يدور قط بخلد أحد ••

أبصروا عمرو بن ثابت بن وقش بين شهداء المسلمين قد أثخنه جراحه ، والدماء تنزّ منه ، وقد كثرت فيه الكلوم وأن لم يزل به رمق من الحياة ، فحملوه مرتثاً ، وسمعوا منه — وما أعجب الذى سمعوه — أنه مسلم ، ثم نطق أمامهم بالشهادتين وهو وجود بأنفاسه الأخيرة •

لقد رأوه فى ساحة أحد تمج جراحه دما فتخضب جسمه كله ، وكادت عيون المسلمين أن تنكره فما كانوا يتصورون أبداً أن يكون عمرو بن ثابت بن وقش بين ظهرائهم ، يقاتل معهم الكفر ، ويحارب الشرك ، وهو الذى عرفوه غير معلن الإسلام ولا مصرح به ، ومن ثم سألوه : « ما جاء بك

يا عمرو بن وقش هنا ؟ • • أحديا على قومك ، أم رغبة في الإسلام ؟ » •

فأجابهم وهو في الرمق الأخير : « بل رغبة في الإسلام •
آمنت بالله ورسوله ، وأسلمت وقاتلت حتى أصابني ماترون » •

فيا لحكمة الله العلي القدير • • ها هو ذا عمرو بن ثابت يموت مسلما شهيدا !!

وشكر الناس رب العزة والجبروت أن قذف بالإسلام في قواد صاحبهم ، وزغردت الفرحة في قلوبهم ، وهنئوه فيما بينهم وبين أنفسهم أن من الله عليه بتلك النعمة الكبرى وهي ألا يموت إلا وهو مسلم ، مصدق لربه ونبيه ، متق الله حق تقاته •

وظل القوم حول صاحبهم عمرو بن ثابت حتى همد جسده ، وبردت أطرافه ، وسكنت أنفاسه ، وتصرم أجله ، وصعدت روحه إلى بارئها راضية مرضية ، لتكون في عداد من شملتهم رحمته •



لقد كان من أمره يومذاك أنه بدى له الحق فأسلم ، ثم أخذ سبيله واستل سيفه وانطلق حتى دخل في عرض الناس وصفوقهم وهم لا يدرونه ، فلا شاغل لهم الساعة إلا قتال الكفار ، ولكنه كان بينهم يحارب الشرك والمشركين ويحاربونه حتى أثقلت جراحه ، وكثر ما سال من دمه ، فمات في ساحة الوغى بطلا مسلما ، وكان شهيدا •

وذكر الناس خبره للرسول عليه الصلاة والسلام فقال فيه : « انه من أهل الجنة » ، فيا نعم خاتمة عمرو بن وقش • وكان الحق فيما قاله الشفييع الهادي وصرح به البشير النذير •



وكان أبو هريرة يقول : « أخبروني عن رجل دخل الجنة ولم يصل لله عز وجل صلاة واحدة » !! فيسكت الناس ، ويعجبون من أبي هريرة يقول هذا القول فيقول لهم : « أصيرم بنى الأشهل * عمرو بن ثابت بن وقش » *

فطوبى له من خاتمة فيها الرحمة * وما أسعد النعمة التي أنعم الله بها عليه إذ استشهد قرير العين مطمئن النفس * وهنيئاً له ما صار إليه من نعم الخلد وجنة يتفياً ظلالتها المؤمنون *

وهكذا لا يكون بين المرء وبين النار إلا خطوة فيعمل عمل أهل الجنة فإذا هو من أهلها *

وكان عمرو بن ثابت حقا من أهلها بشهادة الصادق الأمين *

لقد خاض عمرو حرباً ضد الكفر لا يبغى غير وجه الله ، وطاعة رسوله ، فكان من الأبرار :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَالْحَبِطُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
مُفْرَفِينَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴿٢٤﴾

صدق الله العظيم *

مَنْجَعُ الْعَكِيِّ الْيَمَنِ أول شهيد في بدر

نحن الآن مع صحابي كريم من أهل « عك » ومن أهل اليمن .

واليمنيون قوم أمدوا الإسلام في تاريخه الطويل بالرجال العظام الذين كتبوا صفحات نيرة من المجد والبطولة التي يشهد لهم بها التاريخ ، ولا يمحوها كر السنين ، أو تبلى جدتها الأيام ، أو يطوى ذكرها مر القرون ، أما ذلك الصحابي فيعرفه الجميع باسم : « مهجع » .

كان مهجع من أهل اليمن وإن لم يكن من أهل الذروة والجاه في قومه في المال ، بل كان من غمار الناس ومن أحادهم الذين تزدهم بهم طرقات الحياة وفجاج الأرض ، ويعيشون فلا يدري بهم أحد ، ويموتون فما من راث لهم أو باك عليهم .

ولا نعرف عن هذا الصحابي إلا أنه « مهجع » ، فإن اوغل القوم في التعريف به قالوا « ابن صالح العكي » ، فإن سألتهم المزيد للتعرف عليه لزموا الصمت إلا أن يقولوا جميعا : إنه مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وبهذا عرف مهجع في الناس وفي الدنيا وفي كتب السير والمغازي وفي أحداث التاريخ ، حتى لقي ربه قرير العين ، حامدا محمودا .

وقد قال فيه بعضهم إنه مولى لرسول الله ﷺ ، وهذا قول ضعيف ، وكأنما أراد أصحابه أن يزيدوا من قدره :

إكباراً منهم لمهجع ومنزلته بين الصحابة فنسبوه إلى الهادى،
ولكن الأصح أن يقال فيه - وحسبه ذلك فخراً - أنه كان
مولى للفاروق رضى الله عنه .

ونعرف من النتف القليلة المبعثرة عن مهجع فى ثنايا بعض
الكتب هنا وهناك ، وفى التراجم القصار ، أنه كان قد أصابه
سبى كما يقولون ، فمنّ عليه الفاروق رضوان الله عليه
بالعق فتحرر ، ورد عليه عمر إنسانيته عملاً بشرعة
الإسلام وسنته .

لكن متى كان ذلك السبى ؟ وأين كان . . ؟ ومن
هم هؤلاء الذين سبوه . . ؟ تلك أمور تسكت المصادر عنها
ولا نجد لها جواباً فى كتب السير ولا المغازى ولا فى تراجم
غيره ، ولا نعث على إشارة إلى أى الحروب والغارات الجمة
فى الجاهلية كان ذلك الحدث ، كما أننا لا نعرف شيئاً
ولا نستطيع أن نقول فى ذلك شيئاً إلا أن يكون ما نقوله
رجماً بالغيب وظناً من الظنون ، وما يغنى الظن بصاحبه فى
هذه الأمور ، ولا يجدى نفعا .



على أن هذا العتيق يبرز فى أحداث الدعوة والوجود
الإسلامى وهجرة الرسول فى المدينة المنورة عملاقاً لا يؤخره
أن يكون مولى ، والمولى رِدْءٌ مولاة فكيف إذا كان فى الإسلام
الذى ساوى بين الجميع حيث الأخوة وحيث يقول القائل
فى ذلك :

فآخ لحال السلم من شئت واعلمن

بأن سوى مولاك فى الحرب أجرب

ومولاك مولاك الذى إن دعوته

أجابك طوعاً والدماء تصيب

ثم انظر إلى هذا المولى حين هداه الله للملة السمحة
فأخلص قلبه لله تعالى ، وصفت نفسه فأمن بالله ورسوله ، ثم

دعاه الدين أن يكون في صفوف المدافعين عنه فدافع حتى
استشهد لا يبغى غير الحق وغير وجه ربه « ومن الناس من
يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤوف بالعباد » *



كان في مهجع طاعة لله ورسوله ، وقد دفعته هذه الطاعة
لأن يكون من المهاجرين الأولين يوم دعا النبي عليه الصلاة
والسلام أصحابه الغر الميامين إليها فهاجر من قدر منهم على
الهجرة ، وشهدت المدينة المنورة جمعا كبيرا منهم *

وكان من هؤلاء المهاجرين « مهجع » فأقام بها قانتا لله
تعالى ينتظر اليوم الذي يدعى فيه للجهاد فلا يتأخر عنه ،
وكان كلما طلع صبح أو أقبل ليل تساءل : « أما من خرج
لقتال الكفر عسى أن يهتدى الضالون فترطب الرحمة قلوبهم
وينير الحق سبيلهم ، ويبدد النور الالهي ظلمات حياتهم ؟
ويكون الدين لهم مرشدا في دياجير الحياة المظلمة وشعابها
الوعثاء ؟ » *

ثم جاء اليوم الذي طال ارتقاب مهجع له ، وكان ذلك
يوم بدر ، وأكرم به من يوم هو غرة في جبين الدنيا وواسطة
عقد تحلى به جيد الزمان ، وهو يوم أكرم الله عز وجل فيه من
شارك فيه من جند الرحمن فأظهرهم على عسكر الكفر وجند
الشیطان ، فتبوا المؤمنون المقام الكريم نزلا كريما ، وشهد
لهم بذلك الشفييع الهادي اذ قال وهو الصادق الأمين : « لعل
الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم .. قد غفرت
لكم » .. *

وحين أراد الناس أن يكرموا العلم وأهله قال الشاعر
وهو صادق فيما قال :

والعلم بدرى أحـل لأهله ما يفعلون



وأقبل المسلمون - مهاجرين وأنصارا - تحت راية الرسول العظيم في هذا اليوم الذي جمعت فيه قریش كل ما استطاعت جمعه من رجال وسلاح وكراع وخيل وعبيد ، وجاءت متحفزة لضرب الاسلام والمسلمين هي وملؤها ومن تبعها وتبعهم ، فسلكت طريق الضلالة والخطيئة ، ثم التقى المصافان : أهل التوحيد بأهل الشرك ، وحزب الله بحزب الشيطان ، ورهط الهدى بأهل العناد والكفر . . وكان قتال عنيف أسفر عن نصر رائع للمسلمين

وكانت حرب انتهت بخذلان بين الكافرين وهزيمة نكراء للمشركين ، ونصر محجل للمؤمنين الذين حق لهم أن يتباهوا به وتعلو رايتهم .

في هذا اليوم خرج مهجع يحمل روحه على كفه لا يريد إلا إحدى الحسنين . وقاتل ما وسعه الجهد ، وصال وجال حتى جاءه سهم غرب فأرداه فكان أول قتيل من أهل التوحيد وأول شهيد منهم ، وتعالى عند استشهاد الصيحة الكريمة : « الله أكبر » .

• واستشهد مهجع •

ونعم ما حظى به مهجع يومذاك . . وهل بعد الاستشهاد نعمة يرجوها المؤمن الصادق الإيمان ؟



وتروى كتب التاريخ والمغازي خبر استشهاد فتذكر أن رأس الكفر أبا جهل أخذ يحرض قومه ومن معه على النكاية في المسلمين ما وسعتهم النكاية . . أليس هو الذي وعد قریشا وأهل مكة ممن على شاكلته ، وتباهى بينهم بأنه عائد من بدر بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب أسيرا ؟ ، وصفق له المشركون - لحاهم الله - يومذاك وما استحووا ، وليفعل ما يشاء من لا حياء عنده .

لقد راح أبو جهل يمنيهم ويعددهم - وما يعددهم إلا غرورا - بأنه أسر النبي ﷺ ، وراجع إليهم بمحمد يرسف في الأغلال * * كبرت كلمة تخرج من فيه أن يقول إلا كذبا ، ولا ينطق إلا سفها ، وسيعرف هو أى منقلب هو منقلبه * .

وانطلق أبو جهل إلى عامر بن الحضرمي يثير فيه عصبية الجاهلية ويذكي نار الثأر في نفسه من أجل أخيه الذي هلك في سرية نخلة * * وتنجح هذه المحاولات الآثمة فيحلف عامر ألا يرجع حتى يفحش في قتل أصحاب النبي رضوان الله عليهم أجمعين * .

والح الثأر المحرق في نفس ابن الحضرمي ، فأقسم بلاته وعزاه ليذيقنهم سنان رمحه انتقاما لمصرع أخيه ، ويروى سيفه من دمائهم * .

آلا سفه ابن الحضرمي وسفها لاته وعزاه !!

واندفع ابن الحضرمي عامر ونار الثأر تتلظى بين جوانحه وكأنها جراحات دامية في جسده ، قد ذر عليها الملح ، فشد على القوم وأقحم فرسه ، فكان « مهجع » - مولى عمر بن الخطاب - أول من خرج إليه فرماه ابن الحضرمي بسهم من كنانته فأرداه ، فكان أول شهيد من الأنصار * .



هذا هو مهجع المولى ، ومهجع اليماني ، ومهجع الصحابي ومهجع المجاهد * * فرحمه الله رجلا أسلم فأطاع فجاهد ، وقاتل الكفر فلقى ربه راضيا مرضيا ، ومات قرير العين مطمئن النفس ، ورحم الله هذا الصحابي الذي ذكر ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان من النفر الذين نزل فيهم قول الحق تبارك وتعالى :

وَلَا تَحْزَنْ أَلِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْرِ وَالْغَيْثِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَقَدْ كُفِرُوا بِالْآلَمِينَ ﴿٥٦﴾

صدق الله العظيم

أما هؤلاء النفر فهم بلال وصهيب وعمار وخباب بن
الأرت وعتبة بن غزوان وأوس بن خولى وعامر بن فهيرة
ومهجع مولى عمر بن الخطاب ، رضوان الله عليهم أجمعين •

وهكذا مات مهجع شهيدا •

يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿١٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿١٨﴾ فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي ﴿١٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّاتٍ ﴿٢٠﴾

صدق الله العظيم

إِيَّاسُ بْنُ الْبَكْرِ أَسَدُ الْوَقَائِعِ

الصحابي الجليل إياس بن البكر بن عبد ياليل ، حليف
لبنى عدى بن كعب بن لؤى *

كان أحد أربعة إخوة ليس فيهم إلا من يفخر به المسلمون.
ويتباهون بعظمته ، ويشيدون ببأسه الذي صرفه في الخير ،
ويتفاخرون به يوم الفجار في كبرياء وازدهاء ويقولون :
« أولئك أبنائي فجئني بمثلهم » ، والحق أنهم غرّة في جبين
الإسلام في أيامه الأولى وبعد هجرة الرسول الأعظم إلى المدينة .
وأنت لا تعرف أى واحد من الأربعة تقدمه على الباقي . لأن
كان اليوم يوم تفاخر بالجهاد في سبيل الله ، أو كانت مبادرة
إلى طاعة رسوله عليه الصلاة والسلام فإنهم جميعا في
الطليعة *

وإن يكن ثم تباه بالشجاعة فكلهم باسل صنيدي ، ومحش
حرب وابن كريهة ، حتى قيل فيهم أنهم « أسود الوقائع
وأحلاس الخيل » *

وإن تكن مباهاة بالإيمان وعمل الصالحات فأبناء البكر
أهل لذلك كله لأنهم يسعون لأن يهديهم الله لتكون الجنة
مشواهم ، ونعيم الخلد مأواهم ، حتى تكون دعواهم فيها
سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وحتى يكون آخر
دعوتهم أن الحمد لله رب العالمين *



كان اياس أخا لثلاثة هم : عاقل وعامر وخالد أبناء
البكير ، وكلهم بدريون حتى قال فيهم أحد كبار مؤرخي
الصحابه : « لا نعلم أربعة إخوة شهدوا بدرا غير إياس
وإخوته » .

ولقد صدقت منهم النية والعمل ، فكان الفضل ملأ
يردهم ، ونضحت أفعالهم بكل خير ، فكانوا صنو المروءة
والفعال النابهة ، قد صفى جوهرهم فليس فيهم ثم شائبة
تشوبهم ، أو مذمة تنقص من قدرهم .

ولقد أسلم صحابينا إياس بن البكير في وقت مبكر ، والإجماع
منعقد على أنه أسلم والرسول عليه الصلاة والسلام في دار
الأرقم ، وبذلك يكون من الطلائع الأولى النيرة التي بادرت
إلى تصديق النبی ، ومن السابقين للإيمان برسالته والدعوة
إلى سبيل الله بالحسنى وتأييدها ، رغم ما كانوا يلاقونه من
عنت قريش وصولتها وظلمها وجبروتها وطغيانها وبغيها

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾

أسلم اياس في دار الأرقم ، وأسلم معه يومذاك أخوه
عامر ، ثم ما لبث الأخوان الآخران : عاقل وخالد أن نهجا
نهجهما وسارا على دربهما ، واهتديا مثلهما بهدى رسول رب
العالمين وإمام المتقين . كل ذلك والنبي عليه الصلاة والسلام
لا يزال في مكة ، وبذلك اكتمل عقد الإخوة الأربعة في طاعة
محمد بن عبد الله الأمين ، وبأدروا إلى الاستجابة لما يدعو
إليه من ربه ، فكانوا أشداء على الكفر والكفار ، كارهين
للمشرك والمشركون ، أعداء للنفاق والمنافقين .

وتحمل إياس وإخوته اضطهاد قريش لهم صابرين
غير مباليين على أى جنب يكون فى الله مصرعهم ما داموا يلقون
ذلك فى سبيل الله عز وجل •



ولما هاجر عليه الصلاة والسلام إلى يثرب سار إياس على
خطاه ، واقتفى أثره ، وسلك هو وإخوته دربه ، وتركوا
مكة التى شهدتهم منذ أن خرجوا إلى الحياة ، ثم درجوا على
أديمتها ، وسعوا فى شعابها وضربوا فى مناكبها ، وعرفوا
مرابعها أطفالا ، وشاركوا فى مجتمعاتها شبابا ورجالا ،
وكانت حياتهم فيها ، وكانت هى معاشهم ومقيلهم ، وفيها
أهلهم ورفاقهم وأموالهم ومتاعهم ، فكانت أول وآخر
ما تغلق عليه أعينهم ، فهى صبوحتهم ، وهى غبوتهم •

لكنهم تركوا ذلك كله غير آسفين ، ونزل الإخوة الأربعة
الأطهار على أنصاري كريم فتح لهم قلبه وبيته عن رضا وطيب
خاطر إذ رضى الإخوة الأربعة الكرام بجواره • • ذلك هو
أبو لبابة : رفاعه بن المنذر العقبي •

• وأقام أبناء البكير الأربعة فى المدينة مهاجرين •

وراحوا يجمعون بين العمل الشريف بأيديهم يكسبون
منه معاشهم كى لا يكونوا عالة على غيرهم حتى يغنيهم الله من
فضله ، وبين حضور مجالس رسول الله صلوات الله عليه
وسلامه •

• ثم جاء اليوم الموعود : يوم بدر •

وخاضه الإخوة الأربعة أبناء البكير ، وأبلى إياس فى
هذا اليوم خير البلاء الذى هو سمة جند الله ، وخرجوا من هذا
اليوم أحياء غير أخيههم «عاقل» فقد اختص من دونهم يومذاك
بالشهادة أكرمه الله بها فى يوم غال عند الله وعند المسلمين
والتاريخ •



ولما خرج المسلمون لنشر دين الله وتوسيع رقعته كانت مصر من البلاد التي شاء قدرها الكريم أن تنجو من ظلام الحكم الذي كانت ترسف في قبضته ، فانطلق العرب الأوائل بقيادة عمرو بن العاص فدخلوها مبشرين وهداة ، وكان في هذا الرهط الكريم صاحبنا إياس بن البكير الذي سعدت به مصر صحابيا ومعلما *



ولقد أنجب إياس ولده « محمد بن إياس » الذي كان من رواة الحديث الشريف ، مقبلا على سماعه وحفظه ، * * * ومن شابه أباه فما ظلم ، وهيهات أن يكون الظل أعوج إن استقام العود *

وعاش إياس في هذه الدنيا الفانية ما قدر الله له أن يعيش حتى وافاه أجله سنة أربع وثلاثين ، وإذ ذاك آن للسيف أن يغمد في قرابه ، وللمناضل الحر أن يستريح محمودا بعد أن أبلى فأحسن البلاء ، وبقيت ذكراه مشكاة تنير ولا تحرق ، ومثلا للفضل يحتذى ، وسيرة عطرة في فم الزمان ، يرويها التاريخ ، وتستمتع إليها الدنيا وهي نشوى ، وتتفتح لها القلوب مطمئنة ، ويهمل لها الحق *

فرحم الله إياسا بقدر ما جاهد في سبيل الحق *

ورحم الله إياسا بقدر ما حدث وروى *

ورحم الله إياسا مسلما بدريا ومؤمنا مناضلا *

ووسعت رحمة الله إياسا وإخوته الذين لم يرهبوا جبروت الظلم وتحذوا الطاغوت والكفر ، ذلك لأنهم من قوم

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِلَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَاتِنَا إِنَّ كَذَّابَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

صدق الله العظيم



أبو عَقْبَة : أَهْبَانُ بْنُ أَوْسٍ كَلَمُ الذُّئْبِ

هذا رجل إن سألت عنه قالوا : كان يرعى الغنم على عهد
رسول الله ﷺ .

كان ينطلق بها كل صباح لا يدرى إلى أين ينتهى به
المسير ، بل يدعها حرة تمضى حيث تشاء وهو يرهاها إلى حيث
يكون المرعى والكلاء ، فإن سألته « أين أنت غدا يا أهبان (وهذا
اسمه) يا راعى الغنم ؟ » ، قال حنانيك يا صاح ، لا تسلىنى
عن غد فما أدرى أن لى غدا ، ولا أعرف ما الغد ، ولا أعلم
أين أكون بعد قليل . ودونك غنمى وشويهاتى أحرسها ،
فحسبى بها من رفيق لا أمل صحبتته فهى لا تجفونى ، وإنها
لتعرف أين يكون الماء وأين يطيب لها الربيع » .

أما ذلك الراعى البدوى فهو أهبان بن أوس الأسلمى
الذى يكنى بأبى عقبة ، والذى غلبت عليه كنيته فما يناديه
أحد من أهل البادية أو الحضر إلا بها حتى غلبت على اسمه
فما عاد يذكره إلا نادرا ، وكاد أن ينسى الاسم الذى أطلقته
عليه أمه يوم ولدته .

والحق أن تجواله بغنمه كل يوم وحيدا فريدا قد طمس
عنده فى أى يوم من الأيام هو الآن . . .

ثم ماذا يعنيه أن يسمى الأيام بالأسماء التى تألفنا نحن
على تسميتها بها ؟ ، . . . لقد تشابه حاضره بأمسه وغده ،
لا فارق بين واحد منها والآخر .

ثم إنه قل أن يلقى من الناس أحدا إلا أن يكون ركبا
يراهم وربما لم يروه هم ، وقد يمرون به فلا يلقون إليه
بالا ، ولا يعنيه هو الآخر من أمرهم شيء • • وهل ثم ما يشغل
باله ويستولى على تفكيره سوى عنزاته وشويهاته وإبله ؟

إنه يطرب لشغاء شويهاته ، ويكاد لطول مصاحبته إياها
أن يعرف ما تقول ، كما أنها هي الأخرى تعرف ما يريد أن
يقوله وإن لم تنفرج شفتاه عما يريد أن يقوله •

كذلك ألف صاحبنا « أهبان » الصحراء وحيوان الفياض
وما يدب في جحره ، ولم يعد يرهب الذئب ، وربما كان
شأنه شأن الذي قال :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى

وصوت إنسان فكدت أطيّر •

وتمضى الأيام يأخذ بعضها بحجز البعض الآخر ، لا يدرى
أهبان ما يومه ، ولا يفكر في غده ، ولا يعنيه من الأيام إلا ليل
يمر يعقبه نهار وضاء ، وشمس مشرقة حارقة ثم تميل إلى
الغروب ، ثم يسدل الليل ستوره على الكون ، وتتلاأ في
السماء النجوم • • وهكذا دواليك •

كما أنه لا يعنيه من الزمن إلا أن يأمن على غنمه ، وأن
يؤمن لها المرعى والكأ والربيع •



ثم يشاء الله أن يأتي يوم ليس كمثله يوم عند أهبان
ولا غير أهبان •

إنه يوم كان فيه راعينا في غنمه ، وإذا بذئب ضار
يعترض سبيل شياحه ويقترّب من إحدى نعاجه •

ويلوخ له أهبان بعصاه التى يهش بها على غنمه وهو يعلم أنها لا تدفع شر الذئب ان غضب ووثب عليه وعلى شياحه ، ولا تجديه عصاته ، ولا يستطيع له دفعا ، وما من أحد ينقذه ، وهب أن أحدا رآه أيكون هذا الشخص مستعدا للوقوف فى وجه الذئب * ؟ إنه إن يفعل ذلك فإنه لا يضمن سلامة نفسه وسلامة أهبان وغنمه من شراسة الذئب الذى إن جاع وثب فما يخطيء فى وثبته *

وجزع أهبان أشد الجزع على شياحه ، وخافه عليها خوفا على ابنة له مسها السوء أمام عينيه أو كاد ولا يستطيع هو دفع الضر عنها *

ويصيح أهبان بالحيوان المفترس لعل صياحه يخيفه ، ويصرخ فيه صرخات يختلط فيها الفزع بالجزع وهو يعرف أنها لن تجديه فتىلا *

ثم يرى أهبان الذئب وقد أقعى على مؤخرته ، ونصب قدميه للوثوب ، وهل فى وثبته إلا الهلاك لأهبان وغنمه ؟

وظن أهبان فى هذه اللحظة أن الوحش واثب عليه إن لم يهرب هو من أمامه ويترك الشاة له غنيمة باردة وفريسة سهلة *

وتمر لحظات على أهبان لا يدرى أهى قصيرة أم طويلة * لحظات يوقن معها أن الوحش فاتك بالفريسة وبه هو أيضا *

وتمعن فإذا الذئب - وا عجباه - يتطلع إليه فى صمت *

ثم يستولى عليه العجب حين يسمع كلاما عربيا مبينا يصدر من ناحية الحيوان الأعجم * ويكذب سمعه وعينيه ويظن أن به مسًا من جنون *

ونسأل أهبان أن يخبرنا بما كان فى تلك اللحظة من
عجيبة مذهلة فيقول :

« لقد خاطبنى الذئب وقال وهو ينظر إلى الغنم :

« من لها يا أبا عقبة يوم تشتغل عنها ؟ »

أتنزح منى رزقا رزقنى إياه الله ؟؟ »

هكذا يقول أهبان حين حال بين الشاة وبين الوحش
الضارى .

ونظر الذئب إلى أهبان . . ونظر أهبان هو الآخر إليه
مشدوها مذهولا .

هل رأى الناس أو سمعوا بمثل الذى يراه هو الآن ؟ . .
وهل حدث الناس قط عن ذئب يتكلم ؟



ويتحدث أهبان بهذا الأمر العجيب الذى لا يكاد يصدقه ،
ولكنه ها هو ذا الآن يراه رأى العين ويسمعه بأذنه ، فلا يخطئه
السمع ولا يخونه البصر ، ويضرب كفا بكف ، ويكرر ما تلجلج
فى صدره ولكن فى صوت مسموع .

ثم يأبى الذئب إلا أن يزيده تعجبا حتى لتتملك الدهشة
أهبان ولا يدرى لما جرى تأويلا ، إذ يقول له الحيوان الأعجم
مرة ثانية بلسان فصيح لا عوج فيه :

« أتعجب مما ترى منى الآن يا أهبان ، ورسول الله ﷺ
فى هذه النخلات ؟

« أتعجب مما ترى الآن منى والرسول ﷺ يحدث الناس
بأنباء وأنباء ؟

« أتعجب وهو ﷺ يدعو الى عبادة الرحمن ؟ »



وانطلق أهبان فى ساعته إلى المدينة حيث شرف بلقاء الرسول عليه الصلاة والسلام ، فلما صار بين يديه أخبره بما حمله على الحضور فى هذه الساعة •

ثم يعلن أهبان إسلامه ، وينطق لأول مرة فى حياته حتى هذه اللحظة بالشهادتين بين يدي البشير النذير ، والشفيع الذى لا شفيع سواه يوم يحشر الناس إلى رب العزة والملكوت فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة • ويدخل أهبان منذ تلك اللحظة فى عداد الصحابة المؤمنين •

ويسلم على غير انتظار ومن غير أن يدعو أحداً إلى الإسلام ، فقد جاءت الهداية من حيث لا يدري ولا يحتسب ، ومن يهد الله فما له مضل • وإذا أراد الله شيئاً فإنما يقول له كن فيكون •

فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه المرجع والمآب • سبحانه من مهيمن جبار ، وما كان لأحد أن يتخذ من دونه أولياء •



هكذا كان إسلام الرجل الذى عرف بين الناس باسم « مكلم الذئب » ، والذى قيل فيه إنه أسلم من غير دعوة أحد ، والذى قال البعض فيه إنه صلى القبلتين •

وقال بعض الناس إنه عم الصحابى الجليل « سلمة بن الأكوع » أول مبايع لرسول الله ﷺ يوم البيعة الكبرى « بيعة الرضوان » التى كانت لها منزلة ضخمة ، والتى كان للمبايعين فيها شأو كشأو أهل بدر •

وفى هذا اليوم العظيم الأغر المحجل فى التاريخ كان أهبان بن أوس ممن بايعوا النبى - عليه أزكى الصلاة وأفضل السلام - بيعة الرضوان التى قال فيها الحق تبارك وتعالى :

« لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة
فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا
ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما » .



وتتوالى الأيام بعضها فى إثر بعض ، وتكر السنون تلو
السنين ، ونلتمس الخبر عن الصحابى أهبان بن أوس فإذا
كل ما بين أيدينا فى كتب التراجم عنه أنه سكن الكوفة ،
وأنه مات بها مسلماً مؤمناً ، وما يضيره أن تختزل الكتب
ترجمته وسيرته فلم تعد أن تكون سطوراً مبعثرة هنا وهناك ،
وحسبه أن اتخذ الإسلام ديناً ، ولم يوجه وجهه منذ أن نطق
بالشهادتين إلا إلى رب السموات والأرض الذى فطرهن ورب
العرش العظيم .

قُلْ أَغْنَى اللَّهُ الْفَقْرَ وَلِيًّا قَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطِيعُ وَلَا يُطَعُّ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يُؤْمِدْ فَقَدْ رَجِمَهُ وَذَلِكَ الْقَوْمُ الْمَلِينُ ﴿١٨﴾
صدق الله العظيم

أبو أيوب الأنصارى أول دفين مسلم بأرض الروم

نحن فى هذه الصفحات مع صحابى صادق الإيمان وإن كان كل الصحابة صادقين فى إيمانهم ، وكان شديد الحب للرسول عليه الصلاة والسلام وهل كلهم إلا محب له ، وقد قضى حياته مجاهدا منذ أن تلجلج الإيمان فى صدره ، ونطقت شفتاه بالشهادتين *

وقد مات هذا الصحابى فى ليلة كانت من ليالى التاريخ المجيد وهو يجاهد فى سبيل نشر الإسلام فى بلاد ناهضت الإسلام فى ضراوة ، فوسدوه ترابها لتشهد الأيام على أن دعوة الإسلام لا تعرف أرضا معينة ، وإنما تخفق رايثها فوق كل أرض : دنت تلك الأرض أم بعدت ، وترفرف تحت كل سماء ، فالسموات كلهن قبض يمين الرحمن ، وهكذا مات هذا الصحابى غريبا ومن مات غريبا فقد مات شهيدا ، فما بالك بصحابينا أبى أيوب الأنصارى الذى لبقى ميتته وهو يقاتل الروم ويحاربهم تحت أسوار عاصمتهم القسطنطينية التى كانت تحمل لواء حرب كل مخالف لها فى العقيدة ، وتحتل بلادا لم تشهر فيها غير السيف ، ولم يكن ديدنها فيها إلا البطش والقسوة *

وصحابينا أبو أيوب هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ، وهو أنصارى عقبى ممن شهدوا العقبة وأمنوا وبايعوا ، ثم زاد على ذلك بأنه كان بدرى ، وما البدريون بمنكوريين ولا بمجهولين فقد غفر الله لهم كل شيء *

كما أنه لم يترك مشهداً من المشاهد التي شاهدها إمام
المتقين والرحمة المهداة إلا شارك فيها صادقاً *

ثم إنه من بنى غنم بن مالك النجار ، أى من بنى
الخزرج *

وقد اختلف الرواة الذين كتبوا عنه فى اسم أمه ، فمن
قائل إنها هند بنت مسعود ، ومن قائل إنها كانت تدعى
بزهراء * على أنهم لم يختلفوا فى أن هذه الأم - سواء أكانت
تدعى فاطمة أم زهراء - كانت خزرجية هى الأخرى * *
والخزرج قمة شامخة من القمم العالية فى تاريخ المدينة قبل
الإسلام وبعده *



وكان صاحبنا من رجال العقبة السبعين ، وعلى ذلك
فقد حق له أن يفخر بقدم إسلامه *

ولقد أدرك صاحبنا أبو أيوب الأنصارى الإسلام بعقله
وقلبه معاً فأقبل عليه إقبالا كريما ، دلت عليه مواقفه ، وكلها
مواقف كريمة غير منكورة ، وواضحة غير مغمورة ، قد
طابت أصلا ، وزكت فرعا *

ولقد آخى النبى عليه الصلاة والسلام بينه وبين مصعب
ابن عمير يوم دخل المهاجرون المدينة ، ونراه يصاحب الرسول
العظيم منذ اللحظة الأولى التى أهل فيها بطلته المشرقة على
« يشرب » ، والتى دخلها الإيمان ولم يستطع أحد أن يزحزحه
منها أو يضعفه فيها ، وصارت هى الأخرى له حصنه الحصين
وقلعة المنيع ، حتى ليقول الصادق المصدوق إن الإسلام
ليرزأ إلى المدينة كما ترزأ الحية إلى جحرها *



ولما هاجر النبى صلوات الله وسلامه عليه هجرته إلى
المدينة التى كانت بداية تاريخ يؤرخ به المسلمون فى مشارق

الأرض ومناريتها ، وسيظلون يؤرخون بها حتى يرث الله الأرض ومن عليها : دخل قباء أول ما دخل حيث أسس مسجده الذي كان أول مسجد طهور في الإسلام ، ثم انطلق عليه الصلاة والسلام من قباء إلى يثرب فلما دخلها صارت تدعى « المدينة المنورة » ، وراحت القبائل تتسابق وتتنافس فيما بينها في أيها يشرف قدرها وتعلو على سواها بنزوله بين ظهرانيها •

واعترضه عليه الصلاة والسلام رجال من بنى سالم بن عوف •

واعترضه أيضا رجال من بنى ساعدة فيهم سعد بن عباد والمندر بن عمرو •

وعارضه رجال من بنى الحارث بن الخزرج فيهم سعد بن الربيع وخارجة بن زيد •

اعترض كل هؤلاء طريق المصطفى الشفيح ، وكان كل منهم يحاول أن يأخذ بخطام ناقته « القصواء » وهو يقول له :
« هلم يا رسول الله • • »

« هلم إلى العدد والعدة والمنعة » •

ويمنعهم النبي الكريم من الأخذ بخطام ناقته وهو يقول لهم : « خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة » •
وما كان لهم إلا أن يستجيبوا لما قال ، فقله أمر ، وفيه حكمة ، وهو يدري بها وإن خفيت على سواه •

وانطلقت القصواء حتى أتت دار بنى مالك بن النجار فبركت ، ثم وثبت غير بعيد والرسول مرخ لها زمامها ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مبركها في أول مرة فبركت فيه ، فنزل النبي عليه الصلاة والسلام عنها •

حينذاك قدم أبو أيوب الأنصاري فاحتل رحل الرسول العظيم فوضعه في بيته ، فنزل الهادي في دار أبي أيوب ، وأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه في تلك السنة •



نزل الرسول ﷺ دار أبى أيوب الأنصارى فى قسمها
الأسفل ، وظل كذلك حتى جاء يوم كان فيه أبو أيوب فى
حجرته فأهريق ماء بها فأزعجه ما جرى ، ولنستمع إليه
يحدثنا بما كان فيقول :

« قمت أنا وأم أيوب بقطيفة نتبع الماء شفقة أن يصل
إلى رسول الله ﷺ ، ونزلت إليه وأنا مشفق فقلت له :
« يا رسول الله إنه لا ينبغي أن نكون فوقك » . فانتقل
إلى الغرفة التى هى فوق » .



هكذا كان حب أبى أيوب لنبى الرحمة عليه الصلاة
والسلام .

إنه يشفق عليه من قطرات ماء تنزل إليه من سقف الحجرة
فيأبى إلا أن يغادرها النبى عليه صلاة الله وسلامه ، ثم يؤثره
أبو أيوب بغرفته التى يعيش فيها هو وامراته .

إن أبا أيوب من قوم يؤثرون غيرهم على أنفسهم ولو بهم
خصاصة .

وإنها لمحبة صادقة لرسول الله ﷺ أشربها قلبه الفياض
بالإيمان الصادق .

وإنه إخلاص كريم لا تشوبه شائبة ولا رياء .

وظل رسول الله ﷺ فى دار أبى أيوب حتى بنى مساكنه
فانتقل إليها هو وزوجاته أمهات المؤمنين .

وبنى عليه الصلاة والسلام مسجده فكان يؤمه هو
وأتباعه وأصحابه .

ثم كان يحضره المنافقون يستمعون إلى ما يدور بين المسلمين من الكلام في شتى الشئون التي تعرض لهم ، ويسخر المنافقون فيما بينهم وبين بعضهم الآخرين سرا بالمسلمين ، ويستهزئون بدينهم ، وينقلون إلى أعداء المؤمنين ما لا ينبغي أن يعرفوه عن النبي وأصحابه ، وما أولئك المنافقون إلا قوم كرههم الله ورسوله وكرههم المؤمنون ، وإنهم لأشد خطرا على الإسلام من الكفار والمشركين ، إذ كانوا آونة يشككون في الدعوة وفي صدق من اجتباه الله ليحمل الرسالة وكلفه بأدائها ، فكان آمينا على إيصالها للناس ، ويقولون ما وعدنا محمد وربّه إلا غرورا • • • كبرت كلمة تخرج من أفواههم هل يقولون الا كذبا وفجورا ؟ • • • وتراهم آونة أخرى يركبون مركب الظلم فهم يخادعون الله وما يخدعون إلا أنفسهم ، ولكن يضلهم رب العزة ، ومن يضلله الله فلن تجد له وليا ولا نصيرا •

ولج المنافقون في سفههم ، وتعالوا جهالة ، وما العزة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقين يصفون آذانهم عن الحق ويبدلونه زيفا ولا يقولون الا اثما وضلالة •



واجتمع ذات مرة بالمسجد رهط من هؤلاء المنافقين فرأهم النبي عليه الصلاة والسلام يتهامسون فيما بينهم تهامسا يثير الريبة ، وقد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم فأخرجوا • • • عليهم لعنة الله ورسوله ولعنة المؤمنين •

وحينذاك قام أبو أيوب إلى أحدهم وكبير من كبارهم وهو ابن قيس (أحد بنى غنم) بن مالك بن النجار فأخذ برجله وسحبته حتى أخرجه من المسجد •

ويمضى أبو أيوب بعد ذلك إلى منافق آخر أوغل في الضلالة وأوكس وهو « رافع بن وديعة » في الفتنة فجره من ثيابه وجذبه في شدة ولطمه على وجهه ثم أخرجه من المسجد الطاهر وقال له : « يالك من منافق خبيث !! » •

وفعل مثله الصحابة الآخرون فأخرجوا المنافق من بيت
الله وطهروه منه وممن ديدنهم ديدنه وشاكلتهم شاكلته *



وتمضى الأيام والدعوة تنتشر * والأسلام تعلو رايته ،
ويتلأأ نوره ، ويزداد عدد المؤمنين به فيتربص بهم الكفار
والمنافقون والمشركون يريدون فرصة تتيح لهم أن يثبوا على
عباد الرحمن فيصيبهم منهم الشر الجسيم *

وتكون معارك الإسلام الكبرى ، ويشهد أبو أيوب
الأنصاري المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، كما يشارك فيما
جد من الوقائع بعد وفاة نبي الرحمة وشفيع الأمة *

وكان أبو أيوب من منطلق إيمانه بالدين الحنيف
وبالرسول يجعل نصر الملة غايته ، ومن ثم لم يتأخر عن الجهاد
لحفلة *

بيد أنه حدث ذات مرة أن تأمر على الجيش الخارج لحرب
الروم شاب (هو يزيد بن معاوية) ، فاستنكر أبو أيوب في
بادئ الأمر ما جرى ، ثم رجع إلى نفسه يفكر ويتدبر ماذا
سيكون عليه الحال !

إنه إن يتأخر عن المعركة وعن الخروج ويفعل فعله
آخرون يرون رأيهم هذا أو يشائيعونه فيه فمن ذا الذي بعدئذ
يدافع عن الدين ويحمي بيضته ؟ * ومن ذا الذي يرد غائلة
العدو الشرس المتربص بالإسلام السوء ، والذي يبيت له الشر
ويبغى القضاء عليه ؟

لذلك نرى صاحبنا الصحابي أبا أيوب يقول لنفسه :
« وما على إذا استعمل على الجيش شاب ؟ * أليس الكل في
خدمة الإسلام ؟ * وماذا يضير الإسلام أن يتأمر شاب ، وأن
يكون هذا الشاب الأمير هو يزيد ؟

الم يستعمل سيدنا محمد ﷺ قبيل موته شابا صغير السن ،
ثم مات النبي فأبى أبو بكر - وقد ولي الخلافة - إلا أن يكون
اللواء بيد الشاب الذى عقد له النبي اللواء قبل موته ؟ *

ويعود أبو أيوب الأنصارى إلى مكانه جنديا فى الصف
الإسلامى ، وتكون غزوة الإسلام فى بلاد الروم *

ويكون لواء الجيش الاسلامى مع ابن الخليفة يزيد بن
معاوية *



ويمضى المسلمون إلى بلاد الروم ومعهم المجاهد المؤمن
الصادق أبو أيوب الأنصارى ، وتطأ سنايك خيولهم ما حول
عاصمة إمبراطورية قيصر بل عاصمة الروم جميعا وهى
القسطنطينية ، ويسمع صهيل خيل المسلمين تحت اسوارها ،
ويكبر المسلمون فى جناباتها ، ويؤذن المؤذن « الله أكبر *
الله أكبر * * * حى على الصلاة * * حى على الصلاة * *
لا إله إلا الله لا إله إلا الله * * * محمد رسول الله * * وينساب
النداء الكريم نديا تحمله أمواج الأثير فيرطب القلوب الشرى
وتطمئن النفوس *

ويشتد المرض بأبى أيوب ، ويرجف الناس بأن أجله
دان ، ويسأله يزيد يومئذ ماذا يريد ؟ وما هى وصيته ؟
فيقول له :

« اذا مت يا يزيد فكفنونى ، ثم مر الناس فليركبوا *
ثم سيروا فى أرض العدو حتى إذا لم يجدوا مساقا
بعد فادفنونى » *

ومات أبو أيوب فى أرض الخصم *

لئن مات صحابينا أبو أيوب الأنصارى فى المعسكر
كثيرون أمثاله فى الجهاد الصادق ، *

ولئن مات أبو أيوب فليمض المسلمون إلى هدفهم *
ولئن مات أبو أيوب فالإسلام حي لا يموت * وتذكر
قوله تعالى :

وَلَقَدْ كُفِّرْنَا عَنْ آلِ نُوحٍ الْفُلَ أَنْ يَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَوْهُمُ وَإِنَّهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٦﴾

صدق الله العظيم

فاطمأن خاطره ، وهدأت نفسه ، وقرت روحه ، وأغمض
عينيه ، ولفظ أنفاسه ، مستريحاً هادئاً البال *

ويُضْمى يزيد بن معاوية وصية أبي أيوب الأنصارى *
ويقبل الروم على المسلمين صبيحة أن دفنوا أبا أيوب
يسألونهم ماذا كان من شأنهم فى ليلتهم البارحة وقد رأوا
ما لم يروا من قبل ، فيجيبهم المسلمون :

« هذا رجل من كبار أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم
وأقدمهم إسلاماً * مات وقد دفناه حيث رأيتم !! » *

« والله لئن نبشتموه لا يضرب لكم ناقوس فى أرض
العرب ما كانت لنا مملكة !! » *



هكذا كان أبو أيوب الأنصارى * كان رجلاً أعلى راية
الإسلام حياً وميتاً *

ولد فى المدينة المنورة ، ومات فى القسطنطينية ، ودفن
بها وهى أرض غريبة * فطوبى له من غريب مجاهد ، وقد كان
هو البشير بفتح عاصمة الروم على يد المسلمين بعد ثمانية
قرون ليدخلوها رافعين راية التوحيد *

فرحم الله أبا أيوب مجاهداً عد نفسه ممن ينفرون خفافاً
وثقالاً •

ورحم الله أبا أيوب بقدر حبه لله ولرسوله وللإسلام •
وجعل الجنة مثواه •

كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَنُؤْتِيَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَافًا يُجْرُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ جَارِدِينَ فِيهَا نَسَبًا مِثْلَ نَجْمِ الْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٣﴾

صدق الله العظيم

أوس بن معير الجُمحى مؤذن الرسول (صلعم) بمكة بعد الفتح

نحن الآن مع صحابى اتصل برسول الله ﷺ اتصالاً وثيقاً
بعد الفتح وإن لم يطل اتصاله به ، ولكنها كانت صعبة
عميقة ، وكان لها صدى كريم فى نفسه ، ذلك هو :

« أوس بن معير بن لؤى بن أبى ربيعة »

وهو قرشى جمحى *

اختلف الكتاب فى اسمه اختلافاً بيناً يحار معه المطالع
لسيرته وخبره ، وهو اختلف يُخشى معه الزلل ولا يؤمن
الخطأ ولا الخلط * * * ومما يزيدنا حيرة أنهم يذكرونه باسمه ،
ثم سرعان ما يقولون هذا اسم أخيه ، ثم يترجمون للأخ بهذا
الاسم *

ويزداد الاضطراب حين نراهم يتكلمون فى هذه الترجمة
التي يسوقونها عن هذا الأخ كأنه هو صاحب الترجمة التي
نحن بصدد ها الآن *

ولسنا ندخل مع هؤلاء الكتاب فى تلك المتهاتات الشائكة
فإنها لن تقودنا الا الى الحيرة والبلبله ، وان كان شر ما يلقاه
الناظر فى توارىخ الصعابة أن تضطرب السبل أمامه وتتعدد
المسالك المظلمة فيرى نفسه فى النهاية وقد بهمت الأمور
عليه ، ولا يؤمن إذ ذاك الزلل ، وقانا الله منه حتى تخرج
السيرة صحيحة *

ولكن حسبنا أن نقول في أوس بن معير إنه وفد على
النبي ﷺ ، فان سألت ومتى كان إسلامه ؟ لم تجد الجواب
الشافى ولا الرد القاطع ، وبقيت حيران لا تدري متى كان
اعتناقه الإسلام .



على أننا واثقون أن صاحبنا « أوس بن معير » الذى كان
يكنى بأبى محدورة قد أسلم فى مكة ، اذ نعرف من تاريخه
- مهما اختلفت الأسماء التى ترجم له بها - أنه ظل مقيما
بمكة حتى وافته منيته سنة تسع وخمسين .

ويرجح من ترجموا له أن إسلامه كان بعد إسلام بلال
رضى الله عنه ، فقد ذكروا أن النبى عليه الصلاة والسلام علمه
الآذان ، وقالوا إن تعلمه إياه كان فى « الجعرانة » ، وإن
أسقط البعض « الجعرانة » ولم يثيروا إليها .

وكان من خبره فى هذا الموضع أن الرسول عليه الصلاة
والسلام سمعه يحكى الأذان فأعجبه صوته الذى كان يدخل
القلوب بلا استئذان ، ويصافح السمع فتطرب له الآذان ،
وإنه لينبغى أن يكون المؤذن حسن الصوت حتى لا يكون ثقيلا
على السامعين منفرا .

ونعود فنقول إن الرسول صلوات الله وسلامه عليه لما
سمعه يحكى الأذان أعجبه محاكاته إياه . فأمر بأن يؤتى به
إليه ، ففعلوا ما أمروا . . قيل فأسلم يومذاك وعلمه النبى
الكريم كيف يكون الأذان الصحيح فتعلمه وأحسنه وأتقنه ،
حتى وصفه الرسول صلاة الله وسلامه عليه بالترجيع .

ونقل الناقلون عنه أن الهادى أخذه وألقى عليه الأذان
حرفا حرفا . . فتعلم ذلك منه ، ويا طيب ما تعلم !! .

وذا ع خبره فى حسن الأداء حتى كان الناس يرقبون
موعد الأذان فى شغف ولهفة ليسمعه ينشده وينادى الناس
للصلاة ، حتى كان أحدهم يسأل الآخر :
« أسمع أبى محدورة يؤذن ؟ إسمعه ولا يفوتك
سماعه » .



ثم أمره الرسول الكريم أن يؤذن بمكة منصرفه من
حنين ، فأذن .

ولم يزل أوس بن معير يؤذن فى مكة فيطرب ويشجى .
حتى إن الخليفة الفاروق سمعه ذات يوم يؤذن فقال له :
« كدت أن ينشق مريطاؤك » . إشارة إلى رقة أذانه ، وعذوبة
صوته ، وقوة إرساله ، وشدة رجعه ، واخذه بمجامع القلوب .

وكان الأذان نعمة على أبى محدورة وآل بيته فقد مارسه
الكثيرون منهم ، وكان فيه معاشهم ، وبالغوا فى الاهتمام به
من حيث الأداء والترجيع ، فقد أذن به ابن عمه ابن مُحيرز ،
ثم أولاده من بعده ، ثم صار الأذان — كما قالوا — إلى ولد
ربيعة بن سعد بن جُمَح .



وكان لأبى محدورة أخ لم يتفق المؤرخون على اسمه ،
فسماه بعضهم بأويس ، وقالوا إنه قُتل كافرا يوم بدر ،
وليس الأمر كذلك مع صاحبنا أبى محدورة : أوس بن
معير ، ولكن الأصح أن يقال فى هذا الأخ إن اسمه « أنيس » .



وكان لصاحبنا أبى محدورة صحبة لم يجادل فيها أحد ،
ولم ينكرها عليه منكر ، وكان هو ذاته حريصا كل الحرص

على رواية جميع ما حدث به النبي الكريم ، وما سمعه منه ، وما شاهده منه ، فوعى كل ذلك ، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺ يرى النعمة في صحبتته ، وهل بعد الصعبة من شرف أو غاية يرجوها المؤمن من متاع العيش ؟

وكان « معير » يرى الخير كل الخير ، والنعمة غاية النعمة في طاعة النبي ، والفلاح في الامتثال لأمره ، ويدرك عن حق أن النجاح إنما يكون في الامتناع عما نهى عنه وتبجحه ، أليس الحق تبارك وتعالى هو القائل « وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » !! *

إنه إن يأمره بالأذان فنعم الأمر نهجا وعملا * !!
وإن تمس يده الطاهرة شعر رأسه * * * فطوبى له
ويا سعاده !!

قال أحدهم : « رأيت أبا محذورة صاحب رسول الله ﷺ وله شعر طويل ، فقلت له : يا عم ، ألا تأخذ من شعرك هذا ؟ * * فأجابني : ما كنت والله آخذ شعرا مسح عليه رسول الله ﷺ ودعى لي فيه بالبركة » *

هكذا كان حبه للمصطفى وهكذا كانت طاعته له *
فرحم الله أبا محذورة صحابيا ومحدثا وراويًا ومؤذنا *
ورحم الله أبا محذورة رجلا اقتفى في كل خطوة من حياته خطى الرسول العظيم ، فقد ترسم أثره ، وأتم سميته * .

ورحم الله أبا محذورة فقد كان نعم الصحابي ونعم المؤمن الصادق الإيمان ، وإن شاء الله ينفعه إيمانه يوم لا ينفع أحدا إلا ما قدم في دنياه من عمل صالح مبرور

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾

صدق الله العظيم

صَعَصَعَةُ التَّمِيمِي مَحْيَى الْمُرُودَات

صحابينا في هذه الكلمات القلائل رجل جمع في جاهليته بين خصلتين : إحداهما ذميمة مقيتة ، والأخرى كريمة طيبة ، فأما الذميمة فكانت وثوبه على القوافل والسيارة إن كانت تحمل ما يغرى بالوثوب عليها ومهاجمتها ، وأما الكريمة فهي افتدائه الموعودة بماله والمن عليها بالحياة ، وأما ذلك الصحابي فهو :

صعصعة بن ناجية بن منال

الذي كان من بنى زيد بن مناة ، ومن ثم فهو تميمي ، ولذلك يعرف عادة بصعصعة التميمي .

كان صعصعة مطاعا في رهطه ، مقدما عندهم ، مسموع الكلمة فيهم ، إن ناداهم لبوه طائعين ، وهم قلما يخالفونه في أمر أو يخرجون على طاعته ، وكان أكثر ما يأمرهم به هو أن يترصدوا العير في رجالاتها ، ولا يتأخر هو عن مشاركتهم ما يقدمون عليه من نهب ، فبئس العمل الذي يأمرهم به ، وبئس ما يفعلون .



ولقد ظل صعصعة على جاهليته لا يريم عنها حولا ، ولا يرغب في التخلي عنها ، وما الذي يحمله على نبذها وهو يرى العرب قاطبة من بدو وحاضرة على هذا النمط من

الحياة ٠٠ ؟ ولماذا يخرج على جاهليته في أسلوب حياتها وعاداتها وان كان بعضها ذميما مكروها عند كل ذى عقل ؟ ، لكنه كان في الوقت ذاته كارها أشد الكراهية لعادة جاهلية مستهجنة ذميمة ، وكان يستنكر ما جرى عليه أهل وقته أو أكثرهم من وأدهم البنات : عادة ممجوجة نشأوا عليها . فليس ثم عمل أبغض الى نفس صعصعة وأكثر اشمئزا اليها مما جروا عليه من هذا الواد .

ألا ترى أنهم اذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظلم ، يتوارى من العار يلحقه إذ ولدت امرأته بنتا كأنما يريد أن يتدخل في مشيئة الله وما هو بقادر على خلق قلامة ظفر في إصبعه .

كانت نفس صعصعة بن ناجية تشجب هذه العادة الذميمة ولا تميل إليها ، وتبغضها أشد البغض ، ويزدريها هو كل الازدراء وينهى عنها ، فإن سمع برجل رزق أنثى دفع إليه من المال ما يرضيه ، وأبقى هو على المؤدة حياتها ، فجزاء الله على ما قدم من خير خيرا حين أسلم وجزاء الله أحسن الجزاء على ما أبقى من حياة وليدة كانت نطفة فصارت لحما وعظاما ، ثم صارت كائنا آدميا يتنفس ، وكان لصعصعة أجره على الله حين هداه الله إلى محجة الحق ، وألقى في قلبه نور الإيمان ، وغسل عنه إثم الجاهلية وأدرانها .



ولقد حدثوا أن أحد عمال كسرى على اليمن بعث إلى مولاه طرفا من طرف اليمن، فلما بلغ الركب بلاد بنى تميم دعا صعصعة بن ناجية رهطه من بنى تميم للتعرض للركب والوثوب عليه ، وما كان عليهم إلا أن يلبوا أمره لولا أن الذى يعرضون له هذه المرة كان مرسلا إلى كسرى فارس ، وكسرى ملك الملوك عند البدو : يعظمون قدره ، ويخشون

شره ، ويتجنبون بطشه ، ويتقون أذاه ، ذلك أنهم يعرفون منهم ان آغضبوه بطش بهم بطش جبار غشوم ، ويكرهون ان يكونوا مشار غضبته فغضبته ضارية ، وجنده لا يعرفون الرحمة ، ويكرهون العرب والبدو .

وكره التميميون أن يكونوا عرضة لثورة كسرى عليهم ، فيا ويلهم ثم يا ويلهم إن غضب كسرى عليهم ، وسحقا لهم وبئس المصير ان استهدفتهم ثورته .

أمر صمصعة قومه بالتعرض للركب فأبى قومه ، وما اعتاد قط أن يخرج خارج على ما يقوله صمصعة ، لكنه سكت على مضض .

حتى إذا جاوزتهم الطرّف إلى بلاد بنى يربوع دعا رهطه ثانية إلى ما دعاهم إليه من قبل وخوفهم إن هي مرت على بلاد بكر بن وائل أن يثب عليها بنو بكر وأن يستعينوا بها على قتالهم ، فلما تبين لهم الحق فيما قال أجابوه إلى ما طلب ، ووثبوا على الركب وانتهبوا ما معه .

وبلغ الخبر كسرى فأسخطه أشد السخط وأضرم نيران حفيظته ، وهاج هائج ، ف ضرب أرنبه أنفه بإصبعه ، وأزعجه أن يعرض الأعراب الى شيء عرف الجميع أنه مرسل لكسرى فارس : قاهر الروم أصحاب الصولة والجبروت . فاستقدم إليه رجلا من اليمن اسمه « وهرز » وقال له : « أرايت هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا ؟ » ، فأجابه الرجل : « أجل يا ملك الملوك وقاهر الجبابرة » .

فسأله : « أصلح هم لك يا وهرز ؟ » .

فأجابه : « بل بيننا الموت !! »

فقال كسرى : أدركت بعض حاجتك يا وهرز ونلت

ثأرك ، فوجه الخيل إلى بنى تميم .

فوجهها من ساعته .

وسمع الذين حول كسرى بما أشار به مولاهم على اليمنى وهرز ، وأدركوا ما سوف تتمنض عنه الأمور ، ورأوا بعين

الغيب ما سوف يكون من جراء هذا الأمر يصدره كسرى إلى
وهرز من خواتيم لا تحمد عقباه ، ولا تودها فارس التي
سوف تتأذى بها قبل أن يتأذى بها العرب ، فعمدت فارس
إلى تحذير مولاها وقالوا له : « إن أرض بنى تميم مفاوز
وصحارى ، ولا يؤمن أن يعوروا آبارها فيكون فى ذلك هلاك
جند فارس » .

وتدبر كسرى ما قالوه فلم ينكر فيما بينه وبين نفسه
صدق ما قالوا ، وأدرك أنه الحق جاءه على ألسنتهم . . . ولكن
أيسكت كسرى عن قوم تطاولوا عليه . . . ولم يكن هؤلاء
المتطاولون من الروم حتى يقول : كفؤان تصارعا وجهها
لوجه ؟ ولكن الطامة التى ما بعدها طامة ، والهوان الذى
ما بعده هوان هو أن اللطمة نجاءته من جماعة من البدول يراهم
فى العير ولا فى النفير ، لذلك دبر حيلة مع عامله بالبحرين
واسمه « المكعب » احتال بها ليؤدب بنى تميم على ما فعلوا
. . . وكان ما فعلوا فى نظره أمرا إذا وجريمة شنعاء ،
وأنزل الضر ببنى تميم الذين لم تنجهم براعة صمصعة بن
ناجية ، وأخطأت صمصعة فراسته هذه المرة .



ثم جاء الإسلام وقذف الله الإيمان فى قلب صمصعة بن
ناجية وحببه إليه ، وتخلص من أثام الجاهلية ، وتاب مما كان
عليه فى أيامه السالفة إلا من كراهية الواد ، ونطق بالشهادتين
بين يدي رسول الله ﷺ الذى تقبله بين الصحابة أخا ولد من
جديد ، طاهرا نقيّا تقيا . . . والاسلام يطهر النفس من كل
شائبة ويجب ما كان قبله .

ولقد حدث هو نفسه عن إسلامه فقال :

« قدمت على النبى ﷺ فعرض على الإسلام فأسلمت ،
وعلمنى آيات من اقرآن ، ثم قلت له : يا رسول الله إنى عملت
أعمالا فى الجاهلية فهل لى فيها من أجر ؟ »

قال : « وما عملت ؟ » •

قلت : ضلّكت لي ناقتان عشراوان ، فخرجت أبغيهما على
جمل لي ، فأبصرت بيتين في فضاء من الأرض فقصدتهما ،
فوجدت في أحدهما شيئا كبيرا •

« فبينما هو يخاطبني وأنا أخاطبه اذ نادته امرأة من
الداخل وهي تصيح به : قد ولدت • • • قد ولدت • • • !!

قال : وما ولدت يا امرأة ؟

قالت : جارية !!

قال ادفنيها •



ويتابع صعصعة بن ناجية حديثه فيقول :

« فقلت للشيخ : أنا أشتري منك روحها • • فلا تقتلها •

« فاشتريتها بناقتي وولديهما والبعر الذي تحتى » •

« وقد أحييت ثلاث مائة وستين مؤودة •

« وكنت أشتري كل واحدة منهن بناقتين عشراوين
وجمل •

« فهل لي من أجر يا رسول الله ؟ »

فقال عليه الصلاة والسلام : « هذا باب من أبواب البر ،

لك أجره اذ من الله عليك بالإسلام » •

وكانت لصعصعة صحبة ، فقد جاء في الكتب الصحاح
أحاديث حسنة منها أنه روى عن الرسول الكريم أنه سمعه
يقول : « من يضمن لي ما بين لحيته ورجليه ، أضمن له
الجنة » •



ويسأله النبي عليه الصلاة والسلام ذات يوم كيف عليه
بمضر ، فيجيبه :

« أنا أعلم الناس بهم يا رسول الله !!
« تميم : هامتها وكاهلها الشديد الذي يوثق به ويحمل
عليه .

« وكنانة : وجهها الذي فيه السمع والبصر .

« وقيس : فرسانها ونجومها ...

« وأسد : لسانها » .

فقال له الصادق الأمين : « صدقت » .

هذا هو صعصعة بن ناجية الذي يقول فيه حفيده
الفرزدق الشاعر المعروف :

وجدى الذى منع الوائدات وأحىى الوئيد فلم يوءد

رحم الله صعصعة بن ناجية لقاء ما قدم من معروف فى
جاهليته ، ثم زاد خيره حين أسلم وآمن واتقى واهتدى .

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَآلُ الصَّالِحِينَ كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَائِهِمْ وَلَكِن يَنْهَوْنَهُم
كَأُولَئِكَ ۝

صدق الله العظيم

أوس بن ثابت

نزلت آيات الودع بعد موته

فى تاريخ الصحبة الشريفة أخوان جليلان، وأنصارىان
خزرجىان، كانا فرسى رهان فى خدمة الإسلام ، وطاعة النبى
عليه الصلاة والسلام ، وكانا حربا شعواء على أعداء الملة ،
أما أحدهما فشاعر ينفرد بأنه منعموت فى تاريخ الأدب
العربى بشاعر الرسول ﷺ ، وأكرم بهذا النعت الذى
تفرد به دون سائر الشعراء وهم كثر ، واعتز هو به لا سيما
وأن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الهادى يقول عنه :
« إن الله يؤيده بروح القدس ما نافح عن رسول الله . »
ذلك هو الشاعر حسان بن ثابت .

أما أخوه فأوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ، وينتهى
النسب فىهما إلى زيد بن مناة .



ولقد شهد أوس بدرا وأحدا كما يتفق المؤرخون على
وذلك ، وإن اختلفوا فيما بعد أحد ، فقال البعض — وهم
صادقون — إن وفاته كانت يوم أحد .

وقال آخرون بل ظل حيا حتى لقد شهد المشاهد كلها مع
النبى الكريم ، ثم يبالغون فيقولون إن الحياة امتدت به زمنا
ليس بالقصير حتى مات فى زمن الخليفة عثمان بن عفان ،
وهو قول يدحضه ما جرى لابنتيه فى حياة الرسول عليه
الصلاة والسلام إذ أدت وفاته إلى نزول آيات من القرآن
الكريم فى الإرث .

فهل رأى أحد مثل هذا التباين العظيم فى تاريخ وفاته ؟
فأحدهما يجعله فى حياة البشير ﷺ ، وثانيهما يجعله يطوى
السنين حتى يشهد عهد الصديق وذى التورين !! *

وكثيرا ما نصادف مثل هذا الاختلاف وتلك المفارقات
فى تواريخ الصحابة وبعض الأحداث ، مما يتطلب من الناظر
فى هذه الكتب أن يكون ذا عين بصيرة نفاذة حتى يتبين
الحقيقة ، وإلا ضاعت معالم الطريق أمامه .

وإن هذا الاختلاف قد يكون أحيانا بين ثقات المؤرخين
مما يجعلنا فى حيرة بأيهم نأخذ وأيهم نرفض ، والخوف كل
الخوف أن نأخذ بقول قد تنكره الحقيقة ويرفضه الواقع ،
وإذ ذاك نجنى على التاريخ وعلى الحقيقة وعلى الصحابي ذاته
.. والله لا يرضى الظلم .



والإجماع منعقد بين المؤرخين على أن ثابت بن أوس
شهد العقبة مع السبعين من أهل يثرب يوم جاؤوا إلى الرسول
الكريم فى موسم الحج مصدقين إياه ، مؤمنين بنبوته وبإيعوه ،
وكان أوس بن ثابت واحداً من هذا الرهط الكريم الذى ضم
العدد الكبير من المؤمنين الصادقين ، كما ضم امرأتين جليلتين
بايعتا مع النضر اليثريين ، فكان إسلامهم إسلاماً قائماً على
أساس متين غير مزعزع ، وإيمان صادق غير مغموز ، وولاء
لإمام المتقين وهو ولاء هيهات أن يرقى إليه الشك أو تخامر
الظنة فيه أحدا .

من هذا المنطلق لا يجروُ أحد على المكابرة فى أن إسلام
صحابينا الصحابي الجليل أوس بن ثابت قديم قبل أن يعم
الإسلام يثرب ، وقبل أن يهاجر إليها الرسول عليه الصلاة
والسلام ، ويوم كان الكفر يعشش فى أرجائها ، وظلام الحياة
يغيم على كل ربوعها ، حتى لم يكن يدور بخلد أحد أن ينجلي

هذا الظلام ، أو ينتهي هذا الديجور إلى صبح منير ، وعرف الجميع إن ليس لهذه الظلمة التي لفت العالم وشبه الجزيرة العربية فجر صادق . . لا تلبث الحنيفية السمحة إن اشرفت برحمة ربك ، فإذا أنوارها تكشف هذه الدجنة الطخياء ، وإذا بشمسها تبد السحب الكثيفة ، وإذا الناس قاطبة يسعى نورهم بين أيديهم بأذن ربهم .



ويهاجر المسلمون إلى المدينة فيفتح أهلها الأنصار قلوبهم قبل أن يفتحوا بيوتهم للإخوانهم المهاجرين ، ويوسعون لهم في دورهم ، وحينذاك ينزل عثمان بن عفان على « أوس بن ثابت » رضى الله عنهما ، وإن قال التاريخ أيضا إنه نزل في دار بنى النجار .

ويؤاخي النبي العظيم بين هذين الصحابين الكريمين ، ويفشى « أوس بن ثابت » مجالس الهادى ليستمع إلى أحاديثه الشريفة الهادية ، ويأخذ عنه ما يقوله وما يفعله ، ثم يحدث به .

ويشهد أوس فترة حية من تاريخ الإسلام كانت فترة صراع عنيف بين الشرك والتوحيد ، وبين الكفر والإيمان ، وبين النفاق والصدق ، وبين الضلالة والهدى .

ويدرك أوس - كبقية المؤمنين - بأن الكفر لا بد أن يقاتلهم ، بعد أن لاقى الهزيمة على يد النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه بمكة وأنهم أفسدوا على الكفر وشيعته - وأنهم لبئس الشيعة - ما كان عليه آبائهم من ضلالة وغى . . . فليقاتل أوس والمسلمون أئمة الجبت وأولياء الشيطان وأبالسة الطاغوت لعلهم ينتهون .

ويرى أوس بن ثابت النبي الكريم يضع أسس الدولة الإسلامية الكبرى ، فلا يتأخر عن أن يساهم هو أيضا في

المساهمة فى اقامة هذا الصرح الشامخ فى التاريخ ، الباذخ
فى علاه ، بجهد المؤمن فيخرج للجهاد حين يدعو الرسول
للجهاد ، فاذا كان اليوم يوم بدر وقد خرج المسلمون فى
ثلاثمائة رجل ونيف ، يخرج فى صحبتهم أوس بن ثابت
فكان بذلك خزرجيا أنصاريا عقبيا بدريا .



وكان لأوس بن ثابت بعد موته أثر فى تشريع جديد ،
فلقد مات وخلف من بعده ولدا وابنتين ، كما يقول البعض
فجاء ابنا عمه (وهما عصبه) فأخذا ميراثه سيرا على ما كان
شائعا فى الجاهلية ، أو كما قال ابن عباس رضى الله عنهما
« كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الأولاد الصغار
إلا أن يدركوا » .

ومن ثم جاء ابنا عم أوس بن ثابت وشرعا فى تطبيق
سنة الجاهلية . . . وما كان لأحد أن يعييهما فى ذلك النهج
ولا يلومهما عليه ، فإنما سارا على شرعة الجاهلية التى صارت
عرفا وعادة وقانونا ، ولم تكن قد نزلت حتى تلك اللحظة آية
تنسخ هذه العادة الجاهلية حتى يكف عنها المسلمون .

وكرهت أرملة أوس بن ثابت ما جرى من ابني عم
زوجها الراحل ، فجاءتهما وقالت لهما : « لم لا تتزوجان ابنتيه
ويكون لكما الإرث ؟ » فأنكرا العرض ورفضاه ، وقيل كان
رفضهما لدماة كانت عليها ابنتا أوس ، وهى دماة نفرت
الرجلين منهما وصرفتها عن الزواج بهما ، وحينذاك مضت
أرملة أوس إلى النبی الهادى وقالت له :

« يا رسول الله : مات أوس عن ولد صغير وابنتين ،
وجاءنا ولدا عمه خالد وعرفطة ، فأخذا ميراثه ورفضاه
الزواج من ابنتيه ، فماذا تقول يا رسول الله ؟ » .

فقال لها الهادئ الأمين : « ما أدري ما أقول ، وما جاءني من الله عز وجل شيء في هذا » .

وانصرفت أرملة أوس بن ثابت وهي لا تدري ما تفعل ، وبقي النبي عليه الصلاة والسلام لا يدري من هذا الأمر شيئاً إذ لم ينزل عليه الحكم بعد من الله ، لكن ما لبث رب العزة والجبروت أن أنزل على نبيه الأمين قوله تعالى :

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

وحينذاك أرسل الرسول الى عرفة و خالد يقول لهما :

« لا تحركا من الميراث شيئاً فإنه قد أنزل الله عز وجل على شيئا ، أخبرت أن للذكر والأنثى نصيبا » .

فتوقف ابنا العم عن أخذ الميراث حتى يأتي الحكم الفصل من الله ، ثم يعلنه عليه الصلاة والسلام عليهما وعلى المسلمين كافة ، وليكون ذلك شرعا متما أزليا .



ثم نزل بعدئذ على النبي قوله عز من قائل :

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفَصِّلُ لَكُمْ فِيهِنَّ وَمَا نَكَّيْكُمْ فِي آلِهَتِكُمْ فِي
يَسْأَلُ النِّسَاءَ إِلَى لَوْ تَوَدَّعْنَ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبْنَ أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ
وَلَسُنَّ مُضْغَعِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُولُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا فَعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِبِعْمَالِهِمْ عَلِيمًا ﴿٦﴾

صدق الله العظيم

فدعاهما الرسول مرة أخرى وقال لهما : « لا تحركا في الميراث شيئاً » .



ثم نزل الوحي على النبي بعد ذلك بقول الحق تبارك وتعالى :

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرُمَ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ
فَلِكُلِّ فَلَنَ مِمَّا تَرَكَ وَالَّتِ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا
السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ
فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ عَآبَاءُ وَهُدًى
وَأْتَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنْ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ①

صدق الله العظيم

وحينذاك جاء الرسول بتركة أوس بن ثابت وقسم الميراث حسب الشرع على مستحقيه ، فأخذت امرأته الثمن مما ترك الرجل ، وجعل للولد مثل حظ الأنثيين •

وذاع خبر ذلك بين الناس وشاع ، وعلم به القاصي والداني ، وعجب البعض من أن يتغير ما تألف عليه العرب في الجاهلية من حيث الإرث ، وحينئذ جاء عِيْنَةَ بن حصن الفزاري في ناس من العرب وقالوا لنبي الرحمة عليه الصلاة والسلام : « يا رسول الله • • ماذا بلغنا عنك ؟ » قال : فسألهم عما بلغهم فأجابوه : « بلغنا أنك ورثت الصغار الذين لم يركبوا الخيل ولم يحرزوا الغنيمة ، وأنت ورثت البنات اللاتي يذهبن بالمال إلى الأبعد » •

فكان جوابه أن قرأ عليهم القرآن الكريم الذي نزل في هذا الصدد ، ثم أمرهم بما قضى به الله سبحانه وتعالى ، ولا راد لقضائه •

هذا ما رواه ابن الأثير وهو من الكتاب الثقات •

وهكذا كان في موت أوس بن ثابت تشريع في أمر من
أمور الحياة الدنيا، لا تضطرب معه موازين العيش حتى لا تقع
فرقة أو اختلاف بين الورثة إن مات ذو نسب عن تركة ،
وهو تشريع سيظل متبعاً لأنه قضاء الله عز وجل . . سبحانك
ربنا سمعنا وأطعنا .

وَمَاءِ إِنْكُمْ وَالرَّسُولُ يَفْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَتُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
صدق الله العظيم

مَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ

المهدي الذي هدى أباه للاحق

هذا صحابي خزرجي أسلم من الله عليه بالإسلام مبكرا ، وكان من بيت عرف في الإسلام أنه بيت إسلام ، فقد آمن به هو وأبوه وإخوة له أربعة شهدوا جميعهم بدرا ، وحاربوا إلى جانب النبي بصدق وإخلاص وأطاعوه ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله واهتدى •

أما هذا الصحابي فهو :

معاذ بن عمرو بن الجموح

كان معاذ إبننا لرجل من بنى جشم بن الخزرج ، وكانوا يعدونه سيدا فيهم ، وأنه نسيج وحده في كل شيء كريم ، ويستمعون إلى رأيه لأنهم يدركون أنه لا يصدر فيما يقول إلا عن حق وصدق ، فهو رجل قد أربى على الأكفاء ، وانفرد عن مواقف الأشباه •

وقد تأخر إسلام الأب عن إسلام ابنه معاذ ، وإن أكرمه النبي عليه الصلاة والسلام حين قدمه على غيره بسيادته على قومه ، فكان ذلك تقديرا منه ، ووضع الرجل المناسب في المكان الصحيح ، وقد نعت الهادي الأمين بأنه « السيد الجعد الأبيض » ، وحتى قال الشاعر فيه :

وقال رسول الله والحق قوله

لمن قال منا : من تسمون سيدا ؟

فسود عمرو بن الجموح لجوده
وحق لعمرو بالندي أن يسودا
إذا جاءه السؤال أذهب ماله
وقال : خذوه انه عائد غدا

كان الابن معاذ قديم الإسلام ، فقد أسلم والدعوة لاتزال
فى مهدها تحبو ، وعودها أخضر ، وقد شهد العقبة ، وبائع
النبي بمنى ، ثم عاد إلى يشرب مطمئن القلب ، رضى النفس ،
منشرح الصدر ، وراح يبشر بالدين الذى عرفه ، وانطلق
ينشره بين الناس الذين يخالطهم ويخالطونه ، وحسبه أنه
هدى أباه للإيمان إذ أنف من جاهلية أبيه وما كان عليه من
جهل وجهالة ، فكان يسخر من صنم كان يعبد أبوه سخرية
جارحة قاتلة •

كان معاذ حين أسلم شابا فقدف الله الإيمان فى قلبه
فشبت فيه ، وتمكن منه تمكنا لا قدرة لأحد ما أن يزعجه عنه
أو يشككه فيه ، ثم راح يعلنه لكل من حوله ، لا يكل من شرح
ما أدركه منه ، عسى أن تكون فى ذلك هداية للضالين ،
ترشدهم إلى الطريق القويم ، وتأخذ بيدهم إلى السبيل
المستقيم •

ولقد أخلص معاذ النية لله ولرسوله ، وكان من الذين
اعتزوا بدينهم ، ورأى الجهاد حقا وأنه سبيل المؤمنين
القانتين ، وأن الله أرسل رسوله بالحق مبشرا ونذيرا ، وما
كان فى ذلك من الممترين ، وأسعده الله أن شهد بدرا ، وحارب
يومها الكفر باذلا الروح ، فمكته الله من عدو الله وعدو
الرسول والدين ، ولم يتمكن منه أعداؤه ، وبذلك ساهم
مخلصا فى نصر الملة ورفع رايتها •

ثم أيداه الله عز وجل بأن جعل على يده هداية أبيه للحق ،
وكان لتلك الهداية قصة ، ذلك أن أباه عمرو بن الجموح
كان كما قلنا سيذا فى قومه ، جوادا كريما ، مسموع الكلمة ،
نافذ الرأى ، يجله الخزرج ويأخذون بقوله •

إلا أنه كان على جاهلية مذمومة شائعة بين العرب جميعا ونعنى بها عبادة الأصنام ، فهو عاكف عليها حتى لقد اتخذ لنفسه فى داره صنما من خشب سماه « مناة » ، وراح يتقرب إليه ويعظمه ، ويستقسم عقده ، ويظهره بالطيب ، ويركع - وهو الرجل الحصيف - أمام هذا الصنم الذى لا يسمع ولا يعى ، ولا يدفع شرا أو يجلب خيرا .

ومع أن الاسلام كان قد انتشر نوره فى المدينة المنورة وعم ضياؤه ، الا أن عمرو بن الجموح ظل فى غيه ، سادرا فيما هو فيه من ضلالة فلم يعتنقه ، ولم يكثرث بما يقوله له من أسلموا واهتدوا ، وفيهم رجال يعرف « عمرو بن الجموح » ما هم عليه من رجاجة العقل والفطنة والألمعية ، وأنهم إن قالوا شيئا فقد صدقوا القول وأصابوا محزّ الحقيقة .

وعز على ابنه المسلم معاذ - الذى شهد العقبة وبايع - أن يكون أبوه - وهو السيد المطاع - على ما هو عليه من بعد عن الطريق السوى ، ولم تسعفه بصيرته أن يعرف الصراط المستقيم اذ كيف يكون ذلك أمر أبيه ، والقول الحق فيه أنه السيد العاقل ؟

وتعجب معاذ من أبيه ، وتأفف مما هو عليه من ضلالة .

إنه يجمع بين النقيضين ، ويسير فى درب لا ينتهى أبدا إلى السلام .

لئن يسلم أبوه « عمرو بن الجموح » فقد اكتملت له الصفات الطيبة ، وإن خير ما يتوج به هذه الخصال هو أن يسلم وجهه خالصا لله رب العالمين ، الذى لا شريك له ، ويجعل الإسلام له ديننا ، ويؤمن بمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا .

ويحدث الإبن أباه بالدين الذى جاء به النبى العربى القرشى المكى محمد بن عبد الله من عند الله سبحانه وتعالى ، سبحانه من واحد أحد ، ليس بمولود وليس له ولد . . ولكن

الآب يظل بمعزل عما يحدث به ابنه ، ويبقى بمنأى عما
يخبره به ابنه وهو الصادق فيما يقول •

ويُصم عمرو بن الجموح أذنيه عن كل ما يسمع • •

وحسبه من كل ما يسمع ما نشأ عليه • • وحسبه من
دنياه : وثنه هذا الذى صنعه بيده ووضعه فى ركن من
داره ، وعكف على عبادته والدعاء بين يديه •



ورأى ابنه معاذ المؤمن ما يفعل أبوه ، وكره منه أن يذل
لصنم من صنع يديه ، وآلى إلا أن ينتقم من صنم أبيه :
« مناة » •

وانه ليسخر منه سخرية تحمل آباء ذا العقل الراجح
على أن يرجع فى النهاية عن ضلاله ، وينبذ ما هو فيه من
غواية وسفه •

ومن ثم فإن صحابيننا الشاب الأمين كان إذا جن الليل
صاحب فتيانا من بنى سلمة ممن على شاكلته إسلاما وإيمانا ،
وآراد الله بهم الخير والفلاح فاهتدوا •

ويمضى معاذ بن عمرو بهذا الرهط من الصحاب تحت
جناح الليل البهيم إلى حيث صنم أبيه ، ثم يأخذونه ويطرحونه
فى حفرة كان بنو سلمة يلقون فيها أوساخهم وقاذوراتهم •
فاذا طلع الصباح وأشرقت الأرض بنور ربها مضى « عمرو بن
الجموح » إلى حيث يظن أن صنمه موجود فلا يجده حيث تركه
فى الليلة الغابرة ، ويبحث عنه فيجده ملقى فى حفرة الأقدار
والأوساخ منكسا ، فيحمله فى رفق ولين ، ويغسله مما علق
به ، ثم يطيبه ، ثم يعيده إلى مكانه الذى كان به بالأمس •

كان معاذ يفعل ذلك كل ليلة ويفعله معه فتیان من بنی سلمة ، دون أن يعرف أبوه من يكون الفاعل ، ولا من ذا الذي يصنع هذا الصنيع المزرى بصنمه ، ولا الفعل القبيح في نظره ، ولو تبصر لأدرك أن ركوعه للصنم إنما هو القبح ذاته ، وأن تقربه إليه بالدعاء إنما هو كفر بعقله قبل أن يكون كفرا بأي شيء آخر .

ويتكرر ذلك الأمر كل يوم وكل ليلة من الابن ورهطه ، ومن الأب وصنمه ، ويضيق عمرو بن الجموح ذرعا بما يحدث لصنمه ، إذ يرفعه كل صباح من بين القاذورات ويفسله ويطيبه ويرجعه إلى حيث موضعه .

ويتكرر ذلك كل ليلة وكل صباح . .

وتتوالى الأيام ، والأمر على ما هو عليه .

وتدبر عمرو ثم فكّر فقرر أن يأتي صنمه بسيف يعلقه في رقبتة ، عساه يدافع عن نفسه فيدفع ما يفعله به الزارون الساخرون به . وظن عمرو أنه بذلك قد بلغ الغاية وأفسد على الفعلة ما يفعلون ، فاطمأن باله ، وانكفأ إلى داره مستريحا .

لكن السيف لم ينفع الصنم ، ولا أجدى عمرا الذي ما كاد يشرق الصباح حتى جاء صنمه فوجد الأمر في يومه كما كان في أمسّه ، وفي كل أمس قبله .

وزاد بأن وجد جييفة نثنة لكلب ميت مقرونة به .

وتنظر عمرو إلى صنمه «مناة» وهو في هذه الحالة ، وتدبر وتفكر ، فانبجست الظلمة عن بصيرته ، إذ أدرك أن لا طاقة للصنم بدفع الأذى عن نفسه ، فإن يكن الأمر كذلك فكيف يدفعه عن غيره ؟

وتأمل وتفكر . . . ثم تأمل وتفكر . . . فإذا به يسلم .

وهكذا كان إسلامه بسبب ابنه معاذ بن عمرو بن الجموح
الصحابي الذكي .

والصحابي - أيا كان هذا الصحابي - هاد ومهتدي .



ولما جاء اليوم الذي جمع الكفر فيه من جمع من رجاله
وما عنده من سلاح وكراع ، وخرج البعض من المسلمين
لقتاله . في بدر كان معهم معاذ بن عمرو بن الجموح الذي حارب
وسيفه في يده ، وإيمانه في قلبه ، ونور الحق بين عينيه ،
وقائده المعلم الهادي محمد عليه الصلاة والسلام .

في هذا اليوم ، وفي ساحة بدر مضى صاحبنا معاذ إلى
رأس الكفر أبي جهل وقد دله أحدهم عليه ، وكان أبو جهل
في حشد كثيف لا يكاد يصل إليه أحد من خصومه .

وفي ذلك يقول ابن إسحق في السيرة إن معاذ بن عمرو
سمع الناس يقولون قبل مقتل أبي جهل إنه لا يستطيع أحد
أن يخلص إليه ، فأراد هو أن ينفذ إليه ، وجعله - كما قال -
من شأنه وقصده ، ثم حمل عليه فضربه ضربة أطارت رجله .

ويسر الله الأمر لصاحبنا معاذ فحاذأ أبا جهل ، ثم
ضربه بسيفه ضربة قطعت قدمه بنصف ساقه . . . وقال هو
في وصفها : « فوالله ما شبهتها حين طاحت إلا بالنواة تطيح
من مريضخة النوى حين يُضرب بها » .

وسقط هيكल من هياكل الشر ، وصرح من صروح
الفتنة ، وانقض عرش الطاغوت في يومه ، وتبدد لا يقدر
أحد على له .

وصرع رمز الإثم أبو جهل صرعة كان فيها الإجهاز
عليه . وأودت به إلى سقر ، وانها لماوى الفجرة الظالمين .

وإذ ذاك انطلق ابنه عكرمة بن أبى جهل - وكان لا يزال على جاهليته - إلى الصحابي المؤمن معاذ بن عمرو فضربه على عاتقه ضربة قطعت يده إلا من جلدة شدتها إلى جانبه ، فراح يسمى ويسحبها إلى خلفه ويقاتل ، رغم أنه كان قد أجهد نفسه فى القتال فى ذلك اليوم ، حتى إذا أدته وضع عليها قدمه ثم تمطى عليها فطرحها •

وقيل إن النبى عليه الصلاة والسلام قضى إذ ذاك بسلب أبى جهل لمعاذ •

هكذا كان بلأء « معاذ بن عمرو بن الجموح » يوم بدر ، وإنه لبلاء أكرمه الله فيه حين جعل على يده مصرع واحد من أشد الكفار كراهية للإسلام وإيذاء لرسوله ومعاربة للمسلمين وتأليباً عليهم • • • وإنه لبلاء أرضى به معاذ ربه ورسوله والمؤمنين •

وحسب معاذ مكرمة أن كان على يديه هداية أبيه للإسلام ليعتز الدين بعمره بن الجموح أيضاً مجاهداً وذاباً عن يبيضته ، ومنافحاً عن رسوله •



ثم قدر الله لمعاذ أن يشهد أحدا • •

يوم تراخى المسلمون أو بضعة منهم فى طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فكان آخر هذا اليوم عليهم ، وانتهى بهم إلى ألم أدركوا معه كبير خطيئتهم إذ خالفوا أمر الرسول •

وحسب معاذ بين عمرو أن كان من أهل العقبة التى عاد منها ليبشر بظهور النبى المجتبى الذى كان اليهود يهددونهم يقرب ظهوره •

وحسب معاذ بين عمرو أيضاً أنه كان طائئاً لمن طاعته طاعة لله عز وجل •

ويكفيه فخرا أن يكون مجاهدا في سبيل الله ينشر دينه
ويعلی كلمة الحق *

وحسبه أن يكون كارها للشرك ، مسفها للكفر ، فكان
من الراشدين الذين حبيب الله سبحانه وتعالى إليهم الإيمان
وزينه في قلوبهم ، وبغض اليهم الكفر والفسوق والعصيان ،
وتلك نعمة من الله وفضل يمنحه عباده المتقين *

هذا هو معاذ بن عمرو بن الجموح أحد السابقين للإسلام
ومن رجال الرعيل الأول *

وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَدَّمُونَ ۖ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأُولَىٰ ۖ ۝
وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ۖ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَلِّدِينَ ۖ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وَلَدُنُّهُمْ خَالِدُونَ ۖ بِأَكْوَافٍ وَأَبَارِقٍ وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ۖ لَا يَصُدُّعُونَ عَنْهَا
وَلَا يَنْزِفُونَ ۖ ۝

صدق الله العظيم

زياد بن السكّن

رجل باع نفسه للنبي (صلى الله عليه وسلم)

الصحابي زياد بن السكّن بن رافع بن امرئ القيس :
أوس أشهلي أنصاري ، كان مثالا للصحابي الصادق الايمان
الذي لا يقدم على حب رسول الله أحدا ولا شيئا ، ولو كان
هذا الأحد نفسه أو ولده ، وكان يعتبر وجوده عليه الصلاة
والسلام رمزا بليغا لنشر الرسالة ، ولا يعنيه شيء في الحياة
إلا أن يسير على نهجه ، ويسلك دربه ، ويؤم سمته الذي
لا يضل من اتبعه * *

ويعّد زياد بن السكّن من كبار الأنصار وأقدمهم إسلاما ،
فقد آمن بالحنيفية السمحة منذ دخولها يثرب حين بشر بها
طائفة من الأنصار من حجاج العقبة : أول الأنصار إسلاما ،
وأسبقهم دخولا فيه ، فرحموا أنفسهم وما علموا أيّ حسنة
اكتسبوها بسبقهم غيرهم إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها
السموات والأرض أعدت للمتقين ، وكان ذلك فضلا من الله
عليهم *

عاد هؤلاء الحجاج من موسمهم وقد فتح الله قلوبهم ،
وهدى بصيرتهم ، وأزال غشاوة الجاهلية عن عيونهم ، فعرفوا
الحق فاتبعوه ، وكرهوا الباطل فشجبوه ، وجانبوا الكفر
فنبذوه ، وأقبلوا ونورهم يسعى بين أيديهم ، لا يبتغون إلا
وجه ربهم الأعلى ، ولم يعرف عنهم مين ولا لغو ، أو يؤثر
عنهم تأثيم *

أقبل هؤلاء الحجاج على مَنْ يتوسمون فيه العقل والحجاء
والرشد والحلم ، يدعوونه إلى وحدانية الله ، وإلى الدين الذى
بشر به العربى القرشى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ،
فوجدت دعوتهم استجابة طيبة ، وصادفت أرضا خصبة ،
وأصاحت لها آذان واعية ، وتلقفتها بالرضا قلوب ظامئة
للحق ، حتى لقد أقبل على الإسلام فى ثلاثة مواسم متتالية
نفر كبير من أهل يثرب بصورة تدعو إلى الإعجاب والدهشة ،
وتملؤ نفس المؤمن بالثقة ، فيزيد الله أصحابها فضلا كبيرا
من فضله .

كان من هؤلاء اليثريين « زياد بن السكن » وأسرت
الذين أقبلوا على الإسلام إقبال الظامىء الصادى على الورد
العذب ، فكان بردا وسلاما يرتوون منه ويبشرون به ، وتلقف
زياد بن السكن هذا الدين بعقل متفتح ، ورأى فيه نجاة
لنفسه التى كاد أن يفقدها فى الجاهلية ، فأوغل فيه لكن
برفق ورشد وأناة .

وأحب زياد بن السكن - رضى الله عنه - رسول الله ﷺ
حبا جما ، ترجمت عنه كل لحظة من حياته بعد أن شهد
ألا إله إلا الله وحده ، وأن محمدا رسوله ، وأن الدين عند الله
الإسلام ، وأن من يبتغى غيره ديننا فلن يقبل منه ، ويكون
- وقانا الله - من الضالين الذين غلبت عليهم شقوتهم .

وزاد إقبال الناس على الإسلام وكثر رهطه .

وزادت شوكة المسلمين قوة ، وأووا منه إلى ركن شديد
المنعة ، يعصمهم من الزلل ، ويجنبهم مزالق الخطل ، وأزعج
الأمر قريشا إذ أصبحوا يرون فى هذه الجماعة المسلمة الشوكة
التى تقض مضاجعهم فلا يهدأ لهم بال ، وتهدد طرق قوافلهم ،
فيأكلهم الهم ، ويخافون منها على تجارتهم وهى قوام حياتهم ،
وأدركوا أن هذه الجماعة الإسلامية تزلزل مكانة قريش بين
العرب أجمعين .

وانطلق المسلمون - مهاجرين وأنصارا - يخرجون في السرايا والغزوات ، فتضطرب قریش ويتولاهم الفرع الشديد ، فما من يوم ينقضى إلا وينال المسلمون فيه من هيبة قریش ، ويعلمو شأن النبی علیه الصلاة والسلام وأصحابه رضى الله عنهم ، وتزداد قوة هذا الدين الذى ارتضاه الله لخلقهم منذ أن برأ الخليقة .

وينفجر مرجل الغضب فى نفس الملائكة من قریش وعلى رأسهم أبو جهل الطاغية ، ومن ثم يكون يوم بدر الذى أرادته الكفار نصرا لهم فكان عارا عليهم ، ويريدونه يوما يقضى على الإسلام فكان النكبة العاصفة التى زعزعت أركان الكفر ، وهكذا قدروا فضحكت منهم الأقدار ومما قدروا ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ، إذ دبروا ضرب الحنيئة السمعة فخاب ما دبروا ، وخيب الله ظنهم ، وهكذا كان يوم بدر صفة على وجه الشرك ، وطعنة نجلاء فى قلبه ، وحاق المكر السوء بأهله .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ الْيَوْمِ
عَاصِمٌ كَمَا نَزَّلْنَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قُطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾



وزادت بدر فى إيلاهم وأوجاعهم وفى تعميق جراحاتهم .

وراحوا يتوعدون النبی علیه الصلاة والسلام وأصحابه الغر الميامين ليكونن الموعد للانتقام العام المقبل .

وانطلقوا يرتبون أنفسهم وينظمون صفوفهم ، ويشيرون القريب والغريب على الإسلام والمسلمين .

ثم يكون اللقاء فى أحد .

ويكون أول هذا اليوم للمسلمين إذ أطاعوا النبی علیه الصلاة والسلام .

ويكون آخره عليهم اذ خرجوا عن طاعته ، وما طاعته
إلا هدى ورحمة *

وفي هذه المرحلة الأخيرة من المعركة في يوم أحيد يبادر
الكفار إلى ضرب القلعة التي صمدت مع الرسول من أتباعه ،
ويسمع من صفوف المشركين أصوات نساءهم وهن ينشدن :

ضربا بنى عبد الدار

ضربا حماة الأديار

ضربا بكل بتيار

- ويرمى الجانبان بعضهما بعضا وتستعر الحرب *
- ويرمى رسول الله ﷺ عن قوسه حتى يصير شظايا *
- ويرمى بالنبل حتى يفنى نبله وتنكسر سية قوسه *

ويطمع الكفار - خذلهم الله - في جند الله ، ويرجون -
لا حقق الله رجاءهم - أن يصيبوا رسول الله ﷺ ليقتلوه أو
يأسروه ، فإن قتلوه فقد فرغوا من رجل سفه أحلامهم ، وحط
من ألتهتهم ، أما إن أسروه فأسرّه فرحة لا تماثلها فرحة اذ
يذيقونه نكالا ما بعده نكال ، ومرارة ما بعدها مرارة ،
وترتفع رؤوسهم اذ يجعلون القيد في يديه وقدميه ، ويناله
سفاؤهم وعبيدهم بما شأؤوا أن ينالوه به *

تلك كانت أحلامهم الطائشة السفهية .. ثكلتهم
أمهاتهم *

ويهجم أبي بن خلف (وهو أحد رجال الكفر وطواغيته)
على الهادي البشير ليضربه ، فيستقبله المقريء : مصعب بن
عمير ويحول بنفسه بينه عليه الصلاة والسلام وبين الفاجر
الزنييم ... ويستشهد مصعب رحمه الله *

ويدافع أبو دجانة عن النبي عليه الصلاة والسلام ،
وتكثر جراحاته *

ويعشى الكافرون الرسول الكريم الذى ينادى « من رجل يشرى فينا نفسه !! » ، وقيل - بل قال - : « من يبيع لنا نفسه » .

ويسمع هذا النداء زياد بن السكن في نفر كرام آخرين ، ويجيبون : « نحن يا رسول الله » .



وفي لحظة خاطفة يكون « زياد بن السكن » قد دبر أمره ليشرى نفسه .

إنها الجنة تناديه على لسان الصادق البشير ، والشفيع المرتجى يوم لا شفيع سواه .

ويعلم « زياد » أنها الشهادة في انتظاره ، وتهتف بنفسه : « لبيك يا رسول الله من مناد مطاع .. إنها والله الجنة » . فليسع إليها زياد فإنها غاية سؤله ومنتهى رجائه ... ويا سعيده إذ جاءته تسمى إليه فلا يردّها .

ومن ثم ينهض ويقا تل دون رسول الله ﷺ هو والملا الآخرون وكلهم على غراره : رجال صدق ، وأهل إيمان وبر ومحبة فى الدين والنبي .

ويستشهدون واحدا بعد الآخر ، ويكون زياد آخرهم .

لقد ترس دون النبي بنفسه ، وقاتل ثم قاتل ثم قاتل ... وتكاثر عليه السيوف من كل جانب ، وتناوشته الرماح ، وأثقلته جراحاته حتى لم يستطع أن يتقدم أو يتأخر ، ولكنه مازال ممسكا بالسيف يذب به عن رسول الهدى ونبي الرحمة .



ورأت طائفة من المسلمين « زياد بن السكن » وقد تكاثر عليه المشركون وهو فرد فأسرعوا إليه ، ودافعوا المهاجمين حتى دفعوهم والزموهم الفرار •

ورأى النبي عليه الصلاة والسلام زياد بن السكن وهو مسجى يكاد يلفظ أنفاسه ، فطلب ممن حوله أن يقرّبوه إليه • • • فقربوه فوسده قدمه •

ولفظ زياد نفسه الأخير وخذه على قدم الرسول عليه الصلاة والسلام •

لقد أقرض الله قرضا حسنا ، والله يضاعف له إن شاء الله •
ويسكن جسده الطاهر ، وتصعد روحه إلى بارئها راضية مرضية •

ويصلى نبي الرحمة على قتلى أحد وفيهم زياد بن السكن ، وصلاته عليهم - صلوات الله وسلامه عليه - سكن لهم •

وهكذا كانت خاتمة زياد بن السكن الأوسى الأشهلى ، خاتمة رجل جاهد فأحسن الجهاد ، وآمن فحسن إيمانه ، وأسلم قطاب إسلامه • ثم لقي الشهادة بين يدي الشفيع الهادي • • • ومات شهيدا بإذن ربه •

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ مُتَّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ فُتُوبِهِ مِنْهَا وَسَجَّزَى الشَّاكِرِينَ ﴿١١٥﴾

صدق الله العظيم

سالم مولى أبى حذيفة ضجيج رفيق المؤمنين

سالم مولى أبى حذيفة : صحابى معدود فى المهاجرين ، كما هو معدود فى الأنصار ، فأما عداؤه فى المهاجرين فلأنه كان ملك ثبّيتة الانصارية امرأة أبى حذيفة بن عتبة فأعتقته فاتخذته زوجها وليا له وتبناه ، ووالى سالم أبا حذيفة فأطلق الناس عليه اسم « سالم مولى أبى حذيفة » وكان أبو حذيفة من المهاجرين فعد سالم مولاه منهم .

وأما عده فى الأنصار من بنى عبید فلعلتق مولاته ثبّيتة له ، وكانت ثبّيتة أنصارية ، ولما كان سالم ملكا لها فقد عد من الأنصار .

ثم هو معدود بعد ذلك كله فى قريش .
كما أنه معدود فى العجم ، إذ قالوا إنه منهم .
وقيل فيه إنه فارسى من أهل إصطخر .
كل هذا من ناحية النسبة يكون جانباً من سالم بن عبید ابن ربيعة : مولى أبى حذيفة .

وقيل فيه بل هو سالم بن معقل ، وقد يخطئ بعضهم فيخلط بينه وبين آخر باسم سالم بن عبید الذى هو ابن عبید الأشجعى ، والذى كان من أهل الصفة الذين لم يكن صاحبنا (مولى أبى حذيفة) منهم ، فلم يرد له ذكر بينهم فى الأخبار الصحيحة .

وأما كنيته فأبو عبد الله •

وكان إسلامه في بداية الدعوة بمكة ، إذ أن مولاه
أبا حذيفة كان من الطلائع الأولى من المسلمين ، ويحيى
الرابع والأربعين في عيادهم وعداد من دخلوا الإسلام منذ
أن صرح الرسول الكريم بالدعوة •

وليس إسلامه في مكة موضع جدل ولا مثار نقاش بين
المؤرخين ، ويؤكد هذا أنه هاجر إلى المدينة المنورة قبل
النبي عليه الصلاة والسلام ، ويبدو مما أورده ابن إسحق
ولم يعارضه فيه أحد أو يعلق عليه ابن هشام أن سالما ومولاه
أبا حذيفة نزلا - هيا وعتبة بن غزوان - في دار عبد
الأشهل بالمدينة المنورة ، ثم أخى الرسول عليه الصلاة والسلام
بينه وبين معاذ بن معصم بن قيس الذي شهد بدرًا واحدًا ، ثم
استشهد يوم بدر معونة ، وإن ذكر الواقدي في مغازيه أنه
جرح ببدر فمات شهيدًا بالمدينة من جراحه •



كان سالم أثرا عند أبي حذيفة ، قريبا لنفسه لصديق
إسلامه ، فزوجه بنت أخيه فاطمة بنت الوليد بن عتبة وهي
من المهاجرات الأول ، وقالوا في صفتها « إنها كانت من
أفضل أيامي قریش » كما كانت قرشية عيشمية ، ويزيد
المترجمون فيها فيقولون إنها كانت في الشام تلبس الجباب
مع ثياب الخز ثم تأتزر ، فلما سألوها : أما تفنك الجباب
عن الإزار ؟ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يأمر بالإزار •

وكما كان سالم قديم الهجرة إلى الإسلام فإنه كان أيضا
قديم الهجرة إلى المدينة ، إذ سبق الرسول الهادي إليها ،
وتقول الأخبار الصحيحة إنه لما قدم المهاجرون الأولون
« العصابة » (وهي محلة بنى جحجا) كان يؤمهم في الصلاة
سالم مولى أبي حذيفة ، وكان في هؤلاء المهاجرين المصلين
عمر بن الخطاب وأبو سلمة بن عبد الأسد •



وقد شارك سالم في بدر وفي كل المشاهد التي شهدها
رسول الله ﷺ ، وعجل في هذا اليوم بعمير بن أبي عمير إلى
سقر ، وأودى به إلى الهاوية وبئس المصير ، وخلص أرض
الطهر من أفعى سامة •

وخرج سالم ومولاه أبو حذيفة مع الرسول الكريم إلى
قريظة •

خرج سالم إلى جانب النبي عليه الصلاة والسلام الذي
كان معه في ذلك اليوم فرسان فركب أحدهما •



ولما جاء يوم أحد وتكاثر الكفار على النبي صلوات الله
وسلامه عليه شجع النبي في جبهته ، فقد رماه أحدهم بشظية
أصابته رباعيته وأدمت شفتيه ، فغطى دمه الطهور وجهه
الزكي ، فقام سالم يغسل الدم عن وجه المصطفى ، والرسول
يقول : « كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم
إلى الله !! » •

وشجب المسلمون ما فعله الكفار الأشرار ، وكان الذي
رمى الرسول في هذا الموقف هو عتبة بن أبي وقاص ، وعز
على المسلمين ما لحق بإمام المتقين ، فقال حسان بن ثابت في
شعر له :

إذا الله جازى معشرا بفعالهم
وضرهموا الرحمن رب المشارق

فأخزأك ربى يا عتيب بن مالك
ولقأك قبل الموت إحدى الصواعق

بسطت يميناً - للنبي تعمداً
قادميت فاها - قطعت بالبوارق

فهل ذكرت الله والمنزل الذي تصير إليه عند إحدى البوائق ؟

وقيل إن الله جل جلاله أنزل قوله تبارك وتعالى :

لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ وَإِنَّهُمْ فِي كُفْرٍ كَثِيرٍ وَلَئِنْ كُنْتُمْ إِلَّا فِي شَكٍّ مِمَّا فِي السَّمُوتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ يَقُولُ أَنْ يَسْأَلَ وَيُعَذِّبَ أَنْ يَسْأَلَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو جَبَرٍ

صدق الله العظيم



كان صحابينا سالم من أحسن الناس تلاوة للقرآن الكريم وأكثرهم حفظا له ، وكان له صوت إذا سمعه الناس حنت قلوبهم إليه ، وخشعت الأفتدة إجلالا له ، وإن هذه العذوبة في الترتيل لتسترعى انتباه عائشة أم المؤمنين حتى إنها لتقف ساكتة عند الرسول ﷺ فيسألها الهادي ما حبسها ؟ « فتقول : « سمعت قارئاً فذكرت من قراءته » »

فأخذ النبي رداءه وخرج فإذا سالم هو القارئ ، فقال له : « الحمد لله أن جعل في أمتي مثلك » »

ثم جعله النبي أحد أربعة أوصى أن يؤخذ عنهم القرآن الكريم .



وكان الفاروق عمر يقدر سالما حق قدره ويكثر من الثناء عليه ، . . . وعمر أحد الذين يقننون الرجال قدرهم ، وينزل الواحد منهم مكانته التي هو أهل لها ، كأنه الصيرفي الحاذق يعرف قيمة الجواهر الذي بين يديه .

وقيل إنه لما حضرت الوفاة عمر بن الخطاب قال لمن حوله : « لو كان سالم حيا ما جعلتها شوري » ، فإن يكن هذا القول

حقاً لعمر فإنها شهادة فخر وتعظيم لسالم من الفاروق ،
وما عمر بالرجل العادى فى حكمه * ويعلق ابن عبد البر
على ذلك فيقول : « * * معناه إنه كان يصدر عن رأيه فيمن
يوليه الخلافة » .

ولا يستبعد أن يكون الفاروق قد قال الذى قيل عن
سالم ، وما نرى تفسير ابن عبد البر إلا التفسير الصادق لما
يؤكد أن عمر قال ما وصل إلينا فى سالم .



لقد عاش سالم مولى أبى حذيفة ما شاء الله له أن يعيش
فى هذه الدنيا : مجاهداً ومسلماً ، شديد الثقة بالله ، لا يصدر
فيما يفعل إلا عن عقيدة صادقة وإيمان غير مغموز .

ثم كان هناك قوم ذهب الظن السئ بهم للإسلام مذهباً
حاد بهم عن محجة الصواب ، فزلت القدم منهم ، واضطربت
قلوبهم فى صدورهم ، ووسوس لهم الشيطان بالسوء
فارتدوا ، فاستنكر سالم ما كان منهم ، وهاله ما ارتكبه من
إثم تضج منه السموات والأرض ، فخرج مع الذين خرجوا
لتأديبهم وقتالهم ، وحارب يوم اليمامة حرباً تليق بالمسلم
المؤمن .

لقد حمل سالم اللواء دفعا للإثم ، وقيل له يومئذ - وقد
فكروا فيمن يدفعون إليه اللواء - « نخشى من نفسك شيئاً
فنولى اللواء غيرك » ، فأغضبه ما قالوا وأنكره عليهم وأجابهم
« بئس حامل القرآن أنا إذن » * * * وحارب فقطعت يمينه ،
فأخذ الراية بيسراه فقطعت هى الأخرى أيضاً ، فاعتنق اللواء
وهو يردد قول الحق :

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَرَأَيْتَ مَا أَتَوْقِلَ أَنْتَابَهُ عَلَى

أَعْقَابِهِمْ وَمَنْ يَقْبَلْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ بَصَرَ اللَّهِ مِمَّا وَسَّجَّرَ اللَّهُ الشَّكْرِينَ ۝

صدق الله العظيم

ثم مات شهيدا والقرآن العظيم على لسانه •

ولما أخذ يجود بأنفاسه الأخيرة سأل عن صاحبين له وكان
أبو حذيفة أحدهما ، فلما عرف أنهما لقيا الشهادة قال :
« أضجعوني بينهما » ، فأضجعوه حيث شاء •

وضم ثرى تلك البقعة جثمان الراحل الذى بادر إلى
الإسلام والتقوم يومئذ مسرفون فى طغيانهم ، والجاهلية
الجهلاء منشبة مخالباها فى فريق من الناس تنهشهم بأنبيائها
السامة •

رحم الله سالما فقد كان نعم الرجل إيماننا وخبأ للرسول ،
صلوات الله وسلامه عليه •

ورحم الله سالما لما سمع بالدعوة فلباها راجيا أن ينال
رحمة ربه •

ورحم الله سالما يوم أسلم ويوم عذب دفاعا عن الدين
ويوم استشهد •

رَبَّنَا إِنَّا أَمَتْنَا مَتَانًا وَإِيَّاكَ إِنَّا وَفٍّ وَإِيَّاكَ إِنَّا وَفٍّ وَإِيَّاكَ إِنَّا وَفٍّ
وَكَفَرْنَا بِكَ إِنَّا وَفٍّ وَإِيَّاكَ إِنَّا وَفٍّ وَإِيَّاكَ إِنَّا وَفٍّ وَإِيَّاكَ إِنَّا وَفٍّ
وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

الحجّاج معبد العبدري

المحارب بقوسين يوم بدر

الصحابي القرشي معبد بن عبد وهب رجل من قيس الذين لهم ذكر طيب يتفاخرون به في الجاهلية والإسلام على السواء ، حتى لقد شهد لهم بذلك الصادق المصدوق عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

دخل معبد الإسلام معتزاً به ، وطمع أن تكون له ضجة فكان له ما تمنى ، وأحبه حبا جما كان لا يتأخر عنه عن اقتحام الأهوال إن يكن في ذلك الاقتحام مرضاة للنبي عليه الصلاة والسلام ، وإيماناً من صاحبنا معبد العبدري بأن رضا النبي من رضا الله عز وجل على عبده ، وكان معبد صادقاً في إسلامه صدقاً يشهد له بالفوز وقد ناله في يوم لم يبارح فيه موضعه إلى جانب رسول الرحمة وشفيع الأمة ، حتى كتب الله النصر لجنده ، وكبت عدوه ، وخذل الكفر وأهله ، وأهلك طواغيته .

قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٥﴾

لقد هانت الدنيا كلها في عينيه فما يبالي بالمال ولا بالولد ، ثقة منه أن كل هذه غارزية لا تقربه من الله زلفى وما يقربه إليه إلا العمل الصالح .

بائع معبد بن عبد وهب العبدري رسول الله ﷺ وهو لا يزال في مكة يجالد الكفر ويجابه الطاغوت في قريش ، ويلقى منها كل عنت وشدة وبطش ، وشاهدتها تنزل ذلك كله بإخوانه المؤمنين الذين لا تلين لهم قناة ، ولا يزيدهم طغيانها إلا ثباتا ، ولا يطاطئون لها هاماتهم ، ولا ينجح الكافرون مهما أوتوا من الجبروت في أن يثنوا المؤمنين عما آمنوا به . ويرى معبد النبي ومن معه يجاهدون في دفع المشركين وإن لم يستطع حربهم ، ويجادلهم بالتي هي أحسن فيسخررون منه وبالذعوة وبأتباعه ، ولا يغيب عن معبد ما ينزله المشركون بمن أسلم من أذى فلا يملك النبي ولا المسلمون إلا أن يفوضوا أمرهم إلى الله عز وجل ، والا أن يقولوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

لكن ذلك لا يزيد قريشا إلا إسرافا في طغيانها حتى لتظن أن لا غالب لها ، فساء ظنّها وكان عليها وبالا ، وما علمت أن الله يمهّل ولا يهمل :

قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَّةً بَعْدَ إِذَا رَأَوْا مَوْعِدُونَ ۖ إِنَّمَا

الْعَذَابُ وَلَهُ السَّاعَةُ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٥٥﴾

صدق الله العظيم

كان الظن عند أهل مكة (بل والعرب جميعا) أنه هيهات لابن بلدهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أن يستطيع الصمود في وجه قريش ، ولم يكن هذا هو ظنهم وحدهم ، وهم لا يلامون على هذا الظن إذ ماذا يكون من شأن رجل أو رجال قلائل - معظمهم من المستضعفين - أن يفعلوا أمام قريش التي هي من هي في بأسها وشدتها وجبروتها ؟ .

لكن محمد بن عبد الله وقف ، وصمد ، وجاهر بالذعوة فما خاف ولا هان ، ولا ضعف منه العزم ولا لان ، ولم يطمعه ترغيب ، أو يخفه ترهيب ، وكان الذئب آمنوا بالدين على نمطه : أخوة متينة فيما بينهم ، وصدق عميق في إيمانهم ،

ومجاهدة للكفر لا تعرف الكلل ولا يرهقها نصب ،
ولا تتقهقر أمام ما يلقون من شتى صنوف العذاب والاضطهاد ،
وكانوا فى تحملهم الأذى أقوى من أية قوة ، وأصلب عودا من
كل قوى صمود ، لأنهم آمنوا بالله اذ سمعوا كلامه :

وَلَا يَكُنَّ عَلَيْهِمْ قُلُوبٌ أَمْنًا بِرَبِّهِمْ إِنَّهُمُ الْجَاهِلُونَ رُسُلَنَا كُتِبَ مِن قَبْلِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٥٠﴾ أُولَئِكَ
يُؤْتُونَ الْجَاهِلِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَاصِبُونَ أَيُّدِيَهُمْ وَأَيْدِيَهُمْ فِي الْحَسَنِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ
﴿٥١﴾ وَإِذْ أَسْمِعُوا لِلنَّوَّافِلَةِ وَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغُوا الْجَاهِلِينَ ﴿٥٢﴾

صدق الله العظيم



هكذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهكذا كان
أصحابه ومنهم معبد بن وهب بن عبد القيس الذى استجاب
للسلوة فهاجر إلى المدينة تاركا وراءه أرضا درج على أديمها ،
حتى لكأنه وهو على بعد منها يشم أريج أنفاسها ، ويرى
بيوتها ووديانها فى كل شىء حوله ، ولكنه خلف ذلك كله
وراءه ليكون آمنا على دينه أن يفتن فيه ، وعلى إسلامه أن
يصاب فيه بأذى ، أو يسمع فيه كلمة السوء من خسيس لئيم ،
وسفيه وغد زنيم *

كان معبد بن وهب ، رجل إيمان ، وإذا كان قد حزن
لأنه خلف مكة وراءه فقد أحس بالراحة الكبرى تغمره إذ
هاجر ، لأنه بهذه الهجرة حافظ على دينه وإسلامه وعقيدته ،
وسعد بأن يكون على مقربة من النبى عليه الصلاة والسلام
وهو فى المدينة يقيم بها دولة أساسها التقوى ، وهدفها خدمة
البشرية قاطبة ، لا تعرف العصبية ولا العنصرية ولا القبلية
ولا سيادة جنس على جنس *



يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣٦﴾

صدق الله العظيم

ومضت الأيام بمعبد بن وهب بن عبد القيس وهو
ينعم بالصحبة الشريفة ، حتى جاء يوم خرج فيه المسلمون
الى بدر لصد عادية الظلم والظالمين . . . وحدث معبد نفسه
قائلا لها :

« يا نفسى هذا هو اليوم الذى كنت تتطلعين إليه .

« هذا يوم يرتجيه المؤمن التقى ، وأما الظالم فيعض فيه
على بنانه .

« هذا يوم الفصل الذى كان الكفار به يكذبون ، وكانوا
هم فيه بالعدوان بادئين .

« هذا يوم يجاهد فيه إلى جانب المصطفى ﷺ وصحبه
الكرام مِمَّنْ تعرفهم مِنْ سِيماهم » .

يُحَدِّثُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشْدَّ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمًا يُبْنِيهِمْ رَبُّهُمْ رُكُوعًا سَاجِدًا
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَشْرَ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي
التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ
عَلَىٰ سَوْقَيْهِ يَجْعَلُ الزَّعَاكُ لِيُغْيِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٣٦﴾

صدق الله العظيم

والتقى المسلمون فى ساحة بدر بالكفار .

وكان المسلمون قليلين فى الرجال والإبل ، وكان عدوهم
كثيرا فى العدد والعدد والكراع والعبيد والسلاح وغيرها
من آلات الحرب .

وكان فى الكفار من شيوخ قریش أعلامهم ، وفيهم أهل
الحل والعقد •

أما كتيبة النبى فلم يكن فيها غير المؤمنين من صحابته •
وهكذا كان الهدى فى جانب ، والضلالة فى جانب آخر ،
وإن وقفا وجها لوجه ، وفات الشرك أن يتدبر خطر الإيمان

أَفَرَأَيْتُم مَّا كَانَتْ تُدْعَىٰ عَلَيْهِ
أَهْدَىٰ أَفَرَأَيْتُم مَّا كَانَتْ تُدْعَىٰ عَلَيْهِ سَوَاءً عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾

صدق الله العظيم

والتحمت السيوف بالسيوف من الجانبين •

واستشهد من المسلمين نفر قليل ، وهلك من الكفار
قوم كثيرون سيقوا إلى جهنم زمراً •

وحارب صاحبنا معبد بن وهب حرباً أبلى فيها أحسن
البلاء ، وأبدى صوراً كريمة من البطولات حفظها له التاريخ
فى إعجاب وإجلال •

وحدثوا أنه قاتل بسيفين فى يوم بدر ، فلما رآه النبى
ﷺ على هذه الصورة ، ولم يعهد الناس رجلاً يقاتل بسيفين
فى آن واحد قالوا إنه عليه الصلاة والسلام قال : « يا لهف
على فتيان عبد قيس • أما إنهم أسد الله تعالى فى أرضه!! » •



وكان معبد بن وهب العبدى كثير الحج إلى بيت الله
الحرام فلا يفوته موسم من مواسمه ، فإن لم يكن الوقت وقت
حج كانت له عمرة وعمرات •

كان « معبد » يكثر من الحج ، فإن لم يكن زمن حج ،
مضى إلى الكعبة معتمراً طائفاً بالصفاء والمروة فهما من شعائر
الله جل جلاله •

وكانت لمعبد زيارات بين آن وآخر إلى مكة حيث يجد الراحة في جوار الكعبة ، ويتأمل ما كانت عليه قبل ظهور النبي البشير وبين حاضرها منذ أن طهرها عليه الصلاة والسلام للطائفين والعاكفين والركع السجود ، كما فعل من قبل أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، وولده أبو العرب إسماعيل .

ولما كان الناس يعرفون في معبد كثرة حجه فقد سموه « حُجَاجَا » ، فإذا جلس بعضهم إلى بعض وقالوا : « جاء حُجَاج » و « ذهب حُجَاج » وفعل كذا « حُجَاج » فإِنما يقصدون بذلك صاحبنا معبد بن وهب العبدري .



وبعد فهذه صورة موجزة عابرة ، ولمحة عاجلة من حياة هذا الصحابي الذي تزوج من هريرة بنت زمعة أخت سودة أم المؤمنين .

ولقد عاش معبد ما شاء الله له أن يعيش مؤمناً ، مجاهداً ، حاجاً ، شاكراً الله أنعمه أن هداه للإسلام ، وقالوا إنه عاش حتى شهد فتح مكة وشارك في هذا الفتح حتى قال فيه القائلون :

أجابهموا يوم الخنادم فتية كرام أسود .. فيهم نفيل ومعبد
عاش معبد بن وهب مؤمناً وكان من رجال الزمرة التي عرفت الحق فاتبعته ، واهتدت بهدى نبيه الكريم ، واعتزوا بالاسلام واعتز بهم الاسلام ، فحسنت نواياهم نحو الخلق أجمعين ، ولم يحملوا حقداً لأحد ، لأنهم سمعوا قول الحق تبارك وتعالى :

وَزَعَمْنَا أَفْصَحُ وَرِيهِنَّ عَلِ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمَا الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَفُتَّخْنَا بِنُورٍ رَئِيسَ الْحَقِّ وَنُودُوا
أَنْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

صدق الله العظيم

سَمُرَةُ الْفَزَارِي

تأليف في مدرسة محمد (صلى الله عليه وسلم)

نحن الآن في صحبة صحابي غطفاني فزاري ، تفتخر به
الدهور ويتباهى به الكرام ، فقد تعطرت الأيام بسيرته اذ
كان عبقرى الفعال وكان مضرب المثل في الرجولة ، ذلك هو :

سمرة بن جندب بن هلال

عرفه التاريخ أول ما عرفه ، وسمع الناس به أول
ما سمعوا والمسلمون خارجون إلى أحد غداة وقعة بدر لصد
أعوان الشر ودفعهم عن اقتحام المدينة •

لم يكن سمرة من أهل المدينة بل ولد ونشأ فيما عرف
بعد حين بالبصرة ، ثم انتقل من تلك الناحية التي ولد بها
إلى « طيبة » على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام •
وكانت أمه تحت « مرثى بن سنان » بن ثعلبة الحارث عم
أبي سعيد الخدري •

و « مرثى » صحابي أنصاري نشأ « سمرة بن جندب » في
بيته وفي كنفه ، فكان ربيبه ، ثم انتقل الطفل مع أمه إلى
المدينة حين انتقل إليها مرثى ، لذلك قيل في سمرة إنه « كان
من حلفاء الأنصار » •

ولقد اختلف المؤرخون في كنيته فتعددت كُناه بتعدد
من ترجموا له ، فقال البعض هو « أبو سعيد » ، وقال البعض
الآخر بأنه « أبو عبد الله » ، ثم جاء من أنكر هاتين الكنيتين

جميعا وقال بل هو « أبو سليمان » ، ومن ثم لم يتفق الناس على كنية واحدة له رغم شهرته العظيمة في تاريخ الإسلام ، وما كان اختلافهم هذا بضائره ولا بمؤخره عن أن يكون علما بارزا في تاريخ الجهاد الاسلامي .

وربما كان تعدد كناه وكثرتها إشارة إلى تعدد جوانب نشاطه في الحياة الإسلامية زمن الهادي البشير وبعد وفاته ، وقد امتد هذا النشاط حتى قامت خلافة بني أمية .

وإنا لالتقى بصاحبنا الصحابي « سمرة بن جندب » أول ما تلقاه في السنة الثالثة للهجرة وهو دون الخامسة عشرة من عمره بقليل ، ولكن كان له عزم الرجال الصناديد ، وهدي الصحابة الأمجاد ، وإيمان المسلمين الصادقين . . . والفضل لا يقاس بالعمر إنما بصالح الأعمال وجليلها .

عرفنا « سمرة بن جندب » يوم أن كان رسول الله ﷺ قد علم أن قريشا جمعت له كل قوى الشر لتثأر لما أصاب رجالها لا سيما كبارهم أصحاب القلب ، ونمى إلى علم الهادي أن رجالا من قريش ممن هلك أو أصيب أبناؤهم وإخوتهم وأبأؤهم يوم بدر جاؤوا إلى أبي سفيان بن حرب وكلموه هم وأصحاب العير أنهم يعينونه بالمال على قتال النبي وأصحابه « فقد وترهم وقتل خيارهم » ، وقالوا له « أموالنا لحرب محمد بن عبد الله ومن معه » ، فأطاعهم ومن استمعوا إليهم ، واستجابوا لهم عن رضا وطيب خاطر ليصدوا عن سبيل الله من آمنوا :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ ﴿٥١﴾

صدق الله العظيم

واستعد المختار عليه الصلاة والسلام لدفع المعتدين ، وكان من مألوف عاداته - كما يقول التاريخ - أن يعرض

غلمان الأنصار كل سنة ليحجز منهم للخروج معه من بلغ الخامسة عشرة من عمره ، « وكان قادرا على المشاركة » .

وشهد يوم العرض هذا « سمرة بن جندب » وكان غلاما وصيبا صغيرا .

وكان هناك خاطر يلح عليه ويسعى ليحققه هو أن يأذن له الرسول العظيم أن يكون من الخارجين لمجالدة الكفار وضرب الظلم والشرك .

لم تكن هذه مغامرة غلام ولكنها كانت بادرة تشير إلى أنه المسلم الصادق الإيمان ، الذي يرتجى منه الخير والفلاح إن شاء الله .

وأخذ سمرة يشق الصفوف حتى صار بين يدي رسول الرحمة وشفيح الأمة . ونظر سمرة حوله فرأى نفسه وسط فتية من فتيان المسلمين عرفنا منهم عبدالله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، وأسامة بن زيد ، والبراء بن عازب ، وأبا سعيد الخدري ، ورافع بن حديج .

إنهم فتية آمنوا بربهم وهم براءم نضرة ، وجاءوا إلى نبي الرحمة عسى أن يأذن لهم بالانخراط في عداد جند الله الخارج لصد الكفر وردع الشرك ، لكن هؤلاء الفتية كانوا صغارا لم يبلغوا يومئذ الخامسة عشرة من عمرهم ، فردهم الرسول ردا رقيقا .

لقد جاؤوه يودون لو يأذن لهم بمرافقة العسكر الإسلامي فيكون لهم شرف الجهاد إلى جانب جند الرحمن .

لم يغضبوا لأن الرسول الكريم لم يردهم إلا استصغارا لسنهم ، وما كان لهم إذ ذاك إلا أن يطيعوه ، وتطلعوا إلى يوم آخر أغر حين يبلغون السن التي حددها النبي ، وإذ ذاك يحققون آمانيهم الغالية .

ونظر بعضهم إلى بعض أسفين ، وكانت قلوبهم الطيبة النضرة تدعو للمجاهدين بالنصر ، ولكن غلاما من هؤلاء

الغلمان - وهو رافع بن خديج - أخو بني حارثة - جعل يشب على قدميه وفيهما خفان ، ويقف على أطراف أصابعه ، وجاء أحد الصحابة إلى النبي وقال له : « يا رسول الله إن رافع بن خديج رام ، فاختره يا رسول الله » ، فاختره عليه الصلاة والسلام فوجده كما وصفه هذا الصحابي الذي كان يزكّيه عند النبي الهادي ، فأجازته صلوات الله وسلامه عليه ، وأذن له بمصاحبة العسكر الاسلامي .

ودبت النشوة في أعطف الصبي الحدث رافع بن خديج ، وحسده على ذلك من لم يؤذن لهم بالانخراط في صفوف المحاربين المجاهدين .

ورأى ذلك سمرة بن جندب ، وود لو أنه أجز كما أجز رافع .

وتلفت سمرة حوله فرأى ربيبه «مرى بن سنان» فجاءه وقال له : « يا أبة » - أجاز رسول الله ﷺ رافع بن خديج وردني . . . وأنا يا أبة أصرع رافعا » .



كان مري يعرف صدق سمرة فيما قال ، فقد كفله طفلا ورباه أحسن تربية ، وعلمه اللعب بالسيف والرمي بالرمح ، فأجاد الرمي والمصارعة ، فكان قوى العود « يصرع الأيّد الشديد » إن عرض له ، ويقهر من يباريه في هذه الألعاب .

وجاء مري إلى النبي عليه الصلاة والسلام وقال له : « يا رسول الله رددت إبنى وأجزت رافع بن خديج . . وإن إبنى سمرة ليصرعه » .

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يعرف في مري الصدق . وقول الحق وهو ما يعرفه في بقية الصحابة من أنهم لا يقولون إلا صدقا ، ولا يخبرون إلا حقا ، فالتفت إلى الغلامين سمرة ورافع وقال لهما : « تصارعا » فتصارعا فصرع سمرة رافعا ، فأجازته النبي كما أجاز لرافع من قبل .

وتحققت آمنية الغلام سمرة •

وقال البعض إنه جاء إلى الرسول الكريم حين رده وحين أجاز رافعا وقال له : «لقد أجزت هذا يا رسول الله ورددتني، ولو انى صارعته لصرعته » •

فقال له عليه الصلاة والسلام « • • • فدونكه » •

وكان الامر كما قال سمرة • • • صارع رافعا فصرعه فاجازه القائد الملهم •

وقد اختلفت طرق الرواية في هذا الخبر إلا أنها تصب في رافد واحد هو أن سمرة بن جندب كان منذ نعومة أظفاره فتى يبشر بغد مشرق مرموق في مسيرة الحياة ، فتم له ذلك بإذن الله وبهداية الهادي البشير •



وصفق فؤاد سمرة في صدره فرحا ، وملأته الفبطة ، فها هو ذا في صفوف الرجال بشهادة النبي عليه الصلاة والسلام • • • وها هو ذا قد أذن له أن يحارب إلى جانب الشيوخ ، وأن يقاتل فرسان قريش وأبطالها الصيد ، وكلماتها المفاويز • وبقيت ذكرى هذا اليوم حية في ذاكرته لا تبلى جدهتها الأيام ، ولا تطمسها الأحداث وهي جسام ، ولا تنسيه أياها الأفراح ولا الأحزان ، وقد آلى على نفسه منذ تلك اللحظة إلا أن يكون سيفا مسلولا من سيوف الله على عداة الله والدين والنبي فكان له ما أراد • • • وكان في سمرة خير كبير للإسلام والمسلمين ، وفوز للدعوة الإسلامية المباركة •

وخرج المسلمون إلى أحد ، وشهدوا سمرة معهم •

وأحسن الفتى سمرة موقفه في ذلك اليوم رغم صغر

سنه •

وأثنى التاريخ على بطولته الثناء العطر فقد جاهد يومئذ
رجالا هم مساعير حرب وأبطال كريهة ، فشدهتهم بطولته ،
وأعجبته شجاعته ، وهم وإن كانوا كارهين للمسلمين وكانوا
كارهين كذلك لسمرة مسلما إلا أنهم أكبروه محاربا .



لئن كان سَمْرَة لا يزال فتى لم يطر شاربه ، وصغيرا في
مبعة الصبا إلا أنه بزَّ أو ساوى - من هم أكبر سنا منه ،
وأمرسهم بفن الحرب والضرب بالسيف والنزال .

ولقد أحسن سمرة الجهاد في ذلك اليوم لأنه كان من
تلاميذ مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام . . وإنها لمدرسة
كان الخريجون فيها مشكاة نور وهداية للعالم في أمد قصير ،
فمشت مواكب الحق والفتح المبين بهم أنى مشوا ، ولم يعد
النصر يعرف سواهم له رفيقا ، فكانوا أعلاما ، وكانوا غرة
في جبين الدنيا ، ونبراسا يهدى العالمين إذا أدلجوا ، فقد
نبذوا الضلالة ، وأرادوا الآخرة ، وسعوا إلى رحمة ربهم ،
فاكرمهم التاريخ .

وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٥١﴾

صدق الله العظيم

إن اللحظة التي أجاز فيها النبي ﷺ لسمرة بن جندب
وضعت صحابينا الصحابي البرعم على أول طريق العظيمة
والجهاد في سبيل الله .

وكان ما جرى يوم العرض تجربة عمقت الإسلام في
قلبه ، وثبتت الطاعة لرسول الله في فؤاده ، وزرعت الرغبة
الكريمة الصادقة في أن تكون راية الإسلام عالية خفاقة ،
فكان له من ذلك تاريخ ، وكانت له صفة كريمة .

وشارك سمرة بن جندب منذ هذه اللحظة في المشاهد
التي شارك فيها الصادق الأمين .

كان سمرة على زمن النبي - كما رأينا - غلاما صغيرا لكنه حفظ عنه الكثير ، وإنه ليخشى أن يظن به أحد الظن أو يقال إن صغر سنه كان يمنعه من أن يعي عن النبي أو يحدث ، فكان يقول وهو صادق فيما يقول :

« لقد كنت على عهد الرسول ﷺ غلاما ، وكنت أحفظ عنه ، وما يمنعني من القول إلا أن ها هنا رجالا هم أسن مني »

« ولقد صليت مع رسول الله ﷺ على امرأة ماتت في نفاسها فقام عليها في الصلاة »

وها نحن ذا اليوم بعد أربعة عشر قرنا من الزمان نقول له وقد سمعنا الذي قاله وحفظه لنا المؤرخون :

« صدقت يا سمرة فقد كنت حافظا عن رسول الله ﷺ ... وما كان يمنعك من التحديث بما سمعت إلا أدب تأدبت به ، فيه احترام لذوي السن ، وتقديم لهم »
وتمر الأيام ، ولا تسجل لسمرة إلا كل ما فيه الخير والبركة والفلاح

وكان سمرة شديد الملازمة لمن صُحِبَتَه نعمة . كما كان كثير الحضور لمجالسه ، وأتاح له ذلك أن يحفظ كثيرا من أحاديثه الشريفة ، ولكن قل أن كان يحدث بها ، وكان إحجامه عن ذلك - كما رأينا - راجعا لتوقيره رجالا من الصحابة كانوا أسن منه ، فهم عنده مقدمون عليه إن كان المقام مقام تحديث

وقد أثر عنه كثير من الأحاديث الشريفة ، حتى قيل فيه إنه « كان من الحفاظ والمحدثين الكثيرين » ، نقل ذلك ابن عبد البر عن رجال ثقات سبقوه ، ووردت له في الكتب الصحاح أحاديث حسنة وصحيحة كان هو راويها

إن رواية الحديث تتطلب شروطا معينة جمة ، ولم يكن الحديث يرويه هو أو غيره يؤخذ بيسر ، وإنما ينظر فيه

المحدثون والحفاظ ويمحصونه تمحيصا دقيقا ، وينقدونه نقد الصيرفي الحاذق ، فإن وجدوا فيه مغمزا - ولو تافها - ردوه ورفضوه *

وعرف الحفاظ والرواة سمرة بن جندب صادقا في روايته للحديث الشريف ، متحريرا الصدق فيما يرويه ، وهذا هو الحسن البصري - وهو من هو في ورعه وعلمه وتقواه وحفظه للأحاديث الصحيحة يقول :

« تذاكر سمرة وعمران بن حصين ، فذكر سمرة انه حفظ عن رسول الله ﷺ وسلم سكتين : سكتة إذا كبر وسكتة إذا فرغ من قراءة « ولا الضالين » * فأنكر ذلك عمران بن حصين وقال : حفظنا سكتة واحدة » ، فسكتوا إلى أن أتوا إلى أبي بن كعب بالمدينة فكان في جواب أبي : « إن سمرة قد صدق وحفظ » *

وهكذا قطعت جهيزة قول كل خطيب إذ قال أبي ما قال ... وإذا قال أبي فليس من أحد يحاجه أو يجادله لا سيما فيما أثر عن رسول الرحمة ونبي الأمة *



ولقد أجمع الصادقون في الرواية ، الناقدون لكل ما يسمعون من الحديث الشريف ، على مكانة سمرة في الرواية الصحيحة ، حتى قال أعلم علماء البصرة في زمنه وهو محمد بن سيرين : « كان سمرة فيما علمت عظيم الأمانة ، صدوق الحديث ، يحب الإسلام وأهله » *

وصدق ابن سيرين فهذه شهادة حق أخرى تدل على مكانة سمرة بن جندب *

وكان الجميع يدركون هذه المكانة ، فهو إن حدث صدق ، وإن ولي أمرا أحسن الولاية ، وإن قضى فبالعدل ، وإن سئل عما لا يعرف أمسك عن الرد *



وكان زياد بن أبيه يستعمله على الكوفة ستة أشهر وعلى البصرة مثلها ، ولذلك قالوا إنه لما سكن البصرة كان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة ، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة ، وكان يكون في كل منهما ستة أشهر » .

وقال ابن شبة إن زيادا كان يستعين بعدة من أصحاب النبي ﷺ كعمران بن الحصين الخزامي وأنس بن مالك والحكم بن عمرو الغفاري وسمرة بن جندب .



وكان سمرة معدودا في البصرة من رجالها الثقات البارزين في رواية الأحاديث ، وكانت البصرة يومذاك تموج بالفقهاء والحفاظ والمحدثين وأهل اللغة ، لا يسمع هؤلاء على اختلاف تخصصاتهم حديثا أو رواية إلا وكانوا فيها ناظرين نظر الحاذق العالم ، ولكنهم كلهم أجمعوا على أن سمرة محدث لا تغمر قناته ولا تجرح روايته ، وحسبه هذا من ثناء لا ينسى وإن طال الزمن ، وحسبه هذا من فضل يبقى بقاء الدهر لا تبليه الأيام ، ولا تنال منه السنون ، ولا يطويه من القرون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .



وعاش سمرة ما عاش مما قدره الله له عز وجل .

ولقد شكى في أخريات أيامه «الكزاز» الناشئ عن شدة البرد ، فأجده هذا الداء وأعياه ، لكنه لم يمنعه من أن يكون ذاكرا لله على كل حال .

وكان يتداوى من الكزاز بالقعود على قدر به ماء حار .

ثم جاء يوم من الأيام وقد اشتد به الألم وضعفت قواه فسقط في القدر الحار يغلى به الماء ، فمات يرحمه الله .

وكانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وخمسين فى خلافة
معاوية بن أبى سفيان •

مات الرجل الذى كان يتوئب لمحاربة الكفار وقتال
المشركين منذ أن كان صبيا •

مات الرجل الذى كان يرى الجهاد مع رسول الله ﷺ
غنيمة ونعمة لا يجزأها إلا الشاكرون •

مات المحدث الذى حفظ كثيرا من الأحاديث الشريفة
وتعدد رواته ، وكثر الآخذون عنه ، وفيهم الصحابى
والتابع •

مات سمرة بن جندب المؤمن الثقفى الورع الذى عرفته
البصرة نزيلا بها ، وواليا عليها ، ومحدثا بها • فرحمه الله
بقدر علمه وجهاده وصحبته •

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ
غُرَافًا يُخْرَجُونَ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٤﴾ الَّذِينَ
صَبَرُوا عَلَىٰ رَيْبِهِمُ يَنُوكُونَ ﴿٥٥﴾

صدق الله العظيم

سهل بن الحنظلية

رجل صلاة وتبجح وتكبير

سهل بن الحنظلية صحابي أنصاري أوسى حارثي *

شهد مع الرسول عليه الصلاة والسلام أحدا فكانت أولى مشاهده معه ، ثم تتابعت مرات اشتراكه في المشاهد التي خرج فيها ، وكانت له عنه أخبار هي جزء من تاريخ هذه الفترة من عصر صدر الإسلام ، يوم أقيمت أول دولة أسست على الخير والشرع ، وكانت لها من النظم ما تستقيم به الحياة لمن أراد الحياة حرة كريمة *

والحنظلية هي أم سهل ، ويكاد ينطبق الإجماع على ذلك ، وإن قال بعض المؤرخين غير هذا ، فنرى رجلا من هذا البعض يقولون إن الحنظلية هي جدته ، ونرى آخرين يقولون بل هي أم جده ، ولكننا مع القائلين بأنها أمه *

وقد يقول قائل : ما لنا ننسبه إلى أمه مادام ثم اختلاف فيمن تكون هذه « الحنظلية » ؟ ، وما لنا نخرج على سمت المؤلف فنتجاهل آباه ؟

ولكن لا يفضين هذا المعترض فإن أراد أن ننسبه من جهة الأب قلنا هو : « سهل بن الربيع بن عمرو بن عدى » ، وهذا أقرب ما يدعى به من جهة الأب الذي أكثر المؤرخون وكتاب السير في أسمائه واختلفوا اختلافا بيّنا يقف المرء حياله مذهولا مشدوها ، فهو عند بعضهم « الربيع » وعند غيرهم « عبيد » ، ويقول آخرون بل اسمه « عقيب » *

فهل رأيت تباينا كهذا التباين في اسم أحد كما في اسم صاحبنا ؟

وكم يصادف المؤرخون والناظرين في سير بعض الصحابة مثل هذه المفارقات في أمور ما كان يجوز أن يكون فيها اختلاف ، ولكنه اختلاف يدفعنا لتأييد ما نقوله من وجوب النظر في التاريخ وأحداثه ، وإعادة التبصر فيه حتى يمكن تنقيته من روايات قد تحمل القارىء على الانصراف عن النظر فيه ومطالعته رغم دسامته .

ونعود فنقول إن الأصح أن يقال في أبيه إن اسمه « الربيع » ، ذلك أن أخا لسهيل من أمه وأبيه كان يسمى بعقبة بن الربيع وكان صحابيا معروفا ، كما كان يقال له أيضا « ابن الحنظلية » ، وهكذا نرى الاختلاف في اسم أبيه واسم أمه ، لكن هذا الاختلاف لا يشجب أن سهلا كان صحابيا لازم الرسول الكريم وأكثر من الرواية عنه .

وتزخر كثير من الكتب الموثوق بها بكثير من الأحاديث التي رواها ابن الحنظلية وعدها علماء هذا الفن صحيحة فلم يجرحوه فيما روى ولا فيما أخبر به عن الصادق الأمين ، وكيف لأحد أن يغمزه فيما روى ؟ ، ومن ذا الذي يمكنه أن يشكك فيما حدث به وهو الذي كان شديد التمسك بالإسلام ، دقيقا فيما يخبر به ، فإن خالجه شك في حديث أمسك عنه ، أو خامرته ريبة في خبر لم يخض فيه .



وقد أسلم سهل بن الحنظلية قديما ، وهو من بنى حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن أوس .

وبنو الحارث - كما نعرف - قديمو عهد بالإسلام ، وكان سهل واحدا منهم .

وكان من بنى الحارث أيضا رجال هم في الذروة في الطاعة للرسول ، وهم مثل كريمة لم يعرف الطاعة ويرومها .

ثم إنهم أهل فضل وجود ، وكان الكرم طبيعة ركب
فيهم .

أليس منهم عرابة بن أوس بن قيطى الذى رده النبى
عليه الصلاة والسلام يوم أحد فى نفر آخرين فى مثل عمره
إذ كانوا صفارا ؟

ثم أليس عرابة هذا - وقد تقدم به العمر - هو الذى
ضرب بسهم وافر فى الجود والعفو ، فكان جوادا ممدحا
مبسوط الكف حتى قال فيه الشاعر عن حق :

رأيت عرابة الأوسى يسمو الى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ثم أليس من رهط سهل بن الحنظلية : أبو عبس بن
عمرو ، أحد رجال النفر الذين لهم ذكر وخبر لا ينسى فى
هلاك كعب بن الأشرف إذ حاول كعب إثارة الفتنة ضد النبى
والإسلام فقال فيه أحد الصحابة ممن شاركوا فى هذا الأمر :

فعانقه ابن مسلمة المرادى به الكفار كالليث الهزير
وشد بسيفه صلتا عليه فقطره أبو عبس بن جبر

هذان رجلان من كثير من الرجال الأمجاد من آل صاحبنا
الصحابى سهل بن الحنظلية ، فإذا كان الفخر بأعمال القوم
فى سبيل الجهاد والملة سمعنا ابن الحنظلية ينشد « أولئك أهلى
ورهطى فجئنى بمثلهم » .

وإذا كان التفاخر بالجود والكرم قال سهل : « حدث عنا
ولا تخش لوما ولا حرجا » .



لقد أسلم سهل بن الحنظلية وهذا من الأمور التي لا يجادل فيها أحد... ولكن متى كان إسلامه؟ - ذلك ذلك مالا نعرفه بالدقة ، بيد أن أكبر الظن أنه أسلم وقت أن هدى الله أكثر أهل ينرب إلى الحنيفية السمحة .

ولازم سهل عمود الدين ، وكان قلبه ينطوى على حب عميق للنبي ﷺ وإكبار له ، ومن ثم شارك في أحداث فطرة صدر الإسلام بالمدينة ، حتى قالوا فيه « إنه شهد أحدا وما بعدها » .

وجالد الكفار في يوم أحد جلادا حمل فيه روحه على كفه فوهبه الله الحياة ، ثم أثخنه جراحه كما أثخن من استشهد ومن ظل حيا... وهل عاد أحد من أحد إلا وبيه جراحات تشهد بشدة وطأة الكفار على المسلمين بعد أن زایل أكثر الرماة المسلمين مواضعهم وخرجوا على أمر النبي الملهم والقائد العظيم؟

وهل عاد أحد من أحد إلا وهو ثقیل الخطلی یجر نفسه جرا من جراحه؟ حتى أن رسول الله ﷺ أصابته جراح أدمت وجهه الطاهر ، ودخل المدينة المنورة مرهقا وهو القوى الأيد؟ وخرج سهل بن الحنظلية من أحد التي كانت اختبأرا مريرا مليئا بالعضة والعبرة . وأدرك أن طاعة رسول الله هي السلاح ، وأما من تولى عنها فعليه الخسران المبين ، ولقد صدق الحق تبارك وتعالى إذ يقول في محكم كتابه :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٨﴾

صدق الله العظيم

وأطاع ابن الحنظلية الله إذ أطاع الرسول عليه الصلاة والسلام .

وكان له فى أحد عبدة ، فازداد إيمانه بالله وبالرسول ،
وازداد الإسلام رسوخا فى قلبه •

وازداد هو إصرارا على مهاجمة الشرك ومحاربة الكفر ،
فلم يفتنه مشهد من المشاهد التى شارك فيها نبي الأمة إلا شارك
فيه حتى رفع الله إليه رسوله المجتبى •

ثم كان الاختبار العظيم له ولن آمن يوم خيف على ذى
التورين عثمان بن عفان ان تكون قريش قد اغتالته ، حين اراد
الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبعث إليها من يخبرها أنه
جاء يريد العمرة ولم يأت باغيا الحرب ولا القتال ، فأراد أن
يبعث عمر بن الخطاب فخاف عمر قريشا على نفسه ولذن دله
على « رجل أعز منه فيهم » وهو عثمان بن عفان ، فلما ذهب
عثمان إليهم استبقته قريش طويلا عندها لا لشر تريده به ،
فلما طال حجزه عندها بضعة أيام جرت الشائعة أنها قتلتها ،
فقال المختار صلوات الله وسلامه عليه : « لا نبرح حتى نناجز
القوم !! » ، ثم دعى أصحابه الغر الميامين إلى البيعة وفيهم سهل
ابن الحنظلية ، فبادروا إليها سراعا وهم يعلمون أنهم
مبايعون على الموت فلم يجزعوا ، وعند الشدائد تعرف معادن
الرجال •

وكانت بيعة الرضوان هذه بيعة الإسلام الكبرى •

وبايع سهل بن الحنظلية على الموت وعلى ألا يفر •

وكان موقع الذين بايعوا يومئذ عظيما عند الله فرضى
عنهم اذ علم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا
قريبا :

إِنَّ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ اللَّهَ بِأَلْفِ أَلْفٍ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ مَكَتْ فَلَمَّا
يَنْكُحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَأَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يُوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ



كان سهل بن الحنظلية إذا فرغ من محاربة المشركين انفلت إلى مجلس رسول الله ﷺ يستمع إليه فيمتنع نفسه بما سمع ، ثم يحدث بما سمعته أذناه ورأته عيناه ، وبما هداه إليه رشده من أعمال من ترجى شفاعته ، ويقتدى بسنته السمحاء ، والذي منه الخير كل الخير ، والهدى كل الهدى .

وكان سهل إذا فرغ من ذلك أقبل على الأعمال التي تتيح له الحياة الشريفة التي لا يكون هو فيها كلاً على غيره * * * حتى إذا كان اليوم يوم هوازن رافق حنظلة النبي ، وأنه ليحدث - كما حدث غير واحد سواه - ممن شاركوا في هذا اليوم ببعض خبر ذلك اليوم وتلك المسيرة ، فيقول قائلهم : « سرنا مع النبي ﷺ في غزوة هوازن فأسرع السير حتى أتاه رجل فقال له : « يا رسول الله : قد تقطع من وراءك » فنزل النبي عليه الصلاة والسلام وطوى إليه الناس فأمرهم بالنزول فنزلوا ، ثم جاءه فارس فقال : « يا رسول الله إني انطلقت من بين أيديكم على جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن على بكرة أبيها ، يظعنونها ونسائها ونعمها في وادي حنين » ، فتبسم النبي عليه الصلاة والسلام وقال : « تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله » .

ثم يتابع سهل بن الحنظلية الحديث عما كان بعدئذ فيقول : « ثم قال رسول الله ﷺ : ألا فارس يحرسنا الليلة ؟ » فأقبل أنيس (بالتصغير) بن أبي مرثد الغنوي على فرسه وقال : ها أنا ذا يا رسول الله * فقال عليه الصلاة والسلام : إنطلق حتى تقف على جبل كذا وكذا ، فلا تنزلن إلا مصلياً أو قاضي حاجة ، ولا تغرن من خلفك » ، وأطاع الصحابي الكريم أمر الرسول عليه الصلاة والسلام .

ثم يحدث سهل بن الحنظلية بما كان بعد ذلك وهو إلى جانب رسول الله ﷺ وفي ركابه ، واليوم خطير ، والمشركون كثر ، وهم في حقد على الإسلام والمسلمين وقد أحفظهم ما أصابه جند الرحمن من نصر عظيم .

وقال صاحبنا ابن الحنظلية بعد أن ذكر ما كان من استعداد أنيس بن أبي مرثد الفتوى لحراسة المسلمين يومئذ فقال : « وبئنا حتى اضاء الفجر وحضرنا الصلاة ، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال : أحسستم فارسكم الليلة ؟ »

« ثم أقيمت الصلاة وصلى بنا ، فلما سلم رايته عليه الصلاة والسلام ينظر خلل الشجر وقال : أبشروا : قد جاءكم فارسكم ! » •

وجاء أنيس بن أبي مرثد فقال : « يا رسول الله ، إنني وقفت على الجبل كما أمرتني ، فلم أنزل عن فرسي إلا مصليا أو قاضى حاجة حتى أصبحت فلم أحس أحدا » ، فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « انطلق فأنزل عن فرسك وأقبل علينا » ، ثم قال : « ما على هذا » يقصد أبا مرثد (ألا يعمل بعد هذا عملا » •

هذا ما رواه وحده به وشاهده سهل بن الحنظلية وغيره •

لقد حدث بخبر سكنت عنه المراجع ، لكنه خبر يفصل بعض ما كان في يوم هوازن من هوازن ، وما كان في القيادة النبوية الحكيمة من حكمة عالية غالية •

ثم هو يحدث بما كان من تقدير النبي عليه الصلاة والسلام لعمل أنيس فيعهده عملا عظيم الشأن في فضله على المسلمين ، وما عليه من لوم أو عتاب إن لم يقيم بعد ذلك بعمل أبدا ، فحسبه ما عمل من عمل صان به حياة المسلمين وحفظها عليهم فجزاه الله خيرا •

أما نحن الذين نكتب تاريخ هذا اليوم البعيد بعد أربعة أربعة عشر قرنا من الزمان فنستطيع أن نوضح جانبنا من صورته وأحداثه بما ساقه ابن الحنظلية فتكتمل صورة هذا اليوم في ذهن القارئ •



ان الوقوف مع ابن الحنظلية متعة للروح اذ يهددها
بأحاديث المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ويقص علينا
من أخبار غاب عنها البعض ، أما هو فكان حاضرها فوعاها
وحدث بها فاكتملت الصورة التاريخية ، ولولا ما ذكره عنها
لظلت ناقصة •

كما أنه أسعدنا بما رواه من أخبار صادقة جديدة عن
بعض ما كان في يوم هو ازن هذا ، وهو من الأيام الفاصلة في
تاريخ الإسلام •



وقد كانت لسهل بن الحنظلية صحبة ، وكان هو في
الصحبة عظيما ، كما كان في الرواية صادقا • وقال الذين
عرفوه إنه كان رجلا فاضلا ، ونعتوه « بالفضل » فلم يبالغوا
ولم يجاوزوا ما كان هو عليه •

وكان سهل بن الحنظلية يعيش إبان حياة الرسول عليه
الصلاة والسلام في المدينة ، فلما رفع إلى الرفيق الأعلى عاش
في الشام •

وكان - أنتى كان - كلما وجد وقتا يمم وجهه شطر
المسجد ، يعكف على الصلاة وهي زاد القلب وراحته والتي
كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا ، وكانت كبيرة إلا على
الخاشعين :

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
يُجِوْنَ تَحْتَ لَآئِنِ نَّبُورِ ۝ لِيُؤْفِقَهُمُ اللَّهُ فِي حَوَائِدِهِمْ وَيُزِدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ۝

صدق الله العظيم



ويزيد الذين عرفوا سهل بن الحنظلية على ما وصفوه به من كثرة الصلاة من أنه « كان إذا انصرف من المسجد لا يزال ذاكرا من تسبيح وتهليل حتى يأتى أهله » .

ولقد جمع أمير المؤمنين فى الحديث الشيخ ابن حجر العسقلانى ما قيل فيه وعنه فى هذا الصدد ، ثم أجمل ذلك فى عبارة جامعة قال فيها « كان ابن الحنظلية رجلا متوحدا ، قلما يجالس الناس ، إنما هو صلاة ، فإذا فرغ فإنما هو تسبيح وتكبير حتى يأتى أهله » .



وأثر عن سهل بن الحنظلية اعتزاله الناس إلا من حديث يسعى لسماعه ، أو غلة يعظ بها لعل قلوبا ترق وتلين ، أو صلاة فى المسجد الذى كان يكثر من ملازمته ، وكان إذا لحقته الصلاة وهو فى الطريق أقامها ، فإن وجد من يشاركه فنهى الأمر ، فإن يكن وحده أو انقطع السابلة فكون الله أكبر ، وكل شيء يسبح لرب العرش المجيد ويمجده .

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِكَ وَلَكِنْ لَا تَعْقِلُونَ تَسْبِيحُهُمْ إِنَّكَ أَنْجَلُ عِلْمًا غَوْرًا ①

صدق الله العظيم



وكان سهل مبجلا معظما ، يعرف الجميع عنه ذلك . حدثوا أنه مر ذات يوم بأبى الدرداء والناس عنده فقال له أبو الدرداء : « قل كلمة تنفعنا ولا تضرنا يا سهل » ، فقال ابن الحنظلية : « قال رسول الله ﷺ : المنفق على الخيل فى سبيل الله كالباسط يديه بالصدقة لا يقبضها » .

وصدق رسول الله ﷺ ، وصدق الحق تبارك وتعالى
اذ يقول :

وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ

صدق الله العظيم

وكان الناس يعرفون أن عند ابن الحنظلية الكثير من
أخبار الخيل، وإنه يحفظ عن النبي فيها ما ربما فات الكثيرين،
فقد ذكروا أنه عرضت خيل على معاوية فسأل سهلا عما سمعه
من النبي عليه الصلاة والسلام فيها فقال : « سمعته ﷺ
يقول : الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ،
وصاحبها مُعان عليها ، والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة
لا يقبضها » .

وكان سهل يحدث في مسجد دمشق فرآه مولى لمعاوية بن
أبي سفيان ، ومعاوية يومئذ خليفة المسلمين فوصفه له
بقوله :

« هجّرت يوم الجمعة في مسجد دمشق فرأيت رجلا بين
الناس يحدثهم ، فاطلعت فإذا هو شيخ مصفر اللحية ، فقيل لي
هذا سهل بن الحنظلية . . . هذا صاحب رسول الله ﷺ » .



وكان سهل دائم التردد لحديث شريف يقول : « ما اجتمع
قوم على ذكر فتفرقوا عنه إلا قيل لهم : قوموا مغفورا لكم » .

ولم يرزق ابن الحنظلية ولدا فكان ذلك يوجعه ولكن
هذا قدره .

وقد حدث أحدهم ممن عرفوه وصحبوه فقال في هذا
الصدد « كان سهل بن الحنظلية لا يولد له ولد ، فكان يقول

لى : لأن يكون لى سقط فى الإسلام لأحب إلى مما طلعت عليه الشمس » *

آلا إنها نفثة مصدر راض بمشيئة الله سبحانه وتعالى *



هكذا كانت حياة الصحابى سهل بن الحنظلية الذى مات بالشام فى خلافة معاوية *

وجماع القول فى سهل بن الحنظلية أنه كان أمة فى زهده ونسكه وورعه وصلاته وتعبده *

وكان يعمل بيديه ويعلم ويحدث *

فرحمه الله يقدر ما خدم الحديث وأفشاء *

ورحمه الله صحابيا لازم النبى عليه الصلاة والسلام ، ولا يؤثر على هذه الصفة شيئا *

ورحمه الله محاربا مجاهداً فى سبيل الله *

وليكن له من صلاته وورعه يوم القيامة نور بين يديه *

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرًا مِّمَّا يَوْمَهُمُ

جَنَّتْ بَحْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾

صدق الله العظيم

عامر بن عبد قيس

راهب هذه الأمة وأعبأهل زمانه

نحن هنا مع رجل قيل في صفته إنه أحد المخضرمين ،
سمع بالإسلام في جاهليته فأسلم فكان من أشد الناس حرصا
عليه وتمسكا بعموده ، ساعيا في العمل على إفشائه والدعوة
إليه ، وإظهار ما بينه وبين الجاهلية من هوة سحيقة ما لها
من قرار ، ذلك هو :

عامر بن عبد قيس العنبري

وقد يقال له « بن ثابت » و ابن « ناشب » ، وما أحسب
هذا إلا من تصحيف الكتاب والنساخ في القديم ، وإن كنا
لا ندرى بأيها نأخذ فليس بواحد من تلك الأقوال بواجد ما
يزكيه تزكية ترجحه على سواه .

وهو من بنى العنبر بن عمرو ، ولذلك يقال له عامر
العنبري التميمي . وكان يكنى بأبي « عبد الله » ، وقال
بعضهم بل كنيته « أبو عمرو البصري » . وهذه الاختلافات
تلقي ظلالا كبيرة على بعض ما يرد في الكتب العربية ، وتعرض
المؤرخ اليوم فيحтар وقد يضل ، ومن هنا كان الواجب أن
ينظر في المصادر نظرة جديدة ، وأن تصحح بأيدي خيرة
بالتاريخ الإسلامي لعلنا نصل إلى الحقيقة أو ما يقاربها .

وسواء أكان يكنى بأبى عبد الله أو بأبى عمرو ، وسواء أكان يدعى بابن ثابت أم بابن ناشب فلا جدال فى أن صاحبنا عامر بن عبد قيس كان من الزهاد وإن لم يبلغ به الزهد حدا يدرج به فى عداد كبار أهله أو الصوفية ، كما لم يمنع هذا الأمر قوما من أن يقولوا فيه إنه كان أعبد أهل زمانه وأشدهم اجتهدا ، وهذا أسلوب من التفضيل جرى عليه الكثيرون من الكتاب أو الروايات فى تناولهم الأشخاص والأحداث .

لكن صدق الناس فيما وصفوه به صدقا كبيرا ، وربما لم يذهبوا بعيدا فقد كان عامر بن عبد قيس آية فى الزهد والتقشف والانصراف عن كثير من متاع الدنيا ، ذلك لأنه كان ينى متاعها قليلا ، وأن الآخرة خير لمن اتقى .

وقد عرفه الناس زاهدا ورعا متصرها عنهم إلا للنصيحة يزوجيها إليهم حتى ولو كانت مرة يصعب استساغها ، وإلا لمفالة رشد يلقيها عليهم ثم يمضى مطمئنا مرتاح النفس انه بلغ الحق ، لا تمنعه مكانة من يلقيها إليه من ان يكف عن إزجاء النصيح إليه ، ولسان حاله يقول : « اللهم هل بلغت » اللهم فاشهد !! » - ويشهد الله والناس أنه محض سامعيه النصيح . . . غضب الناس وسامعوه أم رضوا .

وماذا يضيره إن غضب الناس منه فإن أكثر الناس كارهون للنصح حتى ولو كان فيه الخير لهم ، وقديما كره الناس أن ينصحهم نبي الله صالح (فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين) .

ولقد حدثوا عن صاحبنا عامر بن عبد قيس فيما حدثوا أن ناسا من المسلمين ذوى مشرب خاص اجتمعوا يتذاكرون فيما بينهم أعمال الخليفة الراشد عثمان بن عفان وما صنع ، فلم يرقهم بعض الذى صنع ، فأجمعوا الرأى على أن يكون رسولهم إليه رجلا عاقلا له قدره ومنزلته ، وله فى الفضل

غُرِّره ، إن عورض في مثل هذا الموقف كان في فضله بينهم بأعلى مناط العقد ، فقر الرأي منهم على أن يبعثوا إليه من لا يرهب أن يجابهه بما يرى انه الحق ، وقد يسوءه ما يقوله له ، فاتفقوا على أن يكون رسولهم إليه صاحبنا عامر بن قيس ويا نعم من اختاروه ، فهو « ثقة أمين قد سبق الكثيرين بالفضل » كما قال قائلهم ، ثم انه سلم ليس له هوى إلا ما يعتقد أن فيه خير الدين ، وإلا كلمة الحق يقولها ويتوكل على الله رب العالمين .

واستجاب لهم عامر بن عبد قيس ، فالنصيحة واجبة على المسلم لأخيه المسلم .

ودخل عامر بن عبد قيس على الخليفة ذى النورين التقي الورع المجاهد وقال له : « إن ناسا من المسلمين اجتمعوا يا عثمان فنظروا في أعمالك فوجدوك قد ركبت أمورا عظاما . . فائق الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها » .

ولما فرغ عامر بن عبد قيس مما حمل من القول قسا عليه عثمان في الرد ، وكان مما قاله له : « انه (أى عامر) ما يدرى أين الله !! » ، فاغتاظ عامر من هذا القول ورد عليه ردا شديدا إذ قال :

« أنا لا أدرى أين الله يا عثمان ؟ . . . والله إنى لأدرى أن الله لك بالمرصاد !! » .

كانت هذه عبارات شديدة اللهجة ، ولكنه قالها ، وكان الحوار عنيفا بين الرجلين المؤمنين : ذى النورين وعامر بن قيس ، عليهما رحمة الله .



وجاء في الأخبار عن عامر بن عبد قيس هذا أن بعضا من الناس سعوا به عند الخليفة عثمان وقالوا فيه إنه لا يأكل اللحم ولا يتزوج ، وأنه يطمئن على الأئمة ولا يشهد الجمعة .

فسيرة عثمان رضى الله عنه إلى معاوية بالشام وأعلمه
بخبيره *

فلما قدم على ابن أبي سفيان وإفاه وعنده ثريد ، فأكل
منه عامر آكلا غريبا ، قيل : فعلم معاوية ان الرجل مكذوب
عليه ، فقال له معاوية : « يا هذا : أتدرى فيما أخرجت ؟ »
قال : « لا » ، قال « بلغ الخليفة انك لا تأكل اللحم ولقد رأيتك
تأكله * » وبلغه أنك لا ترى التزويج ، ولا تشهد الجمعة *
فأجابه عامر : « فأما الجمعة فإننى أشهدها فى مؤخر
المسجد ، ثم أرجع فى أوائل الناس * »

« وأما اللحم فقد رأيت أنت ، ولكنى ، رأيت يا معاوية
قضايا يجر الشاة ليذبحها وهو يقول التناق حتى ذبحها ولم
يذكر اسم الله عليها * * * فإذا اشتهيت اللحم ذبحت الشاة
وأكلتها * * *

« وأما التزويج فقد خرجت وأنا يخطب على * »

فلما سمع معاوية منه ما سمع ، وعانين منه ما عانين أيقن
أن الرجل مظلوم فيما أشاعوه عنه ، فقال له وهو يصرفه :
« إرجع إلى بلدك » ، فقال له عامر : « والله لا أرجع إلى بلد
استحل أهله منى ما استحلوا * * * ولكنى أقيم بهذا البلد
الذى اختاره الله !! » ، فتركه معاوية يقيم حيث اختار
فأقام عامر بن عبد قيس فى دمشق ما شاء الله له أن يقيم *

ثم قيل عنه إنه كان يبدي الضجر ، والناس يتساءلون
ما خطبه ؟ وفيما ضجره ؟ ، وترامى إلى سمع معاوية ما يرجف
الناس به ، فكان يكسر هو الآخر من سؤاله وهو مقيم بالسواحل
ويقول له : ما حاجتك يا ابن عبد قيس ؟ فيجيبه : ما لى
حاجة !! * »

وكثر إلحاح معاوية عليه حتى ضجر صاحبنا عامر بن
عبد قيس ، وأدرك أن معاوية غير تاركه أو يقول له ماذا
يضجره ، فلم يجد بدا من أن يذكر له الحقيقة من غير خفاء

وقال له : « حاجتى يا معاوية ان ترد على حر البصرة فإن بلادكم لا يشتد على الصوم فيها بل يخف » .

كان الذى يقض مضجع عامر هو أنه لا يحس بضراوة الجوع إذا صام فى الشام ، فدمشق بلد طيب ، لكن أين تعب الصيام . . . والثواب بقدر المشقة .

أليس فى هذا الكلام القصير الموجز معنى كبير وعبرة لمن إذا صاموا أتخموا بطونهم وأكثروا من الزاد والشراب : ساءلونه وبارده ، مسلوقه ومشويه ؟ . . وإذا اشتد الحر تأففوا وقالوا ما يظن معه أنهم كارهون للصوم الذى هو درس فى الرحمة بالفقراء والمساكين .



لقد روى مؤرخو سيرة عامر بن عبد قيس أن ورده كان فى كل يوم ألف ركعة ، وكان يقول لنفسه : « بهذا أمرت . . ولهذا خلقت » . .

وكان يقوم ليله مصليا .



وسأله ذات مرة « أتحدث نفسك بشيء فى الصلاة يا ابن عبد قيس؟ » ، فرد عليهم قائلاً : « أجل ، أحدث نفسى بالوقوف بين يدى الله . . . وأحدث نفسى بمنصرفى من بين يديه » .

ولقد أدى ذلك بالناس إلى أن يذهبوا فيه مذاهب بعيدة ، وغالوا فى بعض ما ذكروه عنه وإن كان إعجابهم به هو مرد قولهم ، فقالوا إنه كان قد دعى ربه أن يهون عليه الطهور فى الشتاء فكان يؤتى له بالماء له بخار .

وقالوا : لقد سأل ربه أن ينزع شهرة النساء من قلبه فكان له ما أراد ، وكان يسأل الله هذا السؤال حتى لا يكون فى قلبه سوى الله ، واستجاب الله له ما أراد إذ دعاه مخلصاً .

وكان ابن عبد قيس إذا أخذ عطاءه جعله فى طرف ثوبه فلا يلقاه أحد من المساكين إلا أعطاه ما قدر أن يعطيه له .

وزاد القوم على هذا فقالوا إنه كان إذا دخل بيته بعد إعطائه المساكين ما أعطى رمى بالعطاء إلى أهله فيعدونه فيجدونه سواء . . . والله يربى الصدقات .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ
لَبُؤُومٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٧﴾



وكان إذا خرج إلى الجهاد - وهو عنده محبوب - وقف ينظر الناس ويتوسمهم ، فإن رأى رفقة توافقه وترافقه رافقها على شروط يقول لهم عنها :
« أريد أن أصحبكم على ثلاث خلال : أن أكون لكم خادما ، ولا ينازعني أحد الخدمة . . . وأن أكون مؤذنا . . . وأن أنفق عليكم بقدر طاقتي » .

فإذا قالوا : « رضينا » صحبهم ، وأما إن نازعه أحد من ذلك شيئا فارقهم ولم يرض برفقتهم ، وانصرف عن مصاحبتهم ملتصقا قوما غيرهم يرضون بما يشترط .



قيل : ولما نزلت به منيته وأشرف على الموت استخرط في البكاء ، وما كان أحد يظن به البكاء ، أو يراه لائقا به وهو في هذا الموقف بين يدي ربه .

لكن لم يكن بكاءه حزنا على الحياة ولا خوفا من الموت ، فما من أحد إلا واردها . . فيعجب من حوله مما يرون منه وهو المؤمن فيقول في غمرة بكائه .

« لمثل هذا المصارع فليعمل العاملون » .

« اللهم إني أستغفرك من تقصيري وتفريطي » .

« وآتوب إليك من جميع ذنوبي - لا إله إلا أنت »
 وظل يردد هذه الأقوال حتى فارقت روحه جسده فسكت
 لسانه .



وبعد فهذه صورة لهذا الزاهد الورع الذى شارك فى
 القادسية فضرب المثل الأعلى على أن الزهد والجهاد والعمل
 شىء واحد .

وهذه صورة الرجل الذى قيل فيه إنه راهب هذه الأمة .
 وهذا خبر الرجل الذى دفن ببيت المقدس وكم تحت ثرى
 القدس من شهداء عرب ومسلمين لو تجمعوا أحياء فى وقت
 واحد لضاقت بهم فجاج القدس الشريف والشام .
 فهنيئاً له إخلاصه النصح للناس أجمعين لا يخشى فى
 إسدائه بطش أحد به .

وهنيئاً له سعيه للخير .

ونعم الدار الآخرة مثوى له ولأمثاله المؤمنين .

وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ الْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿١٦﴾ هَذَا مَا أَوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ
 ﴿١٧﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿١٨﴾ ادْخُلُوا بِسْمِ اللَّهِ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُوفِ
 ﴿١٩﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٠﴾

صدق الله العظيم .

سَراقَة بن عمرو الخزرجي

شرب يوم جواده الروم

نحن الآن في صحبة صحابي أنصاري نجاري خزرجي .
ان انتمى فانما انتماءؤه الى بنى مازن بن النجار وهم من أكرم
بيوت يشرب ، ولهم شرف صاعد في الإسلام ، وجهاد مشكور
منذ أن دخل هذا الدين طيبة ، واشتد ساعد الجهاد بهجرة
نبي الرحمة عليه أفضل الصلاة والسلام .

أما هذا الصحابي فنعرفه باسم :

« سَراقَة بن عمرو بن خنساء بن مبدؤل »



دخل « سَراقَة بن عمرو » في عداد المؤمنين واندرج
في عداد الصحابة منذ أول ظهور الاسلام في يشرب ، ومنذ
دخول أهلها فيه زرافات دخولا لم تدفعهم إليه رهبة ، ولم
يكن ثمة ما يخافونه إن هم دخلوه ، ولكنهم كانوا في جموعهم
الضخمة وحشودهم الكثيفة آية من الله لينصر دينه بهؤلاء
الأنصار الذين شدوا أزر نبيه ، وشجبوا ما كانوا عليه من
تنازع وتضارب وتلاح وبغض وحقد ، فقد أذهب الإسلام
ذلك كله ليحل الوئام والوفاق والمحبة والرحمة محل ما كانوا
عليه ، ونزع الله ما كان في صدورهم من غلّ فصاروا بنعمته
إخوانا ، وكان ذلك الأمر نعمة من الله وفضلاً كبيراً عليهم وعلى
الإنسانية التي وجدت في هؤلاء الأنصار والمهاجرين قوة
تدفعها إلى السير قد ما وتدعم مكانة الانسان، فكان أن تم ما تم

من الفتوحات الطيبة الطاهرة ، التي زغردت لها الدنيا وصفق
لها الزمان فرحا ، وهلل وكبر .



كان سراقه بن عمرو واحدا من هؤلاء البررة الكرام .
أحسن نعمة الإيمان فراح يستزيد منها . . . وتمعن في
الدين فحسن إسلامه .

وتذوق حلاوة الإسلام فعّل من ورده شرابا طهورا
سائفا ، تنفّح له عقله وقلبه ووجدانه ، فأبى إلا ان تكون
حياته وقفا عليه . وأحب النعمة أن تعم فشارك في المشاهد
التي شارك فيها رسول الله ﷺ ، كما حضر مجالسه واستمع
إليه .

وتأمل سراقه بن عمرو المازنى النجارى الخزرجى ما كان
من أمر هذه الجماعة قبل الإسلام وبعده ، فإذا اليوم غير
الأمس . . . وإذا الدنيا التي كانت بالأمس القريب دجنة
طخياء مكفهرة ، تنجلي اليوم عن أفق باسم مشرق .

ولما هاجر المبعوث رحمة للعالمين إلى المدينة المنورة حرص
سراقه أشد الحرص على أن يغشى مجالسه ، ويستمتع إلى
أحاديثه ، ويكثر من التردد على المسجد ، والمداومة على تلاوة
القرآن وما حفظه من كتاب الله الكريم والنظر فيه .

أدرك سراقه أن محمدا عليه الصلاة والسلام هو الصورة
الحية للبطولة السامية ، وللإنسانية فى أسمى مراتبها ،
الساعية للهدف الشريف ، وأيقن أنه الرحمة المهداة لبنى
البشر ، فطوبى لمن أمّوا سمته ، واقتدوا به ، وساروا فى
طريقه السوى ، ولم يخشوا غير الله فكانوا من المهتدين الذين
أحسنوا فى هذه الدنيا ولهم دار الآخرة وهى نعم دار المتقين .

وازدادت الكراهية فى نفس سراقه للكفر والشرك ،
وود لو اهتدى الكفار والمشركون حتى تكتب لهم النجاة فى

الدنيا والآخرة ، ولكنهم أصموا آذانهم كأن بها وقرا ،
وأغلقوا قلوبهم عن أن تستجيب للرحمة المهداة إليهم في
لتخرجهم من ضلالتهم ، وأنكروا البعث والنشور ، وغرتهم
الجاهلية فذاقوا عذاب السمير .

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ
هَؤُلَاءِ نَفَاكَ قَرُّوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْمَغْنَا اللَّهَ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ①
زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُعْذَبُوا أَفَلْ يَأْتِي وَرَثَتُنَا ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَاعِمَاتُكُمْ وَقَدْ كَانَ عَلَى اللَّهِ كَيْسِيرٌ ②

فتجمعوا لمحاربتة ، وخرج المصطفى عليه الصلاة والسلام
يوم بدر ليدفع عدوان المعتدين ، ورأى سراقه بن عمرو
المازنى النجارى أن يخرج هو الآخر تحت لواء إمام المتقين .
إنها إن تكن حربا فما أراد المسلمون حربا ... ولكنهم
خرجوا يصدون قريشا ومن تبعها :

الَّذِينَ آمَنُوا يَتْلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتْلُونَ فِي سَبِيلِ الْأَعْدَاءِ
فَقَالُوا أَوْلِيَاءُ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ③

وانطلق سراقه مع أصحابه إلى بدر يقودهم نبي الله
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، صلوات الله وسلامه عليه .
واصطدم الشرك بالتوحيد ، والكفر بالإيمان .
وعلت كلمة «الله أكبر» على كل ما سواها ، ودوت حتى
بلغت عنان السماء .
وما يكون لغير «الله أكبر» مكان حيث يكون المؤمنون .
وأعز الله جنده ، ونصر حزبه ، وخذل عدوه .
ونكست راية الكفر ، وعلت راية الاسلام في هذا اليوم
الأغر الميمون المشهود .



وعاد المسلمون إلى المدينة •

عادوا منتصرين والأسرى من العدو كثيرون • وعجب
الناس من أولئك الذين ظلموا بالأمس واستكبروا وتجبروا
فأذلهم الله وأهلك منهم طائفة ، والله لا يهدى القوم الظالمين ،
فسحقا لأصحاب السعير ، يوم تفتح لهم جهنم أبوابها وتقول
هل من مزيد •

وسجد سراقه بن عمرو لله أنه كان في صفوف المسلمين
مسلمًا مؤمنًا •

وقالت كتب المغازي إنه شهد بدرًا من بنى مبدول إثنان،
كان سراقه بن عمرو أحدهما •

وعاد سراقه إلى المسجد وإلى مجلس رسول الله •

ثم تناول الكفر ليثار ليوم بدر في يوم أ'حد • • وكان
ما كان في هذا اليوم !!

وكان ما كان من بعض الرماة المسلمين من قصور
 وخروج على طاعة المجتبي ﷺ •

وكان لسراقه في هذا اليوم جهاد مشكور وبطولة غير
منكورة •

وخرج صاحبنا سراقه من هذا اليوم كما خرج جميع
الذين قدرت لهم الحياة وفيه جراحات ، ولكنه خرج مؤمنًا
بأن المضرة إنما تكون في عدم اتباع أوامر من اجتباه الله
هاديًا ، وبعثه بشيرًا ونذيرًا •

وراح سراقه يقارن بين جراحات بدنه وجراحات نفسه ،
فإذا الثانية أشد رمضا •

وإذا به يجمع العزم على أن يظل في الساحة مجاهدًا حتى
يكتب الله النصر التام للإسلام ، ولينصرون الله من ينصره •

ومضى سراقه يستعد ليوم آخر بعد يوم أحد ، يكون فيه
 ممن سينصرون الله إذ ينصرون دينه ويطيعون رسوله ،
 ويكون هو فى طائفة من المؤمنين الذين لا يألون جهدا فى
 مجالدة الكفار ومحاربة الشرك .

ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ
 يَهْدُونَنَا فَكُفُّوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ الَّذِي تَسْتَفْعُونَ ۖ وَاللَّهُ مَعِيَ كَرِيمٌ ﴿٦﴾
 زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُجْعَلَ أَفْلٌ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ وَلِتُبْعِنَ شَعْرَتُنَّ ۖ
 بِمَا عَمِلْتُمْ ۖ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾

صدق الله العظيم



ثم جاء هذا اليوم .

وكان هذا يوم الخندق .

يوم تجمعت الأحزاب : أحزاب الكفر والشرك والنفاق
 لينالوا من الإسلام والمسلمين .

وانطلق يهود بنى النضير - وهم أهل كتاب - ونفر من
 بنى وائل يحزبون الأحزاب على رسول الله ﷺ إذ خرجوا
 حتى قدموا على قريش بمكة ، وراحوا يدعونهم إلى محاربة
 المؤمنين والرسول وقالوا لهم : « إنا سنكون معكم إلّا على
 محمد حتى نستأصله » .

ولقيت دعوتهم السمجة اللئيمة ترحيبا من قريش التى
 استدرجت اليهود حتى جعلتهم ينحرفون إثما عما ينبغى أن
 يكونوا عليه ، وهم أهل كتاب ، إذ قالت قريش لهم :

« يا معشر يهود ... إنكم أهل الكتاب الأول وأهل
 العلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ... أفديننا خير
 أم دينه ؟ » .

فقلت اليهود فى الرد على قريش قالة كذب وبهتان
 تنزل إيمانهم وهم أهل الكتاب إذ أجابوهم :

« بل دينكم خير من دينه * * ، وأنتم أولى بالحق منه » .



هكذا قالوا كذبا ، فتبا لما قالوا وبئس ما نطقت به
السننهم * .

وسفهم الحق تبارك وتعالى إذ قال فيهم وفيما قالوه
وهو أصدق القائلين :

الَّذِينَ كَفَرُوا أَصْحَابُ الْكِبْرِيتِ ثُمَّ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَفُتِنُوا بِالْحَقِّ وَالْبَاطِلِ
وَيَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْكَافِرُونَ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَٰكِنَّا
لَمُتُّهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٠٠

هكذا قالت يهود قالة السوء والفحش يسترضون بها
قريشا فكانوا معهم حزب الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان
كان مدحورا ، ونسوا قوله جل من قائل :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْأَلُونَكَ عَنْ صَلَاتِهِمْ تَارَةً ۚ لَمْ تُغَبِّتْ جُلُودَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَرِيبًا رَحِيمًا ۝١٠١



وانكفأ وفد اليهود إلى المدينة وقد اطمأنوا إلى قريش ،
واطمأنت قريش إليهم * .

ومضى اليهود - وهم أهل الكتاب - إلى غطفان من قيس
عيلان يدعونهم إلى محاربة النبی العربي القرشي عليه الصلاة
والسلام ، وأخبروهم بما كان من خبر قريش معهم ، وأنهم
صاروا يدا واحدة ضد محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
وأصحابه * .

وهكذا تجمعت أحزاب الشرك والكفر والنفاق وغرّتهم
بالله الغرور •

وعلم المسلمون بما كان من أمر القوم الظلمة الفاسقين •

هذه قريش وغطفان ومن لف لفهم ويهود المدينة أصبحوا
جماعة واحدة تعمل للشر وتسعى إلى الضلالة ، واجتمعت
كلماتهم ، ووسوس لهم الشيطان أن يضربوا المسلمين في
المدينة المنورة من الأمام ومن الخلف •

واكفهر الجو • • • وأنذر بضر مستطير • • • وفتح الشر
فاه ، وحار المسلمون ما يفعلون •

ولكن رب العزة والجلالة يأبى إلا أن تكون يد الكفر
هى السفلى ويد الإسلام هى العليا ، فضرب المسلمون الخندق
على المدينة ، وعملوا فيه جميعا وعمل معهم رسول الله ﷺ
بيديه الطاهرتين •

وكشف حفر الخندق عن شرذمة من المنافقين جعلوا
يتسللون إلى أهلهم بغير علم رسول الله عليه الصلاة والسلام
وأما المؤمنون فكانوا على العكس من ذلك ، كان الواحد
منهم إذا نابته النائبة من الحاجة التى لا بد منها يذكر خبره
للمصطفى ﷺ فيأذن له ثم يرجع رغبة فى الخير •

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى
يَسْتَأْذِنُوا مِنَ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَعِذَّوْكَ
لَبِئْسَ شَأْنُهُمْ فَأَذَن لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦﴾

صدق الله العظيم



• وكان سراقه بن عمرو من فريق المؤمنين الصادقين •

كان يعمل فى الخندق عملاً موصولاً ، وكلما أحس بالتعب نظر إلى سيد البشر المجتبى فرآه يعمل فيما يودّ هو العمل مثله فى الخندق •

وشاهد سراقه آية رآها المسلمون أيضاً وحدث هو بها فى كل مجلس يكون فيه •

رأى صخرة فى الخندق ، فشكى أمرها مع مَنْ شكوا إلى النبى عليه الصلاة والسلام ، وذكروا له كيف عجزوا عن هذه الصخرة •

فدعا البشير الهادى إليه بإناء من ماء فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء أن يدعو ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الصخرة • وقال سراقه فيمن قالوا :

« فوالذى بعثه بالحق نبيا ... » لقد انهارت الصخرة ، لا ترد فأسا ولا مسحاة » •



وحدث « سراقه بن عمرو » بمثل ما حدث به آخرون فى هذا الموقف •

آية من الله العلى العظيم إن دلت على شيء فإنما تدل على أن الله ناصر جنده على الأحزاب ... وكان الأمر كذلك بإذنه تعالى •

وخذل الله عدوه ، ودبت الفرقة والشحناء بين الأحزاب فتفرقوا ، وساور الشك المريب كل فريق منهم فى الآخر ، الثقة بين بعضهم والبعض الآخر •

ورد الله كيد المشركين ، وأذهب ريح المنافقين • وشاهد « سراقه بن عمرو » كل هذا فتحدث به ، وأبصر فإذا حزب الله هم المفلحون ، وحزب الشيطان هم الخاسرون •

واطمأنت المدينة المنورة وصانها الله من كيد كل فاجر
للئيم ، مناع للخير معتد أثيم •

وحمد سراقه الله تعالى على ما كان فى يوم الخندق •
فهل كان ذلك اليوم هو آخر مشاهده التى شارك فيها ؟
كلا فإن سيرته لم تنته ، فقد كان له جهاد بعد الخندق
كجهاده يوم الخندق وما قبله •



لقد ندر سراقه لئن عاش ليمضين حياته إلى جانب نبى
الرحمة وشفيع الأمة ، وليوقِفَنَّها على الجهاد فى سبيل الله
ومصاولة الكفر والنفاق ، فشارك فى كل مشهد شارك فيه
المصطفى عليه الصلاة والسلام •

لقد شارك فى بدر وفى أحد وفى الخندق ... ورأى
فى كل يوم من هذه الأيام الخوالد فى ذاكرة الزمان آيات
زادت من إيمانه ، وعمقت يقينه ، وجعلته يدرك أن النصر
إنما يكون من الله يؤتیه من صدق بعهدہ ، ونصر ربه ،
وأطاع نبيه •

وكانت هذه الأيام تدعيما لقوة الإسلام وتثبيتا
لأركانہ •

وحدث سراقه بكل ما رأى وما سمع ، فكان ما روى
حديث صدق ويقين •

وأبصر سراقه الإسلام يتدرج فى معارج القوة والبأس
مع الرحمة والصلاح ، فخرج فى ذى القعدة من السنة
السادسة للهجرة الشريفة بصحبة النبى العظيم معتمرا ، يوم
خرج عليه الصلاة والسلام مع رفاقه معتمرين لا يريدون
حربا ولا قتالا •

واستنفر النبى صلوات الله وسلامه عليه من حوله من
أهل البوادي من الأعراب ليخرجوا معه ، وقال ابن اسحق

في السيرة إنه فعل ذلك وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب •
ثم خرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب •

وساق الهدى •

وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من الحرب ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له ، وليس بمحاربه • وهل يكون للمعتمر أن يحارب ؟ •

هكذا تكلم التاريخ صادقاً عن هذا الخروج العظيم •

وكان سراقه ممن خرجوا لأداء العمرة مع رفقته من الصحابة ومعهم نبي الرحمة •

ورأى سراقه رجلاً يقول للرسول عليه الصلاة والسلام :
« يا رسول الله ، هذه قريش قد سمعوا بخروجك فلبسوا جلود الثمور ، وقد نزلوا بذى طوى يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم أبدا » •

وأطال الرجل الحديث عما رأى من قرين وما سمع •

وسمع سراقه بن عمرو ما قاله الرجل ، وانتظر ما يفعله رسول البر الذي قال :

« يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب • • • !! ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ؟ •

« فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا • • • وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين » •

ثم قال : « والله لا أزال أجاهد على الذي بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة » •

ويعصف سراقاة بعد ذلك ما كان من محاولة الرسول تجنب اللقاء مع قريش وجهها لوجه ، كما يصف ما نال المسلمين من مشقة وقد نزلوا واديا لا ماء فيه يرتوون منه هم وما معهم من دواب ، ولكن الله أكرم نبيه ، فكان ثم بئر رمى فيه أحدهم بسهم الرسول فتفجر الماء عذبا زلالا ، وارتوى الجميع .

ولقد فشلت محاولات خراعة فى حمل قريش على إدراك أن المسلمين إنما جاؤوا زائرين للبيت ، معظمين لحرمة ، ولم يجيئوا للحرب ، وأن الأولى بقريش أن تدعهم وما جاؤوا من أجله .

ولكن قريشا أخذتها العزة بالإثم وقالت :

« إن كان محمد جاء ولا يريد قتالا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدث بذلك العرب عنا » .

وأصمت قريش أذانها عن كل كلمة حق تقال لها ، ثم لجت فى سفهها فأرسلت رجالا رموا فى عسكر المسلمين بالحجارة والنبل ، لكن هؤلاء الرجال وقعوا فى أيدي الصحابة فأمسكهم ، غير أن رسول الرحمة عفا عنهم وردهم سالمين .

ورأى الشفييع الهادى أن يبعث أخيرا الى قريش بعمر بن الخطاب ليبلغ أشرافها علة حضور المسلمين ، فاستعفى عمر ، فبعث الرسول مكانه عثمان بن عفان فمضى ، فطالت غيبته عندهم ، ثم جاءت الشائعة أنه قتل ، فدعا النبى عليه الصلاة والسلام من معه إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان .

بأيعه أصحابه ومن معه على الموت وعلى ألا يفروا .

وبايع النبى لعثمان اذ ضرب احدى يديه بالأخرى كأنما هو حاضر .

وكان ممن بايعوا فى هذا الموقف العظيم صاحبنا
الصحابى الأنصارى سراقه بن عمرو •

وكان لبيعة الرضوان هذه تاريخ وأى تاريخ •
وكان لها أثر كريم وأى أثر •

وكان لها قدر كبير عند الله تعالى إذ نزل فيها وفيمن
بايع قول الحق سبحانه :

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَايَعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ

الْبَيِّنَاتِ كَيْفَ وَآيَاتِهِمْ فَظَاهَرًا ۝ ١٨

هكذا كان سراقه يوم البيعة مؤمنا ممن رضى الله عنهم •
وكانت البيعة سطرًا من نور يتلأأ فى كتاب حياة
سراقه •

ثم قدر الله له أن يشهد فى مدى قصير ثلاثة أحداث
ضخمة فى تاريخ الجزيرة العربية وفى تاريخ الاسلام
شارك فيها جميعا ، ولقى الشهادة فى ثالثها •

أما أول هذه الأحداث فهو مسير المسلمين إلى خيبر ،
وكان ذلك فى المحرم من السنة السابعة للهجرة الشريفة ،
وكان صاحبنا فى مسيرة الخير هذه •

ويروى أخ لسراقه عنه ما قاله الرسول العظيم حين
أشرف على خيبر فاستوقف أصحابه وقال لهم : « قفوا » ثم
دعا بهذا الدعاء :

« اللهم رب السموات وما أظللن ، ورب الأرضين وما
أقللن ، ورب الشياطين وما أظللن ، ورب الرياح وما أذرين ،
... إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها
ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » •

ثم قال : « أقدموا باسم الله » •

ويزيد أخوه أبو معتب بن عمرو على ذلك فيقول :
« كان رسول الله ﷺ يقول هذا الدعاء لكل قرية دخلها » •

فهل معنى ذلك أن هذه كانت أول مرة يسمع فيها سراقه ابن عمرو هذا الدعاء النبوى الكريم ؟ أم أن أبا معتب يقصد أنه عليه الصلاة والسلام دأب منذ خيبر على قول هذا الدعاء عند دخوله كل قرية بعد خيبر ؟

ذلك مالا نعرفه • • وإن كان الذى ندرىه أن صاحبنا سراقه ذكر هذا الدعاء ، رغم أن البعض أخطأ فقال إنه لا رواية له وهذا هضم لحقه • وإنه لهضم كبير لحق صحابى كبير ومحدث خطير •



ثم كانت عمرة القضاء التى نزل فيها قول الحق تبارك وتعالى :

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ مَحَلِّينَ
رُءُوسَكُمْ وَمَقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ قُلِ مَا تَعْلَمُونَ فَتَحَلُّوا مِنْ ذَلِكَ قُرْبًا ۝١٧

وكانت عمرة القضاء مكان عمرته عليه الصلاة والسلام التى صدته قريش عنها •

وهكذا كتب الله لسراقه بن عمرو أن يؤدى العمرة : عمرة القضاء مع النبى العظيم بعد أن جمع العزم على العمرة من قبلها ، ولكن التفاخر بالجاهلية وعنجهية قريش والظلم الذى ارتكبته حالت كلها بين المسلمين وبين ما كانوا قد نهضوا من أجله •

لم تنقضى ثلاثة أشهر على عمرة القضاء هذه حتى كان خروج جند الرحمن إلى « مؤتة » من أرض البلقاء بالشام ، والتي ينعتها السهيلي بغزوة الأمراء ويقول إن هذا صار اسمها .

وكان على الجيش الخارج لمحاربة الروم زيد بن حارثة ، وفيه أيضا جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وكثيرون غيرهم ممن على هذا النمط الكريم .

وكان في هذا الجند الكثيف صاحبنا سراقه بن عمرو .

ولقى الشهادة في هذه الوقعة الأمراء الثلاثة : زيد وجعفر وابن رواحة .

وكان ثالث الثلاثة كان يدرى أنه غير ملاق النبي عليه الصلاة والسلام بعد هذا الخروج فقال له وهو يودعه :

إني تفرست فيك الخير نافلة

فراصة خالفت فيك الذي نظروا

أنت الرسول فمن يحرم نوافله

والوجه منه ، فقد أزرى به القدر

فشبت الله ما آتاك من حسن

في المسلمين ونصرا كالذي نصروا

وكان حقا كل الذي قاله عبد الله بن رواحة .

واستشهد في يوم مؤتة ثمانية من الصحابة الكرام رضوان الله ورحمته عليهم ، وكان «سراقه بن عمرو» أحدهم ، فكانت خاتمة خير خاتمة لحياة ثرة خيرة في ظل الاسلام منذ أن أسلم ونطق بالشهادتين ، وهكذا استشهد سراقه في مؤتة وهو يحارب البيزنطيين .

وهكذا ضم ثرى الشام جثمان ابن المدينة المنورة ليربط
بين البلدين برباط أقوى من الموت على مر الزمن :

إذا أديتني وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء
وجاء المسلمون وغادروني بأرض الشام مشهى الثواء
هنالك لا أبالي : طلع بقل ولا نخل أسافلها رواء

فرحم الله سراقه بن عمرو صحابيا أنصاريا خزرجيا
بدريا، شارك في المشاهد التي شارك فيها نبي الرحمة ، وكان
صادق الرغبة في الجهاد ، حسن الإيمان ، ومات في أرض
كانت تحت حكم الروم ، ليروى بدمه ودم الشهداء ترابها ،
فزكى التراب ، وأطلع إسلاما اعتزت به بلاد الشام :

يا دماء الشهيد ما أنت الا

ذائب الطيب يا دماء الشهيد

وَمَا كُنَّا نَمُنُّ أَنْ نَمُوتَ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَنَا وَأَمَّا مَنْ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَيُحْمِلْهَا وَمَنْ يُرِيدُ
ثَوَابَ الْآخِرَةِ فَيُحْمِلْهَا وَسَيَجْزِي الشُّكْرُ ۝ (١١٥)

صدق الله العظيم

الأرقم بن أبي الأرقم

صاحب دار الإيمانية

كان على الصفا بمكة المكرمة دار اتخذها الرسول صلوات الله وسلامه عليه مركزا لدعوته أيام غلبت السُّرْبَةُ على الدعوة في بادئ الأمر ، وكان يُعَلِّمُ فيها الإسلام لمن أرادَه عن طيب خاطر ، فكانت أول دار دعوة إسلامية يردُّها كل من يسعى إلى ارتشاف الحق من نبع النبوة الصافي الدفاق .

وقد شهدت هذه الدار رجالا هزوا الدنيا بكريم فعالهم فأكرمتهُم الدنيا إذ خلدتهم ، ولم تستطع يد النسيان أن تمحو من الأذهان مجيد أعمالهم بعد أن طواهم الثرى ومرت القرون ، فقد ملأوا سمع الزمان بأعظم الأحداث وأروعها وأمجدها ، وغيَّروا مسيرة التاريخ ، وحسبهم أن يكون النبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام أولهم وإمامهم وقائدهم . . . تلك هي دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي الذي فاخر ابنه عثمان (وحق له الفخر) بأن أباه سابع سبعة كانوا طلائع من اعتنقوا هذا الدين القيم ، وإن قيل في رواية أخرى إنه الثاني عشر في عداد المسلمين الأوائل الذين أسلموا وجوههم لله وهم محستون .

ولقد أوردتهم ابن إسحق بعد النفر الثمانية الذين سبقوا الناس كلهم إلى الإسلام ، وصدقوا رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واتبعوا الحق الذي جاء به من عند ربه ،

فكان لهم من ربهم جنات النعيم ، ويكرمهم الله يوم الجمع يوم
يسمى نورهم بين أيديهم ، وإنهم يومئذ لمن المفلحين .

جعل الأرقم داره مركزا للدعوة ، وكفاه فخرا أن ذهب
في التاريخ - حتى يرث الله الأرض ومن عليها - بأنها الدار
التي كان يغشاها رسول الإنسانية ونبى الرحمة ، والتي أسلم
فيها بين يديه من فتح الرحمن قلوبهم للهدى ، فأمنوا بذلك أن
تأتيهم غاشية من عذاب الله ، فلا عجب إذن إن عرفت بدار
الإسلام ، ثم جعلها الأرقم صدقة على ولده وحرما لا يباع
ولا يورث ، وأشهد على ذلك اثنين هما هشام بن العاص
وأخر كان مولى له ، فظلت كما أرادها « صدقة قائمة يقيم
فيها ولده ، ويؤاجرون ويأخذون عليها » كما قال ابن
سعد ، حتى إذا جاء أبو جعفر المنصور وقعت فى نفسه
فاشتهاها فابتاعها بعد جهد جهيد . فقد رفض ولد الأرقم
ما أراده المنصور ذو الحول والطول ، فلوح لأحدهم بالخلاص من
الحبس ، وفتن الباقيين بالمال الكثير ، فتم له ما أراده ، ونال
ما اشتهى وتمنى ، وانتقلت الدار إلى العباسيين فكانت
للخيزران .



لقد أسلم الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى - عن يقين - فى
وقت كان الداخل إبانة فى الإسلام هو القابض على الجمر
بيده ، تصيبه قریش بأنكى أنواع العذاب وتتفنن فى إيذائه ،
ولا تتورع عن أن ينال هذا الأذى من قد تربطهم به صلة
ما داموا لم ينهوه عما هو فيه ، أو يزجروه عن اتباع هذه
الملة التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام .

وكانت قریش لا يردّها عن صب الأذى أن يكون من تؤذيه
شيخا أو امرأة أو غلاما ، ولا تقيم حرمة لكبير أو تعطف على
صغير ، بل تطاردهم بشتى سبل المطاردة ، ولا تتورع عن
قتل من تقدر عليهم منهم ، فهى قد تقتله جهرا ، حتى ولو
كان امرأة ضعيفة إلا من إيمانها .

وأحب الأرقم الرسول عليه الصلاة والسلام ، وبأدله رسول الرحمة حبا بحب ، وكان جهاد الأرقم أول ما كان حين جعل داره مكانا يستخفى فيه من أسلم درأ لفضبة المشركين والكفار ثم جعلها وقفا على المؤمنين ، . . . ولقد فعل الأرقم ذلك وهو على يقين من أن قريشا لو علمت بما فعل لنكلت به ، وكان عجيبيبا ألا تعلم قريش بأمر الدار وهى تمر بها كل يوم وكل لحظة وهى فى طريقها إلى الكعبة . .

وتجتمع فى الدار ثلة قليلة من المؤمنين قبل أن تعلم قريش بها ، حتى إذا صاروا أربعين بعمر بن الخطاب خرجوا غير مباشرين بقريش تمسكا بقول الحق تبارك وتعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » .

ثم علمت قريش أن المسلمين يتخذون من دار الأرقم هذه ندوة لهم ، فغاضهم ما علموا . . . ولكن ماذا يعنى المسلمين أن يملك الغيظ قريشا . . . ألا قل موتوا بغيظكم .

وأما الله الكفر وأظهر الإيمان برجال كانوا البذرة الأولى الطيبة لشجرة مباركة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أظلت العالمين ، وستظلهم إلى يوم الدين ، فيرفعون برحمة الله راية التوحيد ، وقد أفلح من استعلى .

ذلك كان أمر الدار وأمر من كانوا فيها .



أما صاحبها الأرقم فقد شهد بدرا فى خمسة من بنى مخزوم ، ونفله الرسول عليه الصلاة والسلام يومذاك سيفاً ، ثم ندبه ليكون أحد رجال سرية أبى سلمة بن عبد الأسد التى خرجت إلى « قطن » على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة .

ثم شهد الأرقم بعد ذلك المشاهد كلها فكان له أجره على
• مما شهد •

ولما هاجر الأرقم إلى المدينة المنورة آخى الرسول عليه
الصلاة والسلام بينه وبين طلحة بن زيد الأنصاري كما قاله
صاحب أسد الغابة في ترجمة طلحة وإن لم يذكره في ترجمة
الأرقم ، كذلك أقطعه دارا هناك في بنى زريق •

لقد هاجر الأرقم تاركا ما كان فيه من المال والدار ،
وهجر كل شيء إلا الإيمان بالله ، والجهد في سبيله بالمال
والنفس والأهل والولد ، وإلا حب رسول الله ﷺ ، فكان
• بما عمل عظيما •

الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجْهَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا أُولَئِكَ إِلَّا مِنْ قَلِيلٍ

عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٦﴾



ولقد عمر الأرقم حتى أدرك مروان بن الحكم على المدينة ،
وأوصى - إذا حضرته الوفاة - أن يصلى عليه سعد بن أبي
وقاص ، وكانت داره بالعقيق في المدينة ، فلما قبضه الله
تعالى احتبس على القوم سعد وتأخر في المجيء ، فقال مروان
بن الحكم وقد أراد الصلاة عليه : « أحبس صاحب رسول الله
ﷺ لرجل غائب ؟ » ، فأنكر ذلك عليه بنو مخزوم و « قام
كلام » كما تقول الكتب • •

وكان لبنى مخزوم ما أرادوه من تحقيق وصية صاحبهم •

وتأخرت الصلاة على صاحبهم الأرقم بن أبي الأرقم - أحد
العشرة المبشرين بالجنة - حتى جاء أخوه في الإسلام سعد بن
أبي وقاص الذي لم يفد الرسول عليه الصلاة والسلام
أحدا سواه بأبويه • • • وجلّ الفداء من نبي الأمة ، فصلى
سعد بن أبي وقاص على الأرقم •

لقد كانت وفاة الأرقم صاحب الدار المعروفة باسمه
سنة خمس وخمسين وقد جاوز الثمانين بخمسة أعوام .

مات الأرقم مطمئن النفس . . . مرضيا عنه ، مبشرا من
سيد البشر بما لا مزيد عليه من ما بعدها نعمة .

مات بعد أن جعل داره منزلا للمؤمنين يغشونها فيزيدهم
الهادى هداية ويرحمهم الله ، ويكون وليهم رب العزة فهم من
أهل الجنة ، وأما من كفروا فلهم السعير .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا
مَالَهُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجَرُوا وَإِنْ اسْتَفْزَعُوا
فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّثْقٌ وَاللَّهُ
يَمَاتَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

صدق الله العظيم .

سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ رجل نصح للرسول حياة وميتا

الصحابي سعد بن الربيع بن عمرو من بنى مالك الأغر، وهو أنصاري خزرجي عقيب بدرى ، وحسب من كانت هذه صفاته أن يعد غرة فى جبين الدهر .

آمن سعد بن الربيع بالإسلام وبدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام فى الإخاء الذى قل أن يجاريه فيه أحد فدل على رسوخ الدين فى أعماقه ، ومدى فهمه للاخوة التى دعى إليها النبى صلوات الله وسلامه عليه ، إذ كانت أخوة لم يشهد التاريخ لها مثيلا ، وكانت ولا تزال رباطا غليظا يربط المسلمين بعضهم ببعض .

وقد أراد الله لسعد الخير حين خرج مع نفر من قومه فى الجاهلية للحج ، فأسعدهم الله بأن يلتقوا عند العقبة برسوله المجتبى ، وقال بعضهم لبعض : « ما لنا لا نستمع إلى ما يقوله هذا الرجل : محمد بن عبد الله ؟ » ، فأقبلوا إليه واستمعوا فحدثهم فأمنوا بما قال ، وقرأ عليهم القرآن فخشعوا ، وأخبرهم بنبوته فصددقوا ، ودعاهم إلى شرعة الحق فاستجابوا ، والتمس منهم مناصرتهم فلم يضمنوا عليه بها . . . فكتب الله لهم بذلك خير الدارين ، وفتح الرحمن بينهم وبين قومهم بالحق ، وكان فضل الله عليهم عظيما .

أسلم سعد بن الربيع منذ ذلك الوقت ، ومن ثم فإسلامه قديم ، وإيمانه قوى متين .

ثم كانت العقبة الثانية يوم سأل الرسول عليه الصلاة والسلام الإثريين الذين أسلموا أن يخرجوا له منهم إثني عشر نقيبا ، فأخرجوهم ، فكان سعد بن الربيع أحدهم .

فى هذا اليوم بايعهم رسول الرحمة على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأولادهم فبايعوه ، وفاخروا بأنهم أبناء الحرب وأهل الحلقة ، ورثوها كابرا عن كابر .

وفى هذا اليوم الآخر العظيم قال لهم النبى : « أنا منكم وأنتم منى ، ... أسالم من سالمتم » .

وبايعه النقباء الإثنا عشر عن قومهم .

وفاخر الأنصار بهؤلاء النقباء ، وفاخروا بسعد بن الربيع أنه موف بعهده للرسول عليه الصلاة والسلام فقالوا :

ألا ابلف أيبسا أنه - قال رأيه

وحان غداة الشعب ، والحين واقع

وأبلف أبا سفيان أن قد بدى لنا

بأحمد نور من هدى الله ساطع

ودونك فاعلم أن نقض عهدنا

أباه عليك الرهط حين تتابعوا

وما ابن ربيع أن تناولت عهد

بمسلمه : لا يطمعن ثم طامع

وكان سعد بن الربيع فى الجاهلية من « الكلمة » ، يعرف الكتابة بالعربية ، وكان العارفون بالكتابة يومذاك قلة .

ولما هاجر النبي عليه الصلاة والسلام ودخل المدينة
ود سعد بن الربيع لو أن ينزل الرسول الكريم دارهم ، فاعترض
القصواء (- ناقة النبي -) فى رجال من بنى الحارث بن
الخرزج ، فأمره الشفييع الهادى أن يخلى سبيلها لأنها مأمورة ،
فأطاعه سعد وأطاعه الجميع ، فما كان قوله ﷺ إلا عن جكمة
سامية ، وما كان ينطق عن هوى ، إن هو إلا وحى يوحى .



ويقبل عبد الرحمن بن عوف مهاجرا إلى المدينة فينزل
على سعد بن الربيع ، ويؤاخى بينهما النبي عليه الصلاة
والسلام فى الله عملا بقوله : «تآخوا فى الله أخوين أخوين» .
ويعرف سعد معنى الإخاء ويعظمه ، فينطلق
بعبد الرحمن بن عوف إلى داره فيدعو بالطعام ويقول له :
« انى أكثر الأنصار مالا » .

ثم يكون حوار بين الرجلين يأبى فيه عبد الرحمن بن
عوف أن يكون كلا على سعد فيقول لابن الربيع :

« بارك الله فى أهلك ومالك ... ولكن دلونى على
السوق » فدلوه عليه فانطلق متاجرا فتاجر ، فكسب حلالا
وأثرى ، حتى صار من أغنى من رأتهم يثرب .



وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يجلس سعد بن الربيع
ويحبه ويدرك بطولته الفذة . ويشاهده يوم أحد وقد
أصاب من المشركين رفاعه بن أبى رفاعه بن عايد فأهلكه
وقتله وعجل به إلى الجحيم .

وأبلى سعد فى هذا اليوم البلاء الحسن .

وكان يوم أحد يوم بلاء وتجربة وامتحان للمسلمين .

وفى هذا اليوم لا يلتفت النبى الكريم إلى جراحه ولكن يقول لمن حوله : « من يأتينى بنخبر سعد بن الربيع ؟ » •

ويستجيب له رجل - يقال إنه أبى بن كعب - يذهب فيطوف بين القتلى ، ويلمح الرجل سعد بن الربيع قد آثنته جراحه حتى ما يستطيع حراكا •

ويسأله سعد ما شأنه ، فيخبره الرجل بأن النبى عليه الصلاة والسلام بعثه يسأل عنه ، فيقول له : « اذهب إليه فأقرئه منى السلام •

• وأخبره أنى قد طعنت اثنتى عشرة طعنة » •

ثم يحمله سعد بن الربيع رسالة إلى المسلمين الذين مع القائد الملهم ويقول له :

« اذهب إلى قومك وقل لهم ، يقول لكم سعد بن الربيع :

« الله الله ما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة •

« فوالله ما لكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف » •

قال الرجل : « فوالله لم أبرح مكانى حتى مات فرجعت إلى النبى ﷺ فأخبرته فقال :

« رحم الله سعدا ... نصبح لله ولرسوله حيا وميتا » •

وكان سعد يأبى إلا أن يكون ذا عمل بناء فى الإسلام حتى بعد موته ، فقد ترك ابنتين أخذ ميراثهما أخ له ، وكانت امرأة سعد حاملا ، وكان الناس يتوارثون على ما كان عليه أهل الجاهلية • فأعطى الرسول صلوات الله وسلامه عليه البنيتين الثلثين مما ترك سعد •

وقيل بل كان ذلك فى أوس بن ثابت •



هكذا كان سعد على أحسن ما يكون المسلم .

ويعرف أبو بكر الصديق قدر سعد فيصرّح به حين دخلت ابنة سعد على أبي قحافة فالتقى لها ثوبه فجلست عليه فتعجب عمر مما فعل الخليفة الراشد فيسأله :
من تكون هذه المرأة يا أبا بكر ؟

فيجيبه : « هذه ابنة من هو خير منى ومنك » .

فيعود ابن الخطاب يسأله : « ومن هو يا خليفة رسول الله ﷺ » ؟
فيقول أبو بكر :

« رجل مضى على عهد رسول الله ﷺ وتبوا مقعده من الجنة ، وبقيت أنا وأنت » .
رحم الله سعد بن الربيع فقد كان أمة في إسلامه وفي إيمانه .

وكان بطلا في مبايعته وعهده وجهاده .

وكان صحابيا جليلا داني المكانة من قلب النبي صلوات الله وسلامه عليه .

ثم لقي ربه شهيدا مبرورا .

وخلف للمسلمين مجدا رفيعا ، وجهادا غير منكور ،
وصورة زاهية مشرقة الجوانب للمسلم التقى الورع .

ثم ذهب إلى رحمة ربه ليلقى الجزاء الأوفى .

رَبَّنَا إِنَّا أَمَعْنَا مَنَادِي الْإِيمَانِ أَنْ نَأْمُرَ بِرَبِّكُمْ
فَمَا نَرَبَّنَا فَأَعْرِفْنَا دُؤُنَا وَكَفَرْنَا عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْنَا مَعَ الْأَنْكَارِ
رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ
لَا تُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١٨﴾

صدق الله العظيم .

عِبَادَةُ بِنِ الصَّامِتِ

رَجُلٌ تَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ مِنْ هِلْفِ الْكُفَّارِ وَوَلَايَتِهِمْ

نطاع في هذه الصفحات رجلا كان في الصحابة عقبيبا
بدريا ، وكان أحد خمسة من الأنصار الذين جمعوا القرآن
الكريم زمن النبي عليه الصلاة والسلام كما يقول بعض من
ترجموا له .

ولما كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر بن الخطاب أن
أهل الشام في حاجة إلى من يعلمهم كتاب الله ويفقههم فيه
أرسل إليه ثلاثة كان صاحبنا عبادة بن الصامت هذا أحدهم .

وكان عبادة يوم العقبة نقيب « القواقل » الذين نعتوا
بذلك كما قال ابن هشام لأنه كان إذا استجار بهم أحد في
يشرب دفعوا إليه سهما وقالوا له « قو قل به ييشرب حيث
شئت » مما يدل على مكانة هذا الفرع من الخزرج في المدينة .

كانت صورة إسلامه أنه أسلم أيام كان رسول الله ﷺ
يعرض نفسه في الموسم على قبائل العرب ليسمعهم ما عنده ،
فإن كان خيرا آمنوا به .

ولقي محمد عليه الصلاة والسلام في ذلك اليوم رهطا
من الخزرج كانوا من موالى يهود ، فراح يحدثهم عن الإسلام
عسى أن يشرح الله صدورهم له ، وأخبرهم أنه نبي الله وخاتم
رسله ، وأن ليس به ضلالة ولكنه رسول من رب العالمين ،

فلما سمعوا ما قال تذكروا فى لحظتهم هذه ما يتهددهم به
يهود يشرب من استنصارهم بنبى آن أوانه وأطل زمانه ،
وأنهم سوف يسبقونهم فى الإيمان به ، ويستظهرون به
عليهم •

فألهم الله هؤلاء الخزر جيئ أن هـ النبى الموعود •

ثم أجمعوا أمرهم على أن يحدّثوا قومهم بخبره فحدّثوهم
عنه حين فرغوا من حجّهم وعادوا إلى يشرب ، فأمن معهم طائفة
وافوا الرسول الكريم فى الموسم التالى عند العقبة ، وكان
فيهم عبادة بن الصامت نقيباً لبنى القوئل ، وبايعوه بما
عرف ببيعة النساء •

تلك كانت العقبة الثانية التى وصفها عبادة بقوله :

« بايعنا رسول الله ﷺ بيعة الحرب على السمع والطاعة
فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرها ••• وألا ننازع الأمر
أهله ••• وألا نقول إلا الحق أينما كنا ••• وألا نخاف فى
الله لومة لائم » •

هكذا قال عبادة ، وهكذا حفظ التاريخ ما قال ، ووالله
ما قال عبادة إلا صدقا ، وما نطق إلا حقا يفصح عن المثل
العليا السامية فى أعلى مراتبها ••• وإنها والله لقيم أخلاقية
لا تدانيها فى السمو قيم أخرى •

على هذا النمط الكريم كان إسلام عبادة •

إنه إسلام عميق الجذور فى نفس رفرف النور فى
جوانحها ، ونزع الله منها كل شك فى صدق الدين ، ولم
تخالجها قط ريبة فى نبوة الرسول المصطفى الكريم ، عليه
أفضل الصلاة وأزكى التسليم •



• وشارك عبادة في يوم بدر مشاركة فعالة •

ولما اختلف المسلمون في الأنفال لم يرضه ذلك الاختلاف ،
ثم أنزل الله جل جلاله سورة الأنفال فحسمت كل خلف ،
واخرست كل تأويل ، ووضعت الأمور في نصابها ، وفي
ذلك يقول عبادة بن الصامت :

« فينا معشر أهل بدر نزلت الأنفال يوم اختلفنا في
النفل يوم بدر ، فابتزعه الله من أيدينا حين ساءت أخلاقنا ،
وردّه على رسول الله ﷺ فقسمه على السواء • وكان في ذلك
تقوى الله وطاعته وطاعة رسول الله ﷺ وصلاح ذات البين » •



وكانت لعبادة بن الصامت مع المنافقين واليهود أخبار
دلت على صدق إيمانه ، ونزلت في ذلك آيات محكمات •

أما عن اليهود فقد كان حليفاً لبنى قينقاع ، فلما أخذوا
في محاربة الرسول عليه الصلاة والسلام تشبث بأمرهم رأس
المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، وقام دونهم ، وأذاك
مضى عبادة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام • وكان عبادة
أحد بنى عوف الذين لهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله
السلولي ، فخلعهم عبادة إلى رسول الله عليه أزكى الصلاة
الصلاة والتسليم ، وتبرأ إلى الله عز وجل وإلى رسوله من
حلفهم وقال له :

« يا رسول الله : أتولى إلى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين
« وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ولايتهم » •

فنزل القرآن مشيراً إلى ذلك في قوله عز من قائل :

فَأَمَّا الَّذِينَ
كَفَرُوا فَأَعَذُّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾

وأمره الرسول العادل أن يجليهم فجعل بنو قينقاع
يقولون لعبادة :

« يا أبا الوليد : أمن بين الأوس والخزرج - ونحن مواليك - فعلت هذا بنا ؟ » فقال لهم عبادة « لما حاربتم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرأت اليه منكم ومن حلفكم » •

وكان عبد الله بن ابي المنافق حاضرا المجلس فلامه قائلا :

« تبرأت من حلف مواليك يا عبادة ؟ ما هذه بيدهم عندك يا أبا الوليد !! » •

فقال له عبادة :

« يا أبا الحباب ... تغيرت القلوب ، ومحا الإسلام العهد ، أما والله إنك لمعتصم بأمر سترى غيه غدا » •

فلما أدرك بنو قينقاع مكانة الجد فيما قضى به رسول الله ﷺ من الرحيل قالوا :

« يا محمد ... إن لنا ديننا فى الناس » •

فأجابهم « تعجلوا وصفوا » •

ثم أخذهم عبادة بالرحيل والإجلاء ، ثم طلبوا الراحة أو « التنفس » كما قالوا فأجابهم :

« والله ولا ساعة من نهار ... لكم ثلاث لا أزيدكم عليها ... هذا أمر رسول الله ﷺ ، لو كنت أنا ما نفستكم » •

فخرجوا بالذرية والنساء وقد حملوهم على الإبل أما الرجال فكانوا يمشون •



وكان الخبر قد جاء رسول الله ﷺ بأن عبدالله بن أبي السلولى زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن منها المسلمين ، فانكر

السلوى هذا المقال وأصر على إنكاره وهو كاذب فى دفاعه عن نفسه ، فجاءه عبادة بن الصامت وقال له :

« يا أبا الحباب . . . إيتِ رسول الله ﷺ يستغفر لك » .

فلم يجبه عبد الله بن أبى استخفافا ، ثم لوى رأسه ساخرا ، فقال له عبادة :

« أما والله لينزلن فى لى رأسك قرآن يصلى به » .

وكان الأمر كما قال عبادة فقد نزلت فى ابن أبى سورة .

« المنافقون » كلها .

ودمغ الحق الباطل ، فاذا الباطل زاهق .

وكانت العزة لله ولرسوله وللمؤمنين .

وكان الخزى والعار والفضيحة للمنافقين الذين .

يخادعون الله وهو خادعهم ، ويشهد الله أنهم كاذبون ، ويجعل لهم عذابا أليما .



هذه قصة إسلام عبادة بن الصامت وقصة مسيرته فى

الإسلام .

وهذه بعض أخباره نقيبا عقيبا مؤمنا حتى يتوفاه الله .

فى الرملة سنة أربع وثلاثين ، وهذا هو عبادة الذى قال له

عمر : « قبح الله أرضا لست أنت فيها ولا أمثالك !! » وصدق

عمر الذى كان خير من يعرف أقدار الرجال ، وما كان قدر

عبادة ليخفى عليه .

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

أَوْرَثُوا أَوْجَاهَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ

الْقَادِرُونَ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

عبد الله بن رواحة

رجل يدعو المؤمنين إلى إهدى الحنين
الظهور أو الشراة

انى تفرست فيك الغير أعرفه
والله يعلم أن ما خاننى البصر
أنت النبى ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر

أخى المسلم : هل تعرف من قائل هذين البيتين منذ
خمسة عشر قرنا من الزمان ؟ ، وهل جاءك خبره ؟ :
إن كنت لا تعرف فاسأل تاريخ الصحابة الأمجاد ينبئك
أنه عبد الله بن رواحة رضوان الله عليه .

وإن فتشت عن خبره حدثك التاريخ بكل ما يشرح قلب
المؤمن ، وتقر له النفوس الطيبة .

إن البيتين لعبد الله بن رواحة يخاطب رسول الله ﷺ .

وإن هذين البيتين ليفصحان عن مقدار حبه وتقديره له
وإدراكه لمكانته كرسول للإنسانية ، وشفيع للناس يوم
لا شفيع سواه ، وإن له لبيتا ثالثا يقول له فيه :

فشيت الله ما آتاك من حسن

تثبيت موسى ، ونصرا كالأذى نصروا .

فلما سمعه نبي الرحمة وشفيع الأمة أجابه : « ثبتك الله
يا ابن رواحة » .

إنه دعاء كريم . . . استجابه الله فكتب له الشهادة بعد
جهاد طويل في سبيله ، فقد كان ممن جاهدوا الكفار
والمنافقين وأغلظوا عليهم ، ولم يخافوا في الحق لومة لائم ،
فصار خبره سيرة تتعطر بها الدنيا وتسكب نفعا حلوا في
أسماع الأبناء والأحفاد فيعتزون به وبأمثاله من الصحابة
الكرام .



لقد رزق الله عبده ابن رواحة القدرة الفائقة في النظم ،
الذي جعله عبد الله لسانه في الذب عن رسول الله ﷺ ورد
الأذى عنه ، ومن ثم استثنى هو وحسان بن ثابت من طائفة
الشعراء الذين يقولون مالا يفعلون ، والذين يتبعهم
الغاوون .



وصحابيننا الشاعر المحارب الصنديد والبطل المغوار ،
والمحب للرسول ، المطيع له في السر والعلانية كان أحد النقباء
الاثنى عشر . . . ليلة جاء أولئك نفر اليثرييون إلى
الرسول عليه الصلاة والسلام فرغَّبهم في الإسلام وحدثهم
عنه ، وبايعهم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم
وأبناءهم فبايعوه ، وصدقت بيعتهم ، وكان لذلك حديث
طويل وخبر كريم إنتهى بأن طلب الرسول منهم أن يخرجوا
إليه منهم اثني عشر نقيبا ليكونوا شهودا على قومهم فأخرجوهم
إليه ، فكان منهم عبد الله بن رواحة . . . مسلما مقرا
بالحنيفية ، جابا للشرك ، مصدقا لمحمد عليه الصلاة والسلام
ورسائله ، مؤمنا بنبوته ، ملتصقا بعمود الدين عن رضا
وطيب خاطر ، فما مال عنه ولا انحرف عن سميته .

ولازم عبد الله بن رواحة الرسول عليه الصلاة والسلام
فكان بدرياً ، كما شهد أحداً والخندق والحديبية ، ومشاهد
الرسول العظيم ، إلا الفتح وما بعده إذ كان قد نعم بالشهادة
يوم موته أميراً للنبي المختار .

وإن الرسول عليه الصلاة والسلام ليبعثه يوم بدر بشيراً
إلى أهل «العالية» في المدينة بما فتح الله جل جلاله على المؤمنين ،
وكيف هلك أقطاب قريش والملا من رجالها ، فثار ذلك
حفيظة كعب بن الأشرف فقال :

« لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم (يعنى سراة قريش)
يوم بدر فلبطن الأرض خير من ظهرها !! » .

لم يقل ابن الأشرف هذا القول حبا فيمن هلك ولا حزنا
عليهم ، ولكنه قاله حقداً على الإسلام ورسوله الذي أرسله الله
بالحدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

لقد قال ابن الأشرف ما قال رغبة منه في إثارة الأحقاد
وطلب الثأر ، ونتيجة كراهية سوداء للدين أن ينتصر ...
إنه يقول ما يقول متربصاً بالعرب كلهم الدوائر ...
ألا عليه دائرة السوء وباء بغضب الرحمن ولعنه الله .

وإن عبد الله بن رواحة ليغضب لما نال زينب بنت
الرسول عليه الصلاة والسلام يوم أرادت اللحاق بأبيها
فتربص لها الكفر يريد ردها ، وروّعها مشرك قدم حتى
طرحها ذا بطنها ، فقال ابن رواحة يخاطب أبا سفيان :

فأبلغ أبا سفيان إما لقيته

لئن أنت لم تخلص سجوداً وتسلم

فأبشر بغزى فى الحياة معجل

وسربال قار ، خالداً فى جهنم

ويدرك الرسول صلوات الله وسلامه عليه أى رجل يكون عبد الله بن رواحة هذا حتى انه ليستعمله على قسمة ثمار خيبر فكان كما قال التاريخ وقال مترجموه : « يعدل على أهلها » *



ثم كان الخروج إلى مؤتة وهى قرية من أرض البلقاء فى الشام *

ومؤتة وحدها يوم ضخم من أيام الاسلام فى جمادى الأولى سنة ثمان للهجرة * * * حيث أمّر الرسول الكريم على جند الله زيد بن حارثة ، وأوصى أنه إن أصيب زيد فليحمل الراية جعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب جعفر فليتلق الراية عبد الله بن رواحة *

فإن قتل ابن رواحة فليختر المسلمون من بينهم رجلاً يجعلونه أميراً عليهم *

وخرج جيش الإيمان ، حتى إذا كان عند « معان » من أرض الشام جاءه الخبر بأن إمبراطور بيزنطة جمع لهم مائة ألف من الروم *

فيالله ما أكثف هذا العسكر يجمعه طاغية الروم !!

وماذا يفعل المسلمون وهم قلة إزاء هذا الحشد الضخم الذى جمعه هرقل وكأنما كان يريد به فتح الدنيا *

وأبصر ابن رواحة من المسلمين رغبة فى مكاتبة الرسول عليه الصلاة والسلام بالخبر ، ولم يكن ذلك نكوصاً منهم عن الحرب والجهاد ، ولكنهم تخوفوا من هذا العدد الكثيف من جند الروم ومن ضموه اليهم من لخم وخذام وبلى وغيرهم من القبائل العربية *

ان العسكر الاسلامى أراد مكاتبة الرسول القائد حتى
يمدهم بالرجال أو يأمرهم بما يرى فينطلقون إذ ذاك طائعين
منفذين ما يشير به عليهم *

ولكن عبد الله بن رواحة ينكر ما أراده العسكر الإسلامى
فيفق فيهم خطيبا قائلا :

« يا قوم ... إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون
الشهادة »

« وما يقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة »

« وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به »

« فانطلقوا ... فانما هى إحدى الحسنين : إما ظهور
وإما شهادة » *

كان الموقف عصيبا ، وكان كل ما فى الجو يوحى بالخوف
ولكن ابن رواحة لم يكن بالرجل الذى يخاف أو يرهب
أن يقاتل الأعداء وهم كثر *

وأتت كلماته أكلها ، فانطلق للحرب وانطلق المجاهدون
بعده فى أثره *

انطلق ابن رواحة وهو يرى جثمان أخويه فى الإسلام
الشهيد زيد وجعفر ، رحمهما الله ، فما زاده استشهادهما
إلا رغبة ملحة فى القتال وفى الثأر وفى الانتصار *

وما يحسب المسلم الصادق الإيمان من مات فى سبيل
الله ميتا ولكنه حى يرزق عند ربه *

وآثاره رأى الشهيد زيد وجعفر مجندين فأنشد :

يا نفس ان لم تقتلى تموتى
هذ حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تقتلى مثلهما : هديت

ثم طوح بعيدا عنه عرقا من لحم كان فى يده ، وتقدم
بسيفه فقاتل وقتل حتى قُتل هو شهيدا •

هكذا كان إسلام عبد الله بن رواحة أول سطر فى كتاب
جهاد طويل منير إلى جانب رسول الله العظيم من أجل الملة
الطاهرة السمحة •

وهذا هو عبد الله بن رواحة الذى طعن يوم مؤتة فتفجر
دمه فاستقبله بيده وذلك به وجهه • • • وظل يقاتل بين
صفى المؤمنين والكافرين •

ورأى الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يرى النائم
وقبل أن يصله خبر المعركة أن زيدا وجعفر وابن رواحة قد
رفعوا له فى الجنة على سرر من ذهب •

فأكرم بما رآه الأمين المأمون ، والصادق الصدوق •

وطوبى للذين آمنوا وعملوا الصالحات فكان لهم حسن
المآب • وإن لهم كرامة الشهداء بما قدموا للدين الذين دافعوا
عنه ، وأورثونا إياه فكان نعم الإرث لمن تمسك به دنيا
وأخرى •

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَأْوَاهُمْ وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ تَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٩﴾

صدق الله العظيم

حجاج بن علاط السلمي الساخر من قريش وباهليتها

كان حجاج بن علاط السلمي - ويكنى بأبي كلاب - قد سكن المدينة طويلاً حتى عدّه الناس من أهلها ، ولما أسلم بنى بها مسجداً وداراً عرفت باسمه .

وقد أسلم حجاج حين خرج بركب من قومه ، فلما دخل عليهم الليل سألوه أن يحرسهم وهم نيام فجعل يطوف حولهم وينشد :

أعيذ نفسي وأعيذ صجبي
من كل جنى بهذا النقب
حتى أووب سالماً بركبي

وبينما هو ينشد هذا النشيد إذا به يسمع من يرتل في صوت شجي يأخذ بمجامع القلوب .

يُمَشَّرُ
الْحَيِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٥١﴾

فتملكته الدهشة أن يسمع هذا الكلام في مثل هذا الوادي السحيق وليس به من أحد .

ودخل الركب مكة ، ومضى ابن علاط السلمي إلى دار الندوة حيث تجتمع قريش على مألوف عاداتها ، وكان علاط

معروفا عندهم ، يآلفهم ويألفونه ، ولا يكتمون عنه خبرا من أخبارهم ولا يكتُم هو عنهم أمرا ، فقد كان مثلهم فى جاهليتهم ، فأخبرهم بما سمع ، فما كان جوابهم إلا أن أنكروا عليه ما قال وما حدث به ، وداخلهم الخوف عليه أن تكون به جنة ، ثم التفتوا إليه وقال له قائلهم :

« صيأت والله يا أبا كلاب •

« إن الذى تقول لما يزعم محمد أنه نزل عليه » •

فحاجَّهم وأقسم لهم قسما صادقا غير حانت فيه أنه سمع الذى يرويه لهم الآن ، وسمعه كذلك من كانوا معه ، فلم يزددهم ما قاله إلا انكارا ، ولم يزدده هو الا اصرارا •

وانكفأ عن مجلسهم وسار فى طريقه ، ولكنه مطمئن القلب ، لا يدرى كيف نزلت عليه هذه الطمأنينة ، إلا أنه يحسها تغشاه من فوقه ومن تحته وتملؤ جوانحه ، لا سيما كلما ردد الذى سمع والذى أفضى به لقريش •

وأدرك أنه الإسلام • • • فأسلم •

ورحب به الرسول الكريم مؤمنا جديدا. ينضم إلى ركب المؤمنين المجاهدين •

وكان المسلمون فى خيبر قد افتحوها يوم جاء حجاج هذا إلى النبى عليه الصلاة والسلام وقال له :

« يا رسول الله : إن لى بمكة مالا ، وإن لى بها أهلا • وإنى أريد أن آتيهم وأخاف إن علم القوم باسلامى أن يذهبوا بمالى الذى عند صاحبتى أم شيبه بنت طلحة » •

ثم سأله أن يأذن له أن يمضى ليخلص ماله ، فأذن له النبى بما أراد •

كما أذن له أن يقول لهم ما يريد أن يقوله فيه هو ذاته ، وأنه فى حل مما يقوله لهم •

وجاء حجاج بن علاط إلى ناحية وجد عندها قوما يتحسسون الأخبار لقريش ، فسألوه عسى أن يجدوا لديه ما ينقلونه إلى قريش من أنباء المسلمين ، وعرف حجاج هدفهم فادعى عندهم بما ليس بواقع ، اذ زعم لهم أن النبي عليه الصلاة والسلام هزم أقبح هزيمة ، وأن أصحابه قتل أكثرهم وفر الباقون عنه ، وزاد فادعى أنه هو ذاته أخذ أسيرا لكنه استطاع الفرار .

فلما سمعوا ذلك منه أخذوه إلى مكة فرحين ، وحدثهم نفوسهم أنه ما هي إلا أيام ويقع النبي عليه الصلاة والسلام في أيديهم فيقتلونه .

وصور لهم خيالهم السقيم ما شاء أن يصور .

ثم صرحوا علانية بذلك كله في أهل مكة .

وعرف حجاج أنهم صدقوا ما زعمه لهم ، وأدرك أن سخريته بهم جازت عليهم ، فقال لهم لينال بغيته دون أن يثير شكوكهم :

« أريد أن ألحق بنخيب فأشترى مما أصبت قبل أن يأتى التجار ... فأعينونى على جمع مالى » .

وجازت حيلته عليهم مرة أخرى ، وصدقوه فيما زعمه ، وأسرعوا إلى تلبية طلبه ، وبادروا فجمعوا له ماله وأعطوه إليه .

وتناقل الناس فى كل ناحية ما قاله حجاج بن علاط السلمى ، ووصل ما قاله إلى سمع العباس فجاء إلى حجاج مهموما حزينا على ما أصاب ابن أخيه نبي الرحمة ، والتقى به فى خيمة تاجر من التجار فسأله العباس ما الخبر ، فانتحى به حجاج ناحية بعيدة ، واتفق معه على مكان غير هذا المكان ، وساعة غير هذه الساعة ضربها له .

وهناك فى الساعة والمكان المتفق عليهما قال له الحجاج :

« يا أبا الفضل . . . الذى يسرك أن ابن أخيك قد فتح
الله عليه خيبر » . ثم أخبره بما كان من ظهوره على أهلها ،
وانه عرّس بابنة ملكهم ، وزاد فقال :

« أما أنا فقد أسلمت . . . وما جئت الا لأخذ مالى .

« فاكمتم على يا أبا الفضل الخبر ثلاثا » .

وزال الهم عن العباس ، وملأت الفرحة الغامرة جوانحه
المضطربة وقرت نفسه ، واستجاب لما طلبه السلمى .

حتى اذا انقضى اليوم الثالث على هذا اللقاء لبس العباس
حلة زاهية وتخلق بأحسن الطيب ، ثم تناول عصاه وخرج
إلى المسجد واستلم الركن .

ورأته قريش فأقبل بعضهم على بعض يتسارون
وقد ارتابوا فى ما قد يكون دفعه إلى الظهور على هذه
الصورة : ثم أقبلوا عليه وقالوا له :

« يا أبا الفضل . . . هذا والله هو التجلد على حر
المصيبة » .

فرد عليهم العباس ردا بدد فرحتهم ، وكان فى رده
النبا المفجع الممض لهم إذ قال :

« كلا والذى حلفت به » .

« لقد فتح محمد خيبر وصارت له ولأصحابه ، وتزوج
بابنة ملكها » .

ونظر بعضهم إلى بعض وقد عقدت الدهشة ألسنتهم
وألجمتهم فما عادوا يعرفون ماذا يقولون .

يا للهول أن يكون هذا الخبر صحيحا ، وانهم لم يعرفوا
فى العباس إلا الرجل الجاد الصادق فيما يحدث به ، لذلك
سألوه من أين له علم ذلك ؟ ومن ذا الذى أفضى به إليه ؟ فرد
عليهم بجواب زاد من فجيعتهم وخسرتهم وكاد يميتهم غيظا
إذ قال :

« الحجاج بن علاط السلمى ، ولقد أسلم وتابع محمداً
على دينه ، وما جاءكم حجاج إلا ليأخذ ماله ثم يلحق بمحمد »
حينذاك استبد الغضب بقريش ، وهاجهم النبأ فحزنوا
وكادت مرائرهم أن تنشق غيظاً مما سمعوا •

اذن فمحمداً لم يهلك ، ولم يهزم !! •

وإن الحجاج سخر بهم حين زعم لهم ما زعم فصدقوه •
ثم زاد فى الهزء بهم حين سخرهم فجمعوا له المال فى
يسر •

ثم تمادى فى العبث بهم وبما يعبدون إذ أسلم واتبع
محمداً !! •

ولكن ماذا يفعلون ، وهل لهم حيلة فى دفع ما جرى ؟ •
ان آيات نصر الله لنبيّه لتتري وهم لا يملكون لها دفعا
ولم يجدهم استهزاؤهم به :

فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمُ الْبَأْسُ أَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

صدق الله العظيم •

سعيد بن زيد العدوي

الذي اهدى الفاروق على يده

صحابي هذه الصفحات ابن لرجل لم يدرك الإسلام ،
ومع ذلك فقد ترحم عليه النبي ﷺ إذ قال : « رأيت في الجنة
يسحب ذيولا » .

وأثر عنه ﷺ وهو الصادق المصدوق أنه قال أيضا :
« إنه يبعث يوم القيامة أمة وحده » .

أما الإبن الصحابي فهو :

سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي .

وأما الأب فزيد بن عمرو الذي كان في الجاهلية يطلب
الدين قبل ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، وكره الوثنية ،
وأنكر عبادة الأصنام والتقرب إلى الأوثان ، ولم يقبل على
النصرانية ، وكان لا يعبد ما تعبد آباؤه ، ولا يأكل
ذبائحهم .

وقال هو ذاته عن نفسه : « إنه خالف قومه واتبع ملة
إبراهيم وما كان يعبد وإسماعيل من بعده ، ويوجه صلاته
إلى القبلة » .

وكان ينتظر نبيا مع ولد اسماعيل يُبعث فيؤمن به .

وكان يسأل من يلقيهم ويتحدثون اليه ويتحدث هو اليهم
أن يقرئوا ذلك النبي المرتجى بعثه السلام إن طال بهم العمر
فأروه ، وقصر به هو الإجل فلم يسعفه لقاءه .



وكان ابنه سعيد يسمع ذلك منه . . فتدبر ما سمع . .
ووعى ما قاله أبوه ، ومن ثمّ ما كاد يسمع بدعوى الإسلام
حتى اعتنقه وذلك قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم . .
وقبل أن يدعو فيها . ومن هنا كان قديم الهجرة إلى الله
جل جلاله وإلى رسوله صلوات الله وسلامه عليه .

لم يكن يضير سعيداً أن تعلم قريش بإسلامه فتعصب
عليه الإيذاء الشديد .

ولكن ما أعذب العذاب وأحلاه إن يكن من أجل العقيدة
ليستريح الضمير ، ويهدأ الخافق الوثاب في الصدور .

ولقى سعيد أحسن الجزاء لقاء إيمانه ، اذ قال عنه
الرسول الكريم إنه أحد العشرة المبشرين بالجنة . . وحسبه
هذا من نعمة ما بعدها نعمة !! .

لقد كان يخشى الرحمن بالغيب فله مغفرة وأجر كريم .

ولقد تفاخر المسلمون بسعيد بن زيد حتى إن أهل
الكوفة ليقولون إنه مات عندهم ، وصلى عليه واليهم . . .
والحق أنه مات بالعقيق ، فاستصرخ عليه وقد ارتفع الضحى ،
فأقبل عبد الله بن عمر وترك الجمعة ففسله وحنطه وصلى
عليه ، ثم حمل إلى المدينة فدفن بها .

وكان له من العمر يوم مات بضع وسبعون سنة .

ومع أنه قديم الإسلام إلا أنه لم يشهد بدرا ، إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد بعثه قبل خروجه من المدينة بعشر ليال مع طلحة بن عبيد الله يتجسسان أخبار غير قریش حتى مرّت بهما وهما عند الحوراء ، فعادا فلم يجدوا الرسول ﷺ وليكنهما قابلاه قافلا من بدر قد نصره الله وأخزى الكفر ، فضرب لهما عليه الصلاة والسلام بسهميهما وأجرهما في بدر ، فكانا كمن شهدا •



ولقد تم في بيت سعيد إسلام عمر بن الخطاب الذي كانت آخته فاطمة بنت الخطاب تحت سعيد بن زيد ، وكانت هي وزوجها مسلمين مؤمنين •

وشهد سعيد ما بعد بدر في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما شهد اليرموك وحصار دمشق فيما بعد •

وكان سعيد مقدما في حياة النبي ﷺ ، فكان هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي قاص وابن عوف أمام الرسول في القتال ، ووراءه في الصلاة دائما •



وكان سعيد مستجاب الدعوة ، فقد شكته امرأة إلى مروان ابن الحكم يوم كان مروان واليا على المدينة لمعاوية ، وقالت المرأة وكانت تدعى أروى بنت أويس ، إنه ظلمها أرضا واغتصبها بغير حق ، فلما سمع سعيد هذه القالة النكراء قال:

« اظلمها ؟ وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ظلم من الأرض شبرا طوقه الله يوم القيامة من سبع أرضين » ؟ •

« فلتأت فلتأخذ ما كان لها من الحق » *

ثم دعا سعيد ربه ان يميته عمياء إن كانت هي الظالمة،
وأن يجعل قبرها في بئرها ، فكان الأمر كما دعا ، إذ ذهب
بصرها وكانت بئر دارها قبرها فقد وقعت فيها * وكان
أهل المدينة إذا دعى أحدهم على عدوه دعا أن يذهب بصره
كما أعمى أروى *



هذا بعض خبر سعيد بن زيد الذي كان يتخفى هو
وزوجته في دارهما ليقرئهما خباب بن الأرت القرآن الكريم،
فلما أخبرهما أخوها عمر بن الخطاب وكان على جاهلية
نكراء * فجاءهما الفاروق وهو كافر وبطش بختنه سعيد ،
فلم يزد هما بطشه إلا إيمانا وإصرارا على التمسك بهذا الدين
السمح ، وإلا المجاهرة بإسلامهما أمام عمر ، والتصريح به
على رءوس الملأ في غير خوف ولا وجل ، وفي تحدى الوثائق
القوى *

فعجب عمر منهما ، ثم نظر في المصحف وفي الصفحة بعد
أن تطلع ، وكان فيها سورة طه فقرأ صدرا فيها فأعجبه
ما قرأ *

وأكرمه الله فأسلم في بيت سعيد بن زيد الذي نسي
جراحه فرحا بإسلام عمر الذي اعتز به الإسلام منذ تلك
اللحظة ، واعتز به المسلمون ولم يعودوا يخشون بطش
«قريش» *



لقد كان سعيد بن زيد منذ إسلامه يتقلب في نعيم
الإيمان ، ويسعد به حتى مات خير ميتة ، ليحيى حياة خالدة
مبشرا بها *

هذه قصة المؤمن القانت العابد القارئ سعيد بن زيد *

فاللهم اجعلنا على غراره ، وايدنا بروح من عندك
لنقتدى به فالقدوة به هداية ، واجعلنا مثله ممن يسمعون
القول فيتبعون أحسنه *

إِنَّ الَّذِينَ
يُيَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُيَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ يَسْكُتْ فَإِنَّمَا
يَسْكُتُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يُؤْتِيهِ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

حارثة بن شراحيل الكلبى

رجل جاءه الخير من حيث لا يحتسب

رب ضارة نافعة !!

لم يكن هذا المثل أصدق فى تطبيقه منه فى قصة حارثة ابن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى الذى ابتلى بغنياء ولده زيد ، فأَمْضَتْه الحزن ، ثم خرج يلتمسهُ فى كل موضع ، فأدى خروجه وراءه فى البحث عنه إلى هدايته هو ذاته إلى الاسلام .

كان حارثة من بنى كلب ، وكان قد تزوج امرأة من بنى معن بن طى ، ولهما من الولد وحيدهما زيد يساهيان به أهلها ، فكان قرّة العين ، وريحانة النفس ، وسعد الطالع ، والواحة التى يفىء الوالدان إليها فيشعران بالغبطة والأمان .

وكانت الأم « سعدى بنت ثعلبة » لا تفارق صغيرها فى غدو أو رواح ، ولا فى بدو أو حضر ، ولا بليل أو نهار ، فهى تصحبه فى حلها وترحالها ، ولا تتركه يغيب عن ناظرها ، وإنها لتضيق نفساً - أن تمر لحظة دون أن تتلمى منه وهو يلعب ويلهو ، أو وهو يقظان أو نائم ، أو وهو مقبل عليها فى غضبه وأنسه ، أو وهو يعيث بما تصل إليه يده . فكان لا يعنيه شئ إلا أن تراه هائئاً فتغمرها السعادة ، ويهزها الفرح ، وتستبد بها النشوة .

كان هو حسبها من الدنيا وما عليها وما فيها من متع .



ثم كان صباح وقد التأم فيه شمل الأسرة ، وأستقبلوا
هذا الصباح كما كانوا يستقبلون كل صباح سالف ، وما علم
أحد منهم ماذا يخبؤه لهم مساؤه .

إنهم ليستقبلون يومهم كأحسن ما يستقبلون به اليوم .
وها هو ذا قرة العين وريحانة البيت زيد ابن التامنة يتب
هنا وهناك فلا يزجره أحد ، ثم زاد الطفل الحبيب من فرحته
إذ علم أنهم ماضون لأخواله ، وهناك سوف يلهم مع أبناء
أخواله ما شاء أن يلهم .

ويقبل زيد الطفل إلى أمه يحدثها بما سوف يفعله
بأبناء أخواله ، فترد عليه ضاحكة ، وتضحكه ، وتعتذره أن
يفيب عنها فإن لهم عودة سريعة لبيتهم وإنها لترجو أن
تعود به عاجلا .

وخرج زيد في صحبة أمه سعدى بنت ثعلبة ، وانطلقا
حتى بلغا مشارف خيام إخوتها .

ولاحت للطفل على البعد خيام أخواله ، فصفق قلبه في
صدره ، وزغردت الفرحة البريئة في جوانبه ، وانطلق
قلبه يسابقه في لهفة عارمة وطفولة حلوة ، كأنما يريد
كل منهما أن يبلغ هذه الخيام قبل الآخر .

ثم بلغ الطفل الخيام ومعه أمه سعدى .

وأقبل الأهل والعشيرة يرحبون بأختهم وابن أختهم
زيد بن حارثة .

وأقبل الصغار على الصغير ، ومضوا يلعبون ويمرحون
ما شاءوا أن يلعبوا ويمرحوا . لا يصددهم أحد ولا ينهاهم ثم
ناه عما هم آخذون به أنفسهم من لهو ومبارزة وضحك وجرى
وسباق ولماذا يصددهم أحد ، عما هم فيه وهذه صحراء بنى
طى أمامهم شاسعة فسيحة !!

وأبعد الصفار فى الجرى والتسابق ، وراح يستعظمهم
يختفى هنا والبعض هناك يظلمهم المرح والسرور *

ويبينما هم على هذه الحال من النبطة إذا بكوكبة من
الفرسان تلوح للمناظرين من بعيد *

وانطلق الصفار ما بين راکض وواثب ومختبىء وقاذف
الرمل بكفيه *

وانطلق الصغير زيد بن حارثة نحو هذه الكوكبة من
الفرسان وقد أعجبه منظر الخيل عليها أصحابها ، واطرب
سمعه صهيل الجياد فراح يقلدها *

وانطلق فأبعد وأمه عنه غافلة *

لكن ما لبث الصياح أن علا فى خوف *** إنها خيل
« القين بن جسر » ***

إنها خيل الطائفة التى تغير للسلب والنهب ثم تفر بما
وصلت إليه أيديها ظلما وجورا *

وصادف أهل الخيل زيد بن حارثة الصغير وقد بعد عن
خيام بنى معن فأخذوه *** أو قل اختطفوه ، وأصابه سباء
ثم كروا عائدين به من حيث جاؤوا *

وانطلقوا بعيدين *** وغابوا عن العيون *** وغاب
معهم الطفل الصغير زيد بن حارثة وراء الأفق ، وخرج بنو
معن وأم زيد يبحثون عن زيد بن حارثة *** فلم تجد سعدى
ابنها وحشاشة قلبها *

وانطلقت فى كل ناحية تلتسمه فلم تقف له على أثر ،
كأنما الأرض انشقت فابتلعته وغيبته *

وانطلقت سعدى تصرخ وتعول وتلطم خديها وتشق
ثيابها ، فما أجداها شيء من ذلك فتبلا ، ولم تستطع أن تقف
على أثر لحبيبها الغالى زيد •

وعادت الأم كسيرة القلب ، محزونة باكية مهمومة •
عادت وحيدة إلا من النار ترعى فى صدرها •

ثم عادت إلى خيام زوجها لتفجعه بالنبا الفاذح والكارثة
الكبرى •

واستمع إليها حارثة بن شراحيل وهو لا يملك سوى
الدمع الهتون تذرفه مقلتهاه فما من أحد أعز أو أغلى من
الولد ...

ومضى يجوب كل حى ينشد ابنه ، ويرسل البكاء شعرا
فيه ويقول :

بكيت على زيد ولم أدر ما فعل
أحى يرجى أم أتى دونه الأجل
فوالله ما أدرى وان كنت سائلا
أغالك سهل الأرض أم غالك الجبل
فيا ليت شعرى هل لك الدهر رجعة
فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها
وتعرض ذكراه اذا قارب الطفل
سأعمل نص العيس فى الأرض جاها
ولا أسام التطواف أو تسام الابل
حياتى ، أو تاتى على منيتى
وكل امرئ فان وان غره الأجل

ثم تجرى الأحداث بما ليس فى الحساب حين يحج بعض
ناس من بنى كلاب فيصادفون الصفي زيد بن حارثة ،
ويتأكدون منه . . .

فلما آتموا حجهم وعادوا إلى ديارهم حدثوا آباء حارثة بن
شراحيل بخبره ، فأنطلق من ساعته وقدم مكة من أجل ولده
زيد فوجده .



ونترك الأب والإبن زيدا لنعرف ماذا كان من خبر الغلام
منذ اختطافه حتى هذه اللحظة ، وكيف وصل إلى مكة .

ذلك أن الذين اختطفوه انطلقوا به إلى سوق عكاظ
فباعوه ، فاشتراه منهم حكيم بن حزام ثم وهبه لعمته خديجة
أم المؤمنين ، فوهبته هى الأخرى للنبي عليه الصلاة والسلام
. . . فأعتقه النبي وتبناه .

ثم عرف حارثة بن شراحيل بمكان ولده فقد أخبره به
أولئك الحجاج الكلبيون ، فمضى من ساعته إلى رسول
الرحمة ، وسأله أن يرد عليه ولده زيدا .

وقال له : « يا ابن عبد المطلب ، ويا ابن هاشم ، ويا ابن
سيد قومه ، جئناك فى ابننا عندك ، فامنن علينا وأحسن
إلينا فى فدائه » .

ولكن زيد بن حارثة كان أثرا عند النبي صلوات الله
وسلامه عليه ، وكان قريبا إلى قلبه كل القرب ، يحنو عليه
منو الأب الرحيم على ولده ، فقال المختار المجتبى :
« أدعوه وأخبره فإن اختارك فذاك !!

« وإن اختارنى فوالله ما أنا بالذى أختار على من
اختارنى أحدا » .



وجيء بزید بن حارثة فاختر صحبة الرسول عليه
الصلاة والسلام الذى وقف إذ ذاك وقال : « اشهدوا ان هذا
إبنى : وارثا وموروثا » •

يحدث هذا كله أمام حارثة بن شراحيل الذى تعجب مما
يرى ومما يسمع ، ثم طابت نفسه مما رأى ومما سمع •
وايقن ان ولده زيدا واجد عند محمد بن عبد الله النبى القرشى خيرا
مما يلقيه عنده ••• وآنه واجد فيه البر والرحمة ، وكيف
لا وهو رسول البر والرحمة ؟

تم دعى النبى عليه الصلاة والسلام حارثة للإسلام
فأسلم ، وأشهد على نفسه أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده
ورسوله •

واطمان قلب حارثة بالايمان •

واطمانت نفسه على ولده زيد بن حارثة •

ونزلت السكينة على فؤاده إذ رأى السكينة تفشى ولده ،
ورأى اطمئنانه إلى حياته فى رعاية النبى محمد عليه
الصلاة والسلام •

وهكذا كان ضياع زيد بن حارثة صغيرا سببا فى أن
يجد كل من الأب والإبن نفسيهما فى الإسلام • فأحسن الله
خاتمتها وصانها من الضياع • وسكن الإيمان قلب الوالد
والولد •

هكذا كان اختطاف زيد سبيلا مؤديا إلى الرحمة الالهية ،
وإلى حياة برة سوية ما كان يعلمها إلا علام الغيوب •

قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

خُرَيْمُ بْنُ فَاتِكِ الْأَسَدِي النَّاهِي وَلَدَهُ عَنْ قَتْلِ مُسْلِمٍ

اختلف الناس فيما بينهم منذ القديم متى كان إسلام خريم بن فاتك الأسدي الذي هو من خزيمة الأسد ، فزعم بعضهم أنه أسلم يوم فتح مكة ، ولكن هذا خطأ يصححه أنه شهد بدرًا ، ويؤكد هذا ما رواه ابنه أيمن من أن أباه وعمه شهدا بدرًا ، وأن أباه عهد إليه يومذاك ألا يقاتل مسلمًا ، فدم المسلم على المسلم حرام .

ولقد كان إسلام خريم في المدينة بين يدي الرسول عليه الصلاة والسلام وفي أوائل هجرته .

وصدق إسلام خريم فساهم في بدر وأبلى فيها البلاء الحسن .

وحارب يومها إلى جانبه ابنه أيمن وأخوه سبرة بن فاتك .

وشهد البخاري بما يشهد بصدق شهادة الأخوين بدرًا ومساهمتهما فيها ، وقال إن ذلك ثبت عنده بعد فحص وتمحيص .



ولإسلام خريم بن فاتك قصة لا نجدها في تاريخه أو في أي ترجمة من تراجمه ، ولكننا عثرنا عليها في كلام حدث به غيره ، ذلك هو مالك بن مالك الجني سماعًا من خريم ،

ومؤداها أنه كانت له ابل ترعى فضلت فهامت على وجهها فلم يجدها صاحبها حيث تركها ، فراح يطلبها في كل مكان يظنها فيه فلم يعثر لها على أثر ، حتى إذا بلغ المسير به ماء لأسد بن خزيمة يدعونه « ابرق العزاف » في الطريق الواصل من البصرة إلى المدينة أبصرها ترعى ، وكان التعب قد نال منه ، وأجهد طوله السعى والبحث ، فود لو يستريح ويستجم إذ إطمأن إلى عثوره على إبله ، فتوسد ذراع بكر منها .

وقيل إن ذلك كان في أول خروج النبي عليه الصلاة والسلام .

ولما اطمأن خريم بن فاتك إلى إبله واستراح في رقدته هذه قال : « أعوذ بكبير هذا الوادي » .

قال هذا فيما بينه وبين نفسه وهو في هذه الفلاة الشاسعة التي ليس فيها من أحد سواه .

ولكن الدهشة بلغت أقصاها منه ، بل قد إن الذعر استبد به وتملكه الخوف حين سمع عزيزنا لم يتبين مصدره .

وأصاغ خريم السمع وأرهف أذنيه ، فإذا بهاتف يهتف في صوت قوى رددته الصحراء ، واستحال الصمت المخيم إلى صوت يجلجلج في الأفق الفسيح ويقول :

« ويحك عذ بالله ذي الجلال

» منزل الحرام والجلال

ووحده الله ولا تبالي

ما هول ذي الجن من الأهوال »

ورددت جنبات الصحراء هذا النداء مرات متعددة دون انقطاع .

ثم خيم الصمت من جديد فعاد كل شيء ساكنا ، وكان الأمر في الصمت وفي غير الصمت يبعث الرهبة في النفوس .

وتلفت خريم حوله فلم ير على امتداد البصر شيئاً فقال :

يا أيها الهاتف ما تخيل
أرشد عندك أم تضليل ؟

فأجابه الهاتف بصوت مجلجل فزعت منه الإبل فهبت
واقفة مضطربة واصطدم بعضها ببعض :

« هذا رسول الله ذو الخيرات

جاء بياسين وحاميمات

وسور بعد مفصلات

محرقات ومحلات

يأمر بالصوم وبالصلوات

ويزجر الناس عن الهنات

ثم تلاشى الصوت كأن لم يكن ، وأعقبه صمت ليس من
بعده صمت ، وحينذاك قال خريم وهو لا يدرى لمن يوجه
كلامه : « من أنت يرحمك الله ؟ » .

فأجابه الصوت : « أنا مالك بن مالك الجنى ... بعثنى
رسول الله ﷺ على جن أهل نصيبين » .

فقال له خريم : « لو كان لى من يكفينى إبلى هذه لأتيته
جتى أو من به » .

فأجابه الصوت : « أنا أكفيكها حتى أؤديها إلى أهلك
سالة إن شاء الله تعالى » .

حينذاك اعتقل خريم بن فاتك بعيراً من ابله ، ثم انطلق
به حتى دخل المدينة على نبي الرحمة ، ووافق دخوله المدينة
يوم جمعة والقوم فى الصلاة .

وبينما هو ينيخ راحلته إذا بأبي ذر الصحابي الجليل يخرج إليه ويقول له : « يقول لك رسول الله ﷺ : أدخل » ، فيدخل خريم على الرسول الذي ما كاد يراه حتى قال له : « ما فعل الشيخ الذي ضمن أن يؤدي إبلك إلى أهلها ؟ ألا إنه قد أداها إلى أهلك سالمة » .

فقال خريم : « رحمه الله » . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أجل ، رحمه الله » وإذا ذاك نطق خريم بالشهادتين ، ودخل في عداد المسلمين ، وصار صحابيا .

ولقد شهد خريم الحديبية ، وكانت له صحبة . وروى عن الشفيع الهادي بضع أحاديث ، منها ما قاله عليه الصلاة والسلام إذ رآه : « أي رجل أنت لولا خلتان فيك » قال : « وما هما يا رسول الله ؟ » . قال : « تسبل إزارك وترخي شعرك » . فقال : « لا جرم » . ثم ذهب فجز شعره ورفع إزاره .

وعرف خريم الإسلام ، وحببته إلى نفسه ما يرمى إليه من تأكيدات الأخوة ، وأن المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، حتى لقد نهى ابنه أيمن عن قتال أي مسلم نهيا بلغ حد التحريم ، وأوصاه بحسن الخلق .

وتأكد ذلك حين طلب مروان بن الحكم من أيمن بن خريم أن يقاتل الضحاك بن قيس يوم مرج راهط ، فذكر له أيمن أن أباه نهاه أن يقاتل مسلما ، وأنه متبع وصية أبيه لا يحيد عنها فيضل السبيل ، وأنه لا يحارب أحدا يشهد أن لا إله إلا الله .

فألح عليه مروان وأغلظ في السؤال فلم يجد أيمن مفرا
له مما يرغمه عليه ابن الحكم إلا أن يقول له : « إن جئتنى
يا ابن الحكم ببراءة من النار قاتلت معك » .

فلم يتمالك مروان بن الحكم نفسه من الغيظ وسب
أيمن ، فكان جواب أيمن بلسان مؤدب أدبه به الاسلام وتعالى
عن اللفظ النابى برد به على مروان ، ولم يخرج عما علمه
أبوه وقال :

ولست مقاتلا رجلا يصلى
على سلطان آخر من قریش .
له سلطانة وعلى إثمى
معاذ الله من سفه وطيش
أأقتل مسلما فى غير جرم ؟
فلست بنافعى ما عشت عيشى

هكذا أدب الأب ابنه فى صغره فانعكس روحا إسلامية
خالصة يوم الامتحان .



ويروى صحابينا عن الرسول تصنيفه للناس إذ سمعه
يقول :

« الناس أربعة : موسع عليه فى الدنيا والآخرة
وموسع عليه فى الدنيا ، مقتور عليه فى الآخرة .
ومقتور عليه فى الدنيا موسع عليه فى الآخرة .
وشقى فى الدنيا والآخرة » .
وصدق الرسول الهادى والمؤدب العظيم .

وبعد فهذا خريم بن فاتك . .

هداه الله فاهتدى ، وهدى غيره ، وحسن عمله منذ
اهتدى •

وحسبه تزكية أن قال فيه الأمين المأمون « نعم الرجل
خريم الأسدي » ، فيا نعماء اذ نعت بهذا النعت من الصادق
البشير الذي لا ينطق عن الهوى •

إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرُونَ مِنْ كَيْسٍ كَانَ
مِزَاجُهَا كَافُورًا ⑤ عَيْنَا يَشْرِبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ لِقَائِهَا يُخْفَى ⑥ يُؤْفُونَ
بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ⑦ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ
عَلَى جُحِيمٍ مُسْكِينًا وَيتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧

صدق الله العظيم •

دُعُثُور بن الحارث

ترك قومه كافراً وعاد إليهم مؤمناً

كان دُعُثُور بن الحارث بن محارب في بداوته وجاهليته .
كارها للإسلام وللرسول عليه الصلاة والسلام ، يتربص .
بالمؤمنين الدوائر ، وكان دعُثُور رئيساً في قومه غطفان ،
مسموع الكلمة فيهم ، يكره أهل الايمان .

ولذلك أخذ يحرض من حوله لمحاربتهم ، وانضم إليه
جمع من « ثعلبة » حتى إذا تكاثرت جموعهم تاهبوا للإغارة
على المسلمين .

وكان خطر « دُعُثُور » أنه يقيم على أطراف النواحي التي
يوجد فيها المسلمون ، ومن ثم كان قادراً على ضربهم وإنزال
الآذى بهم ثم يهرب لا تناله يد بالعقاب ، ويعجز عن اللحاق
به مطارده إن هم أرادوا دفعه أو تأديبه .

وعلم النبي الكريم بمن جمعهم دُعُثُور وما أعدوه من
سلاح لقتاله ، فنادى في المسلمين بالخروج إليهم فأطاعه
أصحابه وخرجوا ، وكان هو على رأسهم وجعلوا وجهتهم
« ذا أمر » وهي من ديار غطفان .

وسمعت الأعراب بمقدم الرسول عليه الصلاة والسلام
في جند الرحمن ، وأدركوا أنهم غير قادرين على الوقوف في
وجوه المسلمين ، فانطلقوا الى ذرى الجبال يعتصمون بها

وإن لم يكن لهم عاصم يومذاك من أمر الله ومن قوة المسلمين إلا من رحم الله فاهتدى فكان من الناجين ، والله ينجي الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء * .

وعلم النبي الكريم بهروب العدو إلى الجبال من رجل أمسكه المسلمون بذى القصة - وهو موضع قريب من المدينة تلقاء نجد - ، فلما جرى بهذا الرجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم دعاه للإسلام فأسلم ، وأتم الله نعمته على هذا الرجل على غير انتظار ، فاهتدى ثم قال لرسول البر والتقوى :

« يا محمد ، إن قومي لن يلاقوك * . لقد سمعوا بمسيرك فهربوا إلى رؤوس الجبال ، وأنا سائر معك ، ودالك على عوراتهم » * .



وخرج النبي عليه الصلاة والسلام بالرجل وضمه إلى بلال فأخذ به طريقاً أدى إلى كتيب ، فلما رأى الأعراب المسلمين هرب باقيهم إلى الجبال وغيبوا سرحهم وذرايرهم هناك ، فلم يصادف الرسول منهم أحداً * .

وكان العدو بقيادة « دعثور بن العارث » الذي ظن أنه آمن في هذا المكان الذي لجأ إليه بمن معه ، وطيب خاطر من لفوا لفه بأن المسلمين لا بد وأن ينالهم التعب والسأم ، ولا مناص لهم إذاً من الانطلاق للعودة إلى المدينة ، وحينذاك ينزل عليهم « دعثور » بمن جمعهم ، وتكون له ولمن في ركبه الغلبة على أهل الحق * .

ألا ساء ما قدر « دعثور » وخاب فأله ، وطاش سهمه وما النصر إلا من عند الله لجنده وليكبت الذين كفروا فينقلبوا خائبين * .



وتريث المسلمون في « ذى امر » . .

وأمرت السماء مطرا غزيرا ، وذهب النبي لحاجته
وقد جعل الوادي بينه وبين أصحابه ، وأبعد فما يراه أحد
منهم ، ولا هو براء أحدا منهم .

وبل المطر ثياب النبي صلوات الله وسلامه عليه فنزعها
ونشرها لتجف ، وألقاها على شجرة ثم اضطجع تحتها . . .
كل ذلك والأعراب ينظرون إلى ما يفعل ، وحينذاك جاؤوا
إلى صاحبهم « دعثور » وقالوا له :
« قد أمكنك محمد من نفسه »

« انه انفرد عن أصحابه فلو أنه استغاث لم يغثه أحد
منهم ، وانهم ليعيدون عنه لا يجيئون حتى تكون قد أنفذت
أمرك فيه وقتلته . . . » وإنك إن تقتله يتفرق أصحابه
وإذ ذاك نكر عليهم ونسلبهم ونهبهم » .

تأمل دعثور ما قالوا ، وأدرك صحة ما أخبروه به ،
وان كان ما قالوه رجسا وإثما ، ومن ثم اختار سيفاً صارماً من
سيوفهم ، ومضى وقد أجمع العزم على قتل رسول الله صلوات
الله عليه وسلامه ، وانطلق حتى بلغه وهو نائم على التراب ،
فسل سيفه والموت يبرق في حده ، ووقف على رأس المصطفى
وقال له :

« يا محمد . . . أنا دعثور بن الحارث . . . قد عرفتني
وعرفت بأسى ويطشى ونكالي »

« انه ليس عليك من ثياب سوى قميصك ، وما في يدك
من سيف ، وليس حولك من أحد »
« ولئن استصرخت فلن يغيثك أحد من أصحابك فقد
بعدت عنهم . . . »

« أنظر يا محمد هذا السيف في يد ما اضطربت أبداً
ولا هوت به إلا قطعت »
« فمن يمنعك مني اليوم ؟ »

وصدق دعثور فيما قال إلا فيما قاله عمن يمنع النبي
منه: ﷺ ، فقال له رسول الرحمة : « الله عز وجل » •

وما كان لدعثور أن يفهم معنى الذى قاله النبي محمد
عليه الصلاة والسلام •

وما كان له أن يدرك أن الله مانع رسوله منه • • ففؤاده
غلف ، ولم يعرف الهدى حتى يدرك صدق مقال الآمين
المصطفى عليه أزكى الصلاة والسلام •

وصدق الله نبيه • • • فحفظه • • •

وجاء جبريل عليه السلام فدفع « دعثور بن الحارث »
فى صدره دفعة جبارة اضطرب لها ، ووقع السيف من يده
فتناوله الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم قام على رأس
دُعْثُور وقال له : « من يمنعك منىّ اليوم يا دُعْثُور ؟ »
فأجابه : « ولا أحد يا محمد !! » •

ثم كانت قالة الحق الكبرى أجراها الله على لسانه
إذ قال :

« أنا أشهد أن لا إله إلا الله » •

« وأشهد أنك يا محمد رسول الله » •



هكذا أسلم دعثور بن الحارث ، وعلى هذه الصورة كان
إسلامه ودخوله فى سلك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين •

ثم عاد دعثور إلى قومه فسألوه من منعه من أن يقتل
محمدًا وقد أمكنه محمد من نفسه ، فقال لهم :

« والله لقد كان الذى تقولون •

« ولكنى نظرت إلى رجل أبيض طويل دفعنى فى صدرى
فوقعت لظهرى • • • فعرفت أنه ملك •

وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله •
والله يا قوم لا عدت أكثر عليه •

« ولقد علمتم من أنا فيكم • • فاسمعوني • • وأسلموا
وأطيعوني » •

فأطاعوه ودخلوا - كما دخل هو - ديار الله ، ونزل
- كما قيل - قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَعَلَى اللَّهِ فَالْتَوَكَّلُوا ۖ إِنَّ الْوُفُونَ ۝۱۱

صدق الله العظيم •
هذه قصة إسلام دعثور بن الحارث •
خرج كافرا شريرا وعاد مؤمنا خيرا • وحسنت عاقبته ،
فرجع إلى قومه وقلبه يفيض بالإيمان والرحمة والخير •
فأحسن اللهم عاقبتنا مثلما أحسنت عاقبة دعثور ،
وأفرض علينا رحمتك إنك أنت العلي القدير •

بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١٣﴾
صدق الله العظيم •

أنس بن النضر

خادم النبي شهيد أهد

أنس بن النضر بن ضمضم : صحابي أنصاري من بنى عدى ابن النجار ، ومن أسرة أنجبت أكثر من صحابي ، وإن كان منهم مالك بن النضر الذي ضرب الله على قلبه فلم يهده للإيمان ، فكان عبدا للخمر التي ترك من أجلها الأهل والزوجة والولد ، وهاجر هجرة ملعونة فترك البلد ، فأهلكه الله بسبب سوء طويته ، وافتقاره إلى الهدى •

غضب الله عليه ، ومن غضب الله عليه فإنه ملعون في الدنيا والآخرة وأعد له عذابا عظيما •

هكذا كان حال هذا الرجل وأما أنس بن النضر فهو عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ •

وكان أنس بن النضر في جاهليته موقرا في قومه ، مسموع الكلمة فيهم ، نافذها بينهم ، إذا تكلم فالجميع من حوله يستمعون إلى رأيه ، ويكبرون حصافته ، فإن هو أشار عليهم بشيء فعلوه فكانت إشارته أمرا ، ومن ثم سمي أخوه ولده باسمه تيمنا به ، عسى أن يكون الولد كعمه ، وصح ما تمناه فكان الإثنين في الإسلام - حين أشرق نوره - من أفاضل الصحابة •

وقد أسلم العم قديما إذ هو من الأنصار الذين آمنوا أول الدعوة ، والتزم بعمود الدين ، وعد الجهاد في سبيل الله طريقا لمرضاة الله عز وجل ، والراحة التي ما بعدها

راحة لنفسه ، ومن ثم فقد دافع عن الدين دفاع المؤمن الصادق لا يرجو الا أن تعملوا رايته ، ويخفق لواءه عاليا ، ويهدى الله به الناس حتى لا يكونوا للجحيم وقودا .

لذلك كان حريصا غاية الحرص على أن يشترك في المشاهد التي يشارك فيها رسول الله ﷺ ، وهو وإن غاته بدر فلم تفتته أحد ، فشارك فيها فخصه الله بأكرم ميتة فقد استشهد وهو يحارب الكفر ، ويقا تل الطاغوت .

لقد عز عليه أنه لم يساهم في بدر ، وأحزنه أنه غاب عنها وعن الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأخذ يلوم نفسه ، ثم وهب هذه النفس للبارئ جل وعلا ، وللجهاد ان مكنه الله في جهاد بعد هذا اليوم ، حتى انه ليقول للنبي صلوات الله وسلامه عليه :

« يا رسول الله ، لقد غبت ' عن أول قتال قاتلت فيه المشركين » .

« والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع » .

وصدق أنس بن النضر فيما قاله للرسول ، ولم يكن مرائيا فيما قال ولا مغاليا ولا منافقا . فلقد ترجم عما في نفسه ، وهل كان في نفسه غير الصدق والوفاء ؟

وشاء الله أن تتحقق أمنية أنس بن النضر المجاهد المسلم ، والصحابي الصادق الإيمان وكان ذلك يوم أحد .

رأى أنس بن النضر أعداء الله قد جمعوا عسكرهم لمحاربة عسكر الله ، وساروا تحت راية الكفر ولواء الشرك ، وكان الشيطان يصرخ فيهم مشيرا جاهليتهم فاطاعوه واستجابوا له ، وصموا أذانهم عن دعوة الحق فعميت منهم القلوب .

وأقبل أنس يخوض المعركة بروح الفارس المعلم . . .

وأبلى أنس يومذاك بلاء أكبره فيه المسلمون وغازل به الكفار فخافوا منه ، وودوا لو يكسرونه ، وإذ ذاك ينتقمون منه ميتا بعد أن أعياهم حيا ، ودوخهم فأذلهم •

وراجوا يترقبون فرصة تواتيهم فيمثلون به •
لقد كان اليوم يوم أحد ، وكان يوما أولا للمسلمين وآخره عليهم •

لم يظهر فيه عدوهم عليهم لقوة يغلبهم بها ، ولكن لعدم امتثال البعض منهم لأمر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد بارح هذا البعض (وكانوا كثيرين) أماكنهم على غير أمر من القائد الملهم فأنكشفوا ... وانكشفت بقية إخوانهم ، فجازاهم الله على تقصيرهم •



وصرخ الشيطان بالكذب أن قد قتل محمد •

وسمع المسلمون ما قاله ، وكان حريا بهم أن يستعينوا بالله منه ومما سمعوا ، لكن اضطربت صفوفهم ، وراح بعضهم يحارب بعضا وهم لا يدرون أنهم إنما يقتل بعضهم بعضا •

ورأى أنس بن النضر المسلمين وقد انكشفوا عن رسول الله ﷺ فهاله ما يرى ... وخاف مغبة هذا التقصير ، وخشى أن يبلغ المشركون غايتهم الشريرة ، وإذ ذاك يرفعون رأسهم ويرفعها معهم الكفر والشرك ، وحينذاك تزغرد الجاهلية الكلداء زغاريدها التي هي أقبح من فحيح الأفعى •

حينذاك صرخ أنس بن النضر في المسلمين وقد انكشفوا عن نبيهم •

وأبصر أنس رهطا من المسلمين فيهم رجال أمثال عمر بن الخطاب وطلحة قعودا ، فسألهم ما بهم فقالوا :
« قتل رسول الله ﷺ » •

فقال لهم قالة بحق أذهبت عنهم الجزع وردت اليهم
رشد هم فثابوا الى الحق اذ قال :

« لئن قتل محمد فما تصنعون بالحياة بعده ؟ »

« قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ »

ثم صاح بصوت مدو ردد الأفق صداه ، وأنصتت له
الأرض والسماء :

« اني أعذر اليك يا ربى ما صنع هؤلاء المسلمون »

« وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون !! »

ثم اخترط سيفه وهزه هزة الكمي البطل والمغوار
الصنديد، وتقدم غير هياب ولا وجل، واستقبله سعد بن معاذ
رضى الله عنه فقال له أنس :

« يا سعد ... هذه هي الحنة ... ورب أنس إنى لأجد
ريحها فيما وراء احد » .



هكذا تقدم أنس وهو مدرك أنه ملاق الموت

تقدم محاربا وهو يرجو الشهادة ويسعى إليها

تقدم وهو يدرك أن الشهادة طريقه الى الجنة ، ونعم
الطريق ، وطوبأها من خاتمة

وقاتل أنس وقاتل ... لم يلق سيفه ، ولا تراجع أمام
عدو كافر ، ولا وهن عزمه

قاتل أنس الكفار - قاتلهم الله - فأبلى خير بلاء

ويصف لنا سعد بن معاذ كيف صنع أنس فى هذا اليوم
وما قام به من دور بطولى فيقول :

« فما قدرت والله على ما صنع أنس »

« ولا استطعت الذى استطاعه أنس »

وصديق سعد بن معاذ المؤمن الكريم ، فقد دخل أنس بن النضر بين صفوف الأعداء المشركين يغجل بمن يصنادفه إلى جهنم وبئس القرار ، فجاءه منهم سفيان بن عوف فضربه فقتله فمات شهيدا •



ولما فرغ الجانبان من القتال وراح كل فريق يجمع قتلاه عشر المسلمون على صاحبهم أنس بن النضر بين الشهداء وبه — كما نقل ابن الأثير — بضع وثمانون ضربة ، ما بين ضربة سيف وطلعة رمح ورمية سهم •

ولم يكتف المشركون بذلك بل راحوا يمثلون به أبشع تمثيل حتى خفيت معالاه ، فلم يعد أحد بقادر على أن يتبينه سوى آخته التي عرفتة ببناؤه ، فدلت عليه ، فوجدوه على ما ذكرنا أشلاء ممزقة •



وقال أنس بن مالك : كنا نظن أو نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه وهي قوله تعالى :

رَبِّ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلًا صَدُوقًا
مَاعِدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَنَهَمَ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا ﴿١٧﴾

صدق الله العظيم
هذا هو أنس بن النضر كان صحابيا مؤمنا ، وعاش في هذه الدنيا مسلما صادقا ، ومات — حين قَضَىٰ الله له أن يموت — مجاهدا شهيدا •

وهذا هو أنس بن النضر الذي قال عنه عمر بن الخطاب وقد رأى خاتمته : إني أرجو أن يبعثه الله أمة وحده يوم القيامة » •

لقد أراد الكفر له العاجلة فكان له ما أراد، وأراد أنس
الآخرة فطوبى له ما أراد :

تَن كَانَ
يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا الْمُجْهَلِينَ
يَصْلَحُهَا مَذْمُومًا مَّذْهُورًا ﴿١٨﴾ وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

صدق الله العظيم *

أبو بصير بن أسيد

لقد جعل الله له ولاستضعفين فرجا

الصحابي الكريم أبو بصير ذو شأن كبير في حدث ضخم في تاريخ الإسلام والدعوة الإسلامية ونعني به صلح الحديبية • ومع ضخامة دوره إلا أن الناس اختلفوا في اسمه ، فمنهم من قال إن اسمه « عبيد » ، وقال آخرون بل هو « عتبة » ، فتلاشي الاسم وبقيت الكنية ، وصار بها علما لا يحتاج إلى تعريف •

ومهما يكن الأمر فهو أبو بصير بن أسيد (بضم الهمزة وفتح السين ، وقد يقال بفتح الهمزة وكسر السين) بن جارية (وقد يكون بالراء أو الزاي) ، وكان حليفا لبني زهرة ، وحين يتكلم عنه بعض المؤرخين يتركون ذلك كله ليقولوا في التعريف به : « رجل من قریش ... ثقفى » •

ومع أن هؤلاء لم يبعدوا إلا أنهم لم يضعوه في مكانه اللائق به ، فأمثاله من الرجال قليلون في كل زمان ومكان ، فإن كان الحديث عن الصحابة فقد أوجد الإسلام من هذه القلة كثرة ، وما أبو بصير إلا نمط من رجال تمسكوا بمبادئهم ودافعوا عنها ، لم يضرهم أن ينالهم ضرر قد يصل بهم إلى الهلاك ، فقد كان صاحبنا من المتمسكين بدينهم ، ولا يكتمه بل يجاهر به ، ويقذف بالحق في وجه الكفر والظلم فيدمغه فإذا الكفر زهوق •

كان أبو بصير قرشيا اعتنق الإسلام في مكة في وقت لا ندرية ، لكن الأغلب أنه اعتنقه في وقت كان الرسول عليه الصلاة والسلام إبانة لا يزال بالبلد الحرام جاها يدعو الناس إليه ، وكان أنصاره يومذاك رهطا قليلا في مجتمع كله كفار ، ولكن سوف يقدر لهذه القلة أن تكون هي تاريخ الإسلام : دينا ودولة ، وحكومة وفكرا ، وعقيدة وفقها ، وجهادا وأخوة صادقة •

كان أبو بصير لا يزال بمكة حتى في الوقت الذي هاجر فيه الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة •

لكنه كان على الحنيفية يعيش كما يعيش كل من في البلد الحرام من أمثاله ، زادهم التقوى وهي خير زاد ، يتلمسون الدين الذي ارتضاه الله لخلقه منذ أن برأ الله الخليقة •

وكان أبو بصير من أحاد الناس ، وهذا سر قول المؤرخين عنه إنه رجل من قريش ولا يزيدون على ذلك في الوقت الذي تحدى فيه قريشا حتى أرغمها على أن تطأ طيء هامتها ، وتناشد الرسول الكريم الله والرحم أن يبعث إلى أبي بصير حتى لا يعرض لغيرهم ، وهو الذي أرغم قريشا على أن تقول لمحمد عليه الصلاة والسلام إنها لا تصر على أن يرد إليها من جاءه من ناحيتها بغير إذن وليه ، معلنا إليه إسلامه •

كان إسلام أبي بصير إسلاما صادقا •

وكان إيمانه بالله ورسوله إيمانا عميقا •

وكان كفره بالشرك والمشركين واضحا قويا • ذلك لأن الحلال بين والحرام بين ، ولا مهادنة بينهما أبدا •

لقد كان بين المسلمين وقريش صلح في السنة السادسة للهجرة هو صلح الحديبية ، اصطلاح فيه الجانبان على أن يضعوا الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض •

وتضمن هذا الصلح أن من جاء محمدا عليه الصلاة
والسلام من قريش بغير إذن قريش رده النبي إلى قريش .
ومن جاء قريشا ممن مع محمد صلوات الله وسلامه عليه
لم يردوه على النبي .



وقبل الرسول الحكيم الصلح ، وأنكره عمر في نفسه
فقد ظن ان فيه إعطاء الدنية في الدين ، فرده أبو بكر قائلا
له : « الزم عزرك يا عمر » . . .
فاستغفر عمر ربه .

وكان أبو بصير من المسلمين الذين حبسوا في مكة عن
الهجرة إلى المدينة ، حتى هيا الله له فرصة يفر فيها إلى رسول
الله المجتبي .

وانطلق أبو بصير إلى المدينة المنورة راجلا لم يجد ظهرا
يركبه ، ولم يكن له أنيس في رحلته سوى إيمانه . . .
والإيمان سلاح المسلم الصادق الذي لا يفل .

ودخل أبو بصير على الرسول الكريم وأصحابه المسجد
على غير توقع من أحد ، فزغردت الفرحة به في قلوب اخوانه
المؤمنين ورحبوا به .

ها هو ذا أبو بصير يجيء إليهم ولكن من غير إذن قريش .
ولكن كان بينهم وبين قريش عهد أن يردوا إليها من جاءهم
من عندها بغير إذن وليه .

وتحير المسلمون . . . أيردونه إلى قريش . . . ؟
إنهم إن يفعلوا ذلك فقد أسلموه بأيديهم إلى الكفر
والى الكفار يعذبونه لاسلامه .

وبينما هم يفكرون في الأمر ما يصنعون اذا برسول من
أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الشقي يدخل على

الرسول وأصحابه ، وقد بعثاه الى النبي الطاهر الأمين ليرد عليهما أبا بصير إذ خرج من مكة دون إذن قريش .
وقدم مولى المشركين : الأزهر بن عوف والأخنس بن شريق على رسول الله ﷺ ومعه كتاب منهما بشأن أبي بصير .
ودعا الرسول إليه ابى بن كعب ليقرأ له الكتاب الذى يقولان فيه « قد عرفت ما شرطناك عليه ، فابعث إلينا بصاحبنا. » .

عبارة موجزة لكنها تنطوى على أمر وخيم العاقبة ان رد المسلمون أبا بصير ، ووخيم العاقبة أيضا إن هم حجزوه عن قريش .

وعرف المسلمون الكتاب ... وعرفوا أن الكفار يتمسكون بالشرط الذى بينهم وبين المسلمين فى أن يرد عليهم النبي أبا بصير الهارب من عذاب الكفر إلى جنة الإيمان ورسول الإيمان .



وجاء عليه الصلاة والسلام الى صاحبه أبى بصير وقال له :
« يا أبا بصير ... إننا قد اعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ... »

« ولا يصح لنا فى ديننا الغدر . »
« وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا . »
« فانطلق إلى قومك » .

كانت لحظة عصبية قاسية أن يسلم الأخ أخاه المسلم للسفك يسفح دمه أمام عينيه وهو لا يستطيع له دفعا .
وقال أبو بصير للنبي الشفيع : « أتردنى يا رسول الله الى المشركين يفتنوننى فى دينى؟ » فقال الهادى : « يا أبا بصير

... انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من
المستضعفين فرجا ومخرجا » .
وصدق رسول الله ﷺ .
وستثبت الأيام والأحداث صدق كلمته ، وبعد نظره ،
وسداد رأيه .



ما كان لأبى بصير أن يخالف أمرا قضى به النبي عليه
الصلاة والسلام .
وما كان لأبى بصير إلا أن يصدع لما يؤمر به ... وأقبل
يقول فيما بينه وبين نفسه :
« ومن تكون أنت يا أبا بصير وقد أمرك النبي عليه
الصلاة والسلام بما أمرك ؟ »
« وهل كنت يا أبا بصير إلا سامعا ومطيعا لنبي الأمة ؟ »
« لقد وعدك الصادق الأمين بأن الله جاعل لك ولمن معك
من المستضعفين فرجا ومخرجا .
« فليكن لك يا أبا بصير من إسلامك جنة »
« ولتصبر يا أبا بصير وما صبرك إلا بالله ، واستعن على
ما أنت فيه بالصبر والصلاة ، ولا تتخاذل أمام القوم الكافرين
فتتردد فيما أمرك به محمد فتتردى فى الجحيم إذ تعصى أمرا
قضى به الرسول ﷺ .
« وإن لك فى رسول الله أسوة وعبرة »
« وإن لك فيما فعلته قريش بالرسول يوم كان بمكة عظة
... فلتسر على دربه ، ومن سار على دربه فالله هاديه ،
والنجاح حليفه ... والعبرة بالخواتيم »
بمثل هذا راح أبو بصير يفكر .



وانطلق أبو بصير مع الرجل الذي جاء إلى الرسول
الكريم في طلبه ومعه آخر ، فأما أحد الوفد فكان رجلا من
بنى عامر بن لؤى وهو خنيس بن جابر ، وأما الآخر فمولى
يقال له كوثر .

• واتجه الراكب نحو مكة •

والطريق بين مكة والمدينة طويل وليس معهما من ظهر
يركبه أبو بصير .

وخرج الرجلان القرشيان وهما يظنان أن قد بلغا الغاية
التي جاءا من أجلها ، وأدركا ما سوف تكون عليه فرحة
الأزهر بن عوف والأخنس بن شريق إذ رد أبو بصير الابق
إليهما وإن كان رده جرحا للمسلمين .

• وبلغ ثلاثهم ذا الحليفة •

وتذكر أبو بصير كيف كان وداع إخوانه في الدين إياه
حين فارقههم بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام .

ويرن في أذن أبى بصير صوتهم وهم يسرون إليه :

« يا أبا بصير . . . أبشر فإن الله جاعل لك مخرجا . . .
• وإن الرجل الواحد قد يكون خيرا من ألف » •
• وأنهم إلى أن يفعل ما فيه نجاته •

وتوقف الراكب الماضي إلى مكة وفيه أبو بصير ، وكان
توقفه عند ذى الحليفة كما قلنا •

ودخل أبو بصير مسجد ذى الحليفة فصلى ركعتين صلاة
المسافر ، ثم مال إلى جدار المسجد وأخرج زاده وجعل يأكل •

• ودعى رفيقى رحلته للأكل فأقبلا ولكن بعد تمنع •

• ثم جاءا بما معهما من زاد فإذا هو كسرة خبز فأكلوا •
• وتحدثوا . . . فسرهما حديث أبى بصير وإنسانيته •

وأسند العامري سيفه الى حجر في جوار المسجد ، فسأله
أبو بصير أن يريه إياه فلم يبخل عليه بما طلب ، وناوله
الحسام .

وكانت لحظة العمر إذ ذاك . . . فقد أمسك أبو بصير
بقائم السيف وهوى به على العامري حتى لفظ أنفاسه ،
وخرجت روحه النجسة .



ورأى كوثر مولى العامري ما حل بصاحبه العامري ،
فاستبد به الذعر فانطلق يسابق الريح نحو المدينة فدخلها
وقد أعجز أبا نصير أن يلحق به .

ولكن أين يتجه . . . ؟

لقد اتجه المولى العامري إلى المسلمين وهم على غير دينه ،
فقد كانت الجاهلية دينه . . . ان كانت الجاهلية ديناً .

ودخل كوثر على الرسول الكريم فزعا فقال
الهادي اذ رآه : « هذا رجل قد رأى ذعرا » .

وقص كوثر الخبر .

وما هي إلا ساعة حتى جاء أبو بصير ممتطيا بعير
العامري ومتوشحا سيفه ومعه سلبه ، وقال لرسول الله ﷺ .

« يا رسول الله . . . وفدت ذمتك وأدى الله عنك . وقد
أسلمتني بيد العدو ، ولكنني امتنعت بديني من أن أفتتن » .

فقال رسول الرحمة : « ويل أمه . . . محش حرب لو
كان معه رجال !! » .

وصدق الصادق الأمين، محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى
التسليم .

لقد كان أبو بصير كما نعمته الأئمين المأمون محش حرب ،
وأظهر من البسالة ما أعجز قريشا ودوخها ، وأرغمها على
الركوع على قدميها سائلة متوسلة ، وقد أدركت خطأها .



وخرج أبو بصير حتى أتى العيص يترصد عيرا لقريش
فى طريقها إلى الشام .
خرج وليس معه من الزاد غير كف من تمرات أقام بهن
صلبه ثلاثة أيام ، وكان يأتى الى البحر حيث يصيب حيتانا
قد ألقاها البحر فيأكلها .

وسمع المسلمون الذين حبسوا بمكة بأمر صاحبهم أبى
بصير ، فراحوا يتسللون واحدا إثر الآخر حتى صاروا سبعين
نفرا اجتمعوا عند أبى بصير وأمروه عليهم ، فكان يصلى بهم ،
ويبين لهم الحرام من الحلال .

وقوى بهم أبو بصير بل قوى بهم المسلمون أنى كانوا .
وأزعجوا قريشا وباتت لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال . .
وكيف يهدأ بالها وهى ترى رهط أبى بصير يزداد يوما بعد
يوم ، وسبل تجارتها مهددة ، والذين يخرجون مع هذه
التجارة مخاطرون لا يأمنون على أنفسهم وغيرهم وما معهم
من تجارة من أن يعرض لهم أبو بصير ورفقته ، ويطرصدونهم
هنا وهناك . . . والتجارة عصب حياة قريش .

ثم كانت دية العامرى المقتول فتنازع سهيل بن عمرو
وأبو سفيان أمرها . . ورفض أبو سفيان أن تديه قريش ،
وأصر ألا تخرج قريش دية للعامرى .
وكانت الفتنة أن تقع بين رؤوسهم .



ثم راحوا يتدبرون ما كان من أمر أبي بصير ، وأدركوا
خطر الذي جرى من هذا الرهط المسلم .

ها هو ذا محمد قد أوفى بعهده ، والتزم بشرطه الذي
اشترطوه عليه . . . فرد إليهم أبا بصير . . . وبذلك لم يخن
العهد ولا شجب الصلح .

لقد أرسل محمد أبا بصير كما طلبت قريش ولم تعد له
قدرة عليه فهو في أيدي الرجلين وبالتالي في يد قريش .

ولكن أبا بصير راح يناوئ قريشا ، وازداد الذين معه
ومن على شاكلته بمن يناوئون قريشا ومن أفسدوا عليها
طريق تجارتها فلم يجد آمنا . . . والتجارة هي شريان
حياتها ، وانها لترفع من قدرها عند العرب عامة ، فكيف
حالتها الآن وقد أصبحت مهددة .

وأخذت قريش تبحث الأمر فيما بينها وبين نفسها ،
 واجتمع ملؤها وانطلقوا يستعرضون ما جرى ، وأدركوا
الخطر الجسيم الذي ألحقه بهم هذا الرهط المسلم فكتبوا الى
الرسول عليه الصلاة والسلام يستحلفونه ألا يعيد إليهم
أبا بصير وأصحابه .

وبعث الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى أبي بصير
يخبره بما كان من شأن قريش ويسأله أن يحضر إليه هو
ومن معه .

ووافى الكتاب أبا بصير وهو يلفظ أنفاسه .

ومات وبين يديه كتاب الأمين الهادي . وإذ ذاك قبره
أصحابه حيث مات . . . وصلوا عليه ، وصدق رسول الله إذ
بشر أبا بصير والمستضعفين أن سوف يأتيهم من الله فرج
ومخرج .

وصدقت فراسة النبي الملهم حين رضى أن يرد إلى قريش
من جاءه من عندها بغير إذن وليه .

لقد هدى الله آبا بصير المسلم إلى الطريق الذي كان درسه
لقريش ونصرا للإسلام وخذلانا للكفر •

فسلام الله على أبى بصير فى إسلامه وفى حياته وموته •
وسلام الله على كل مجاهد فى سبيل دينه ووطنه وأرضه •

فَإِذَا
بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ قَارِئُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا
ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤْخِذُ بِهِ مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ بِمَجْعَلٍ يُخَرِّجُكَ ۝ وَيَرْزُقُهُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ
أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝

صدق الله العظيم •

عبد الله بن سَهيل العامري

رجل أحب الله ورسوله فوجه للأهل والولد

كان لعبد الله بن سهيل بن عمرو العامري صحبة ، وكان أبوه سهيل من أشرف قريش وممن قاموا ضد المسلمين •

وقد تأخر إسلام الأب إلى يوم الفتح ، فلما أسلم حسن إسلامه ، والتصق بعمود الدين حتى قيل إنه لم يكن أحد أكثر منه صلاة ولا صوما ولا صدقة ، وصار رقيقا عند تلاوة القرآن •

أما الإبن عبد الله فقد أسلم مع من أسلموا من المسلمين الأوائل •

وهاجر مع الذين هاجروا إلى الحبشة ، ثم عادوا فعاد معهم •

ولما كان إيا به من الهجرة الثانية ورجع إلى مكة أخذه أبوه عنده وكان لا يزال على الكفر ، وجعله تحت عينه حتى لا يفر إلى محمد عليه الصلاة والسلام ، وراح يفتنه في دينه بالترهيب أونة وبالترغيب أخرى ، فما لأن عبد الله ولا استكان ، ولا تبرأ من الإيمان ، ولا كفر قلبه برسوله ، فقد استمسك بالحق فغفر الله من ذنوبه ما تقدم ، وأجاره من عذابه •

لكن صاحبنا الصحابي عبد الله بن سهيل رأى أن يتظاهر بما أراده الكفار منه ، وإن كان الإيمان الصادق كل الصدق في أعماقه •

وكان أبوه سهيل لا يدع وسيلة يظنها تصرفه عن
إسلامه إلا عمد إليها واتبعها معه .

وتظاهر عبد الله بن سهيل بما ظنه الكفار إنصرافا منه
عن محمد ودينه .

وجازت الحيلة على أبيه سهيل وعلى ملأ من قريش ،
فظنوه قد برأ مما يكرهون .

لكن خاب ظن الكافرين الكاذبين . وما علموا أن الإسلام
قد جرى في قلبه مجرى الدم وأنه لن يكفر أبدا .

إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٥٠﴾

صدق الله العظيم

وجاء يوم بدر . . . ، وما أدراك ما يوم بدر . . . يوم
رفعت راية الإسلام خفاقة منصوره .

وخرجت قريش بجموعها في ذلك اليوم وقواتها ورجالها
وخرج معهم صحابينا عبد الله بن سهيل الذي لم يرتب فيه
أحد من الكفار ، وأيقنوا — جاهلين — أنه قد جب ما كان قد
حوله عن دينهم وآلهتهم .

وربما أقبل بعضهم على بعض في ذلك اليوم يرون أن
كل الذي كان منه : من الاسلام ومن الهجرة الى الحبشة انما
كان نزوة طارئة عبرت ، وسحرا بطل ، ووهما تبدد .

ونزل عسكر الشيطان وجند الرحمن عند بدر ، ووقف
المصافان وجها لوجه ، واستعد كل فريق للفوز على خصمه .

حينذاك رآها عبد الله بن سهيل فرصة العمر التي لن
يجود الزمان بمثلها ثانية . . . إنها فرصة يهاجر فيها
عبد الله بن سهيل مرة ثانية إلى الله ورسوله ، فإذا به ينطلق
من صفوف المشركين ، ويمضي قدما إلى كتيبة المسلمين
المجاهدين .

وكان ما فعل طعنة للكفار فقد حز في نفوسهم ،
وطعنهم في كبريائهم ، ومرغ أنوفهم في الوحل أن يروه قد
انفصل عنهم دون أن يستطيعوا منعه .

- اذن لقد كان عبد الله يسخر بهم طوال هذه الفترة .
- فياذلة كبرياء الإثم وقريش وقد صفعها عبد الله وأذلها .
- ويا للطعنة النجلاء تدمى قلوبهم في يوم هو الفصل !!
- وكتب الله لعبده المؤمن عبد الله بن سهيل النجاة من
أيديهم الآثمة وتديبرهم النجس .
- وأكرمه الله ليشهد بدرا في صفوف جند الإيمان .
- فكان هذا منه إسلاما جديدا لإسلام لم ينقضه ، ولكن
أخفاه تقية .

وماذا كان في استطاعته أن يفعل يوم أوثقوه وتكالت
عليه جموعهم وهم يظنون أنهم غلبوه وما علموا أنه هو
الذي غلبهم بإذن الله . . . ألا إن جند الله هم الغالبون .



ولما كان صلح الحديبية جاء وفد قريش وعلى رأسه
سهيل بن عمرو وكان لا يزال على الكفر ، وتراضى الجانبان
في كتاب بينهما على أن يضعا الحرب عشر سنين ، يأمن فيها
الناس ويكف بعضهم عن بعض ، كما تعرض الكتاب لمن
يأتى إلى أحد الطرفين من الجانب الآخر .

- وشهد شهود من الطرفين على الكتاب .
- وكان عبد الله بن سهيل أحد الشهود في صلح الحديبية .
- فسبحان الله العظيم جلت قدرته ، وعلت كلمته ، ونفذت
مشيئته ، وارتفعت رأيته .

وسبحان الله أن أنعم على عبده التقى المؤمن عبد الله بن سهيل بالإسلام .

وسبحان الله أن أمد عبده عبد الله بن سهيل بالقوة يواجه بها نكير الكفر وعذاب قرين له .

وسبحان الله أن يخرج عبد الله مع أبيه ومع قرينش بقصد القضاء على المسلمين فإذا بعبد الله بن سهيل ينحاز إلى المسلمين وهم إخوته في الإيمان .

ثم تعظم السخرية بقرينش إذ يكون عبد الله بن سهيل أحد الشهود يوم الحديبية على صلح الحديبية في شهادة تلتزم بها قرينش .

هذه قصة من حياة عبد الله بن سهيل .

قصة جهاد ضد الكفر ، وصبر على مقارعة الأهوال .

قصة رجل آمن بيوم يأتى الناس فيه ربهم ، فما تكلم نفس إلا بأذنه ، وهو يوم لا ينفع الناس فيه مال ولا بنون إلا من أتى ربه بقلب سليم .

وهذا عبد الله بن سهيل الذى استرخص كل غال لينضم إلى ركب الإيمان .

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنْ حَوْلِهِمْ مِنَ الْأَعْرَابِ
أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ
عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخَصَةٌ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ
مِنْ عَدُوِّئِهِمْ إِلَّا كَيْفَ لَهُمْ بِوَعْدِهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسَنِينَ ﴿٥٦﴾

صدق الله العظيم



أبو لبابة الزنبري

عاقب نفسه متى عفا الله عنه

نحن في هذه الصفحات مع صحابي جليل ، زل بالإشارة
عن غير قصد فعد نفسه خائناً للرسول عليه الصلاة والسلام،
وعاقب نفسه عقاباً صارماً حتى أنزل الله توبته على نبيه
قرأنا مجيداً ، ذلك هو :

رفاعة بن عبد المنذر بن رفاعة بن زنبر

وقيل بل اسمه « بشير » (بالتصغير) وقيل بل « رافع »
ولكنه عرف بأبي لبابة كنية له ، ففطت الكنية على الاسم أيا
كان هذا الاسم الذي اختلف فيه المؤرخون وكتاب التراجم
والسير .

أسلم أبو لبابة على يد النفر الستة الأوائل الذين لقوا
الرسول عليه الصلاة والسلام بمنى في العقبة لأول مرة ، ثم
خرج مع من أسلم من أهل يثرب في الموسم التالي ، وكان
المسلمون يومذاك قلة ، فكان في الرهط من الأوس الذين
بايعوا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه هناك ، ثم كان
نقيبا ، ثم زاد بعدئذ فيما يمدح به فكان بدريا . . . ومن ثم
كان إسلامه قديماً جداً .

ولقد شهد أبو لبابة مع الرسول الكريم كل المشاهد التي
شارك فيها نبي الأمة ، وخرج إلى بدر فرداه رسول الرحمة
من الروحاء حيث استعمله على المدينة أثناء غيابه عنها .

لقد كان أبو لبابة أحد خمسة من الأنصار لم يشاركوا
فى بدر ، ولكن النبى عليه الصلاة والسلام ضرب لهم يومها
بأسهمم كأن قد حضروها ، وصار لهم مثل بقية الذين
حاربوا فيها ، فكان لهم من غنائم ذلك اليوم ما لسواهم من
إبل ومتاع وأنطاع وثياب .

لذلك قيل فيه إنه شهد بدرا ، لأن استخلاف الرسول إياه
على المدينة وهو خارج إلى بدر جعله كمن شهدا تماما .

واستخلفه النبى عليه الصلاة والسلام مرة أخرى على
المدينة حين خرج فى غزوة السويق ، وكان هذا تقديرا من
النبى الكريم له ، فما كان عليه الصلاة والسلام ليستعمل
إلا الفطن اللبيب القادر الصادق الإيمان .

وتجلى هذا مرة ثالثة حين نهض المسلمون إلى بنى قينقاع .



كان أبو لبابة كبقية الأنصار قد فتح بيته لينزل عليه
بعض إخوانه المهاجرين ، ومنهم عمر بن الخطاب وزيد وسعد
ابن زيد وكثيرون غيرهم .

وكان أبو لبابة شديد الإيمان بنصر الله يؤتیه لنبيه
ولرجاله فى بدر .

وكان نصر الله لجنده فى بدر ضربة قاصمة لليهود
والمنافقين من أهل مكة والمدينة ، كما أنه أغاظ قريشا .

حدث أن جاء زيد بن حارثة إلى المدينة على ناقه النبى
عليه الصلاة والسلام مبشرا بالنصر يذيعه على الناس قبل
حضور جند الإيمان .

ومضى زيد الى المصلى ، وذكر - وهو على الناقة - من
هلكوا من أعيان قريش وسراتها الذين كانوا ملأ السمع
والبصر فى رحاب الجزيرة كلها .

وذكر زيد خبر وقوع سهيل بن عمرو ومن معه في أسر المسلمين .

وأقبل إلى أبي لبابة رجل من المنافقين يسمى وقد كشف القناع عن نفسه السوداء .

جاء هذا الرجل ووجهه يطفح بالبشر إذ ظنَّ ظنَّ السوء بالمسلمين وقال لصحابينا الزنبري :

« يا أبا لبابة ... تفرق أصحابكم تفرقا لا يجتمعون بعده أبدا ... وقتل صاحبكم محمد وأتباعه ... وهذه ناقته تعرفونها ونعرفها ... وهذا زيد بن حارثة لا يدري ما يقول من الرعب ! » .

فكان ردَّ أبي لبابة عليه قوله له : « يكذب الله قولك يا عدو الله !! » .

سمع أبو لبابة ما يافكون فما تزعزع يقينه في نصر الله لرسوله ، ولم يصدق كلمة مما قاءته أفواه الناقمين على الإسلام ، ولا اعترف بما جرى على ألسنتهم الدنسة .

ثم ما لبث المنافقون والكفار والمشركون أن رأوا النصر العظيم قد أتاه الله لجنده ، وذلك حين شاهدوا كفار قريش أسرى يدخلون مطاطيء الرؤوس ، قد ضربت عليهم الدلة والمسكنة وباعوا بغضب من الله ، فبهت من هذا المنظر الذين كفروا والذين أولياؤهم الطاغوت .

ثم كانت لأبي لبابة قصة مع بنى قريظة ليست تحاكيها قصة ، يوم سأل بنو قريظة الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبعث إليهم أبا لبابة يستشيرونه فيما حُزبهم من أمرهم ، فأرسله النبي فلما رأوه قال له رجالهم : « أترى أن تنزل على حكم محمد يا أبا لبابة ؟ » .

قال : « نعم ... إنه الذبح !! » .

كلمة واحدة قالها أبو لبابة وأشار في الوقت ذاته بيده إلى حلقه .

وانتبه صحابينا إلى ما قاله وما فعله .

ولنسمع إليه يحكى الخبر فيقول : « فوالله ما زالت قدماى ترجفان حين عرفت أنى قد خنت الله ورسوله » .

وانطلق على وجهه يرمضه ما أحسه من خطأ جسيم ارتكبه اذ قال ما قال .

وربط نفسه إلى عمود من عمد المسجد وقال : « لا أبرح مكانى هذا حتى يتوب الله علىّ مما صنعت » .

وعلم نبي الرحمة بالخبر فقال : « أما لو جاء لاستغفرت له ... وأما إذ فعل ما فعل ، ما أنا بالذى يطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » .

ومر بذاكرة أبي لبابة حلم رآه والمسلمون محاصرون لبني قريظة ، وكأنه هو فى حمئة أسنة يكاد يموت من نتن ريحها ، ثم رأى نهرا جاريا فاغتسل فيه ، فتطهر ، فطابت ريحه ، فسأل أبا بكر تفسير الذى رأى فى نومه فقال له الصديق :

« لتدخلن يا أبا لبابة فى أمر تغتم له ثم يفرج عنك » .

فكانت قصته مع بنى قريظة ترجمة جزء من هذه الرؤيا .

وظل أبو لبابة مربوطا الى عمود المسجد خمس عشرة ليلة ، وقيل سبعا بين يوم وليلة ، وكان العمود عند باب أم سلمة رضى الله عنها .

وكانت بنت لبابة تأثيه كل يوم بثمرات هى كل زاده . وكانت تطلقه عند وقت الصلاة ، فإن كانت له حاجة توضأ .

ثم أنزل الله توبته إياه على النبي صلى الله عليه وسلم ،
فحدث بها أم سلمة ، وأذن لها أن تبشر أبا لبابة ، فبشرته ،
فأبى أن يبرح موضعه وقال : « لا والله لا أبرحن موضعي هذا
الذي أنا فيه حتى يأتي رسول الله ﷺ فيكون هو الذي
يطلقني » .

فخرج إليه الشفييع الهادي فأطلقه .

وعفا الله عن أبي لبابة وتاب عليه ليمضي قدما في موكب
المسيرة الإسلامية المشرفة ، رحمه الله وإيانا والمسلمين .

وَالْآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرًا مَسْكِينًا
اللَّهُ أَنْ تَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٧﴾

صدق الله العظيم

سنان بن محصن الأسدي المبايع على الفتح والشرادة

سنان بن أبي سنان بن محصن الأسدي : صحابي قديم
الصعبة ، شهد هو وأخوه وابنه وعمه عكاشة بدرًا •

وكان سنان مثلهم قديم الدخول في الدين ، وقد أحسن
السيرة فيه والاخلاص له ولرسوله وللمسلمين عامة •

وكان له موقف رائع يوم بيعة الرضوان •

وله أخبار في الأخبار عن خروج طليحة بن خويلد
الأسدي •

أسلم سنان بن أبي سنان وصدق إسلامه ، ومن ثم بادر
إلى بدر محاربا الكفار ومجاهدا في ضربهم ، وكانت له
سيرة في هذا اليوم الأغر أكدت أنه محارب صنيدي من نمط
رائع ، ومقاتل لا يحجم عن أي موطن ولو كانت فيه خاتمته
إن يكن هذا الموطن لخدمة الاسلام • والحق أن أصحاب النبي
الذين شهدوا مشاهد كلها أو بعضها دلوا على أنهم أقدموا على
المساهمة فيها عن يقين صادق ، وإيمان عميق ، وحب للدين ،
وتفان في نصرته الملة ، وطاعة لرسول الله قد تنزهت عن كل
هوى دنيوى ، إلا أن يهزموا الكفر ، ويقهروا الشرك ،
ويمحقوا الوثنية ، ويعلموا راية التوحيد •

ولقد شارك سنان بن أبي سنان في المشاهد التي شهدها
رسول الله ﷺ ، ولم يتخلف عن واحدة منها •

ولما كان يوم الحديبية لم يترك النبي عليه الصلاة والسلام طريقا يجنبه قتال قريش إلا سلكه . ولم ينهج صلوات الله وسلامه عليه هذا النهج عن ضعف أو خوف ، فعنده من الصحابة أمثال سنان الكثيرون ممن تمرسوا بالحروب وقتال الكفار ، ولكنه ﷺ يعرف أن الحج أو العمرة لا يجوز في أحدهما القتال ، فلما أعيته السبل يومذاك ، ولجت قريش في سفهها بعث إليهم بذي النورين عثمان بن عفان فجاءهم بمكة وأقام فيهم ثلاثة أيام يدعوهم ، ثم جاء الخبر إلى النبي وأصحابه أن قد قتل عثمان ، فدعا إلى البيعة وقال : « إن الله أمرني بالبيعة » فلم يتأخر أحد من الصحابة عن مبايعته .

وتصف أم عمارة هذا اليوم وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد مر ببيتها فتقول :

« أقبل الناس يبايعونه في رحالنا حتى تدارك الناس فما بقى لنا متاع إلا وطىء ، وبايعوه ﷺ ووقف الرسول يبايعهم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه أخذ بيده » .

وتقدم في هذه اللحظة سنان بن أبي سنان بن محصن لمبايعة الرسول ﷺ ، وقيل إنه كان أول من بايعه وقال للنبي المختار :

« يا رسول الله . . ابسط يدك أبايعك » .

فسأله على ماذا ؟

قال : « أبايعك يا رسول الله على ما فى نفسك ونفسي » .

فقال النبي : « ففتح وشهادة ؟ » .

قال : « نعم » .

فبايعه ، وخرج المسلمون يبايعونه على بيعة سنان . . . البيعة على الموت وعلى ألا يفروا .

وعُرفت هذه البيعة التاريخية ببيعة الشجرة وبيعة
الرضوان ، وكانت حدثا ضخما فى تاريخ الاسلام والمسلمين
وفى مسيرة الدين •

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٥﴾

صدق الله العظيم

هذه البيعة هى والله بيعة ضخمة لأنها بيعة الله لله :

إِنَّ الَّذِينَ
يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ بَدَّ اللَّهُ فَقَّةً أَيَدِيهِمْ فَخَسَفَ عَنْهُمْ
يُنْكَرُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَنْ يُوْثِقُ
أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦﴾

صدق الله العظيم

وقال البعض إن الذى بايع على هذه الصورة إنما هو
أبوه ، ولكن الأرجح أنه هو سنان بن أبى سنان الذى كان أول
من بايع ، وتتابع الناس فى إثره وفيهم أبو سنان •

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام إلى حنين فخرج معه
سنان ، وليس فى الخروج شىء غريب ، ولكن الذى حدث
كان أمرا غريبا وكبيرا ، وهو ما حدث به سنان إذ قال إنه
كان لكفار قريش ومن سواهم من العرب على طريق حنين
شجرة عظيمة خضراء يقال لها « ذات أنواط » •

كانوا يؤمنونها كل سنة ، يعلقون عليها أسلحتهم ،
ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما ، وكان من حج منهم
وضع رداءه عندها ثم يدخل عريانا تعظيما لها •

ومر النبى عليه الصلاة والسلام بأصحابه وهم فى
الطريق إلى حنين بهذه الشجرة ، فقال له بعض المسلمين :
« يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط » ،
فقال النبى المجتبى :

« الله أكبر • الله أكبر » •

« قلتم - والذي نفسي بيده - كما قال قوم موسى :
« اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ... »
وإنها سنن من كان قبلكم » *

بهذا حدث سنان بن أبي سنان *

وبهذا استل النبي صلوات الله وسلامه عليه كل خاطرة
سوء في نفوس المسلمين *



وحدث لما خرج طليعة بن خويلد الأسدي أن كان سنان
ابن أبي سنان أول من كتب للرسول يخبره *

هكذا كان سنان لسان صدق عند النبي عليه الصلاة
والسلام *

وكان في حياته مثلاً للمسلم الصادق الايمان *

وكان سنان صحابياً بكل ما تعنيه كلمة الصحابي من
معان كريمة نيرة *

وقد مات يرحمه الله في السنة الثانية والثلاثين من
الهجرة النبوية الشريفة بعد حياة شريفة أثرى بها تاريخه
في ظل الإسلام ، سعيًا منه إلى جنة عرضها السموات والأرض *

مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا
مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا
تَبْدِيلًا ﴿١٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن
شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

صدق الله العظيم

أَوْسُ بْنُ خَوْلٍ

رَبُّهُ يُوَثِّرُ الْإِيمَانَ عَلَى ذَوِي قَرَابَةٍ

كان أوس بن خولى حفيدا لابن عبد الله بن أوس بن الحارث بن عوف ، واختلفت المراجع فى تسميته ولكنه كان يكنى بأبى ليلى ، ثم إنه كان ممن تعارف الناس فى يومه على نعتة بالكامل لمعرفته الكتابة فى الجاهلية ، وكان العارفون بها يومذاك قلة نادرة ، كما كان يتقن السباحة ويحسن الرمى .

فلما جاء الاسلام وعاد أهل العقبة إلى المدينة المنورة يبشرون به اغتنم أوس بن خولى الفرصة واعتنقه ، فقد كان له من رجاحة عقله ، وحسن بصيرته ، وفكره الثاقب ، ما هداه إلى أنه دين الفطرة ، وأنه الطريق الحق الهادى إلى الرشاد ، فأسلم وحسن إسلامه ، وقدمه إيمانه فى مجتمعه الجديد بين الأنصار من قومه الذين كانوا يوقرونه ويحترمونونه ، ويستمعون إلى رأيه ويأخذون به فى جميع الأمور : جليلها وصغيرها ، ويقدمونه فيهم ، ويتجلى ذلك أنه لما قبض عليه الصلاة والسلام وأرادوا غسله جاءت الأنصار بباب النبى صلوات الله وسلامه عليه حيا وميتا ، وكان عند الباب الإمام على كرم الله وجهه وآخرون يتهيأون لغسله فإذا بالأنصار تنادى على الباب :

« الله الله آل البيت ... »

« ناشدناكم الله . لقد علمتم أنا أخواله عليه الصلاة

والسلام !

« فليحضر بعضنا غسله ، فأدخلوا معكم واحدا منا » *

ف قيل لهم : « لبيكم معشر الأنصار لبيكم * لبيكم
أخوال رسول الله ﷺ ، أجمعوا على رجل منكم يشهد غسله
صلوات الله وسلامه عليه » *

فقال الأنصار : « قد أجمعنا على أوس بن خولى » *

ودخل أوس بن خولى ، وحضر غسله وكفنه ، وتولى مع
أهل بيته دفنه ، كما نزل أيضا فى قبره *

وقيل فى صفة غسله - صلاة الله سلامه عليه - إن عليا
كان يسنده إلى صدره ، وعليه ﷺ قميصه ، وعلى يده من
ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله ، ولم ير منه ﷺ شئ
مما يرى من الميت *

وكان إجماع الأنصار على « أوس بن خولى » دليلا ناطقا
وبرهانا جليا على مكانة صاحبهم « أوس » فيهم ، ومنزلته
الكريمة التى لا ينافسه فيها أحد *

والحق يقال إن « أوس بن خولى » كان قمينا بذلك ،
وكان أهلا لإجماعهم *



ولما هاجر المسلمون إلى المدينة ، وفتح الأنصار
للمهاجرين قلوبهم وبيوتهم آخى عليه الصلاة والسلام بين
الجانبيين ، وآخى بين « أوس بن خولى » وبين شجاع بن أبى
وهب الذى شهد المشاهد كلها مع نبينا عليه أفضل الصلاة
والسلام ، وكان رسوله إلى الحارث بن شمر ، وإلى جبلة بن
الأيهم الغسانى «ملك تخوم الشام» كما يسميه ابن أسحق ،
فخرج شجاع يدعوهم إلى الإسلام *

لقد شهد صاحبينا « أوس بن خولى » المشاهد التى

شارك فيها النبي العظيم ، وأبلى صاحبنا فيها البلاء الحسن
الكريم ، وكان فيها نعم المجاهد والمحارب الأمين ، ولم يشنه
ولم يعبه أن يكون عبد الله بن أبي السلولي - وهو رأس
المنافقين - خاله ، فقد كانا على طرفي نقيض ، فقد عاب
« أوس » على خاله نفاقه ، وانبه عليه ، وكان عنيفا في
لومه إياه .

وتذكر بعض المراجع أن « أوس بن خولى » كان في
سرية حمزة بن عبد المطلب وهي أول سرية أنفذها رسول الله
عليه الصلاة والسلام لرصد عير قريش .

هكذا ذكر الواقدي في معرض من ذكرهم ممن شاركوا
في هذه السرية .

والرأى عندنا أن هذا القول من الواقدي بعيد عن
الصحة ، وأن أوسا لم يشارك في هذه السرية ، لأن المجتبى
عليه الصلاة والسلام لم يأذن لأحد من الأنصار أن يكون في
أول سرية للمسلمين .

إذا لم يشارك « أوس بن خولى » في سرية حمزة فإن
الصحيح الذي لا يرقى إليه الشك هو أن صاحبنا شهد
« بدرا » وبدر ، كما نعرف - كانت من الأنصار
والمهاجرين ، ويؤكد ابن هشام هذه المشاركة فقد عده في
السيرة أحد رجلين من بنى عوف ساهما في بدر .



كان الرسول عليه الصلاة والسلام يقدر أوسا التقدير
الذي هو أهل له ، ويتجلى ذلك في مواقف كثيرة ، فقد كان
« أوس » أحد الثلاثة الذين وكل اليهم المصطفى حراسة
المسلمين يوم « الحديبية » وهم نيام ، فاستجاب « أوس » ولم
يقصر ولم تغمض له عين .

كما أنه في الليلة التي أسفر صبحها بعد خروج النبي إلى الغزوة المعروفة بغزوة « حمراء الأسد » كان « أوس بن خولى » أحد من باتوا على باب المسجد ، وظل ساهرا يقظا لا تغفل له عين حتى أمر الرسول الهادى بلالا أن ينادى فى القوم أنه يأمرهم بطلب عدوهم .



ويظهر تقدير النبي العظيم لأوس بن خولى فى أنه عهد إليه بكتابة الكتاب الذى بينه وبين قريش يوم « الحديبية » ، لولا أن رفضه « سهيل بن عمرو القرشى » الذى كان رسول قريش إلى المسلمين فى عقد الهدنة بين الجانبين ، وكان فى سهيل حدة الجاهلية وعنفها ، فقد كان على مذهبه ، لكنه لما أسلم لم يكن هناك - كما قال الواقدى - أحد أكثر منه صلاة وصوما وصدقة ، ولا أقبل على ما يعنيه من أمر الآخرة .

والذى يعنينا هنا هو أن هذه الثقة الكبيرة النبوية فى « أوس بن خولى » لتتجلى أيضا يوم غزوة القضية ، يوم خلف النبي عليه الصلاة والسلام مائتى رجل على السلاح ، وجعل عليهم صحابينا « أوس بن خولى » .

كذلك خلفه رسول الله ﷺ فى عمرة القضاء ليمنع كيذا قد تكيده قريش للمسلمين ، أو تمكر بهم فيصيبهم الضر من مكرها . . . فأنجز « أوس » ما وكل اليه خير انجاز وأصدقه ، فلم تغمض له - كما قلنا - عين ، وكان نعم الرقيب .



ولم تكن قرابة عبدالله بن أبى السلولى له بحاملة إياه على أن يحيد عن الحق ، فمواقفه فى نصحه لخاله بل وفى محاولته تقويم ما اعوج من سلوكه كثيرة .

ذلك أنه لما نقل « زيد بن أرقم » إلى الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - ما تقول به خاله السلولى في مجلسه مع المنافقين من نهيه إياهم أن ينفقوا على من عند محمد ﷺ حتى ينفضوا من حوله ، وما فاه به من النيل من المهاجرين ، واقسم لئن « رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ، ولما تحدث الناس بذلك واستشاع الخبر ولاكته الألسن قام نفر من الأنصار فجاءوا إلى عبد الله بن أبي - وفيهم « أوس » - فنصحوه ، ونصحه « أوس » بقوله :

« إذا كنت قد قتلته فأخبر النبي ﷺ يستغفر لك الله ولا تجحده ، وإلا أنزل الله فيك ما يكذبك » .

« وإن كنت لم تقله فأت الرسول ﷺ واعتذر إليه واحلف له ما قتلته » .

هكذا كان « أوس بن خولى » لا تأخذه في الحق لومة لائم ، ولا شيء من ذلك في دين الله وصدق رسوله الذي بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كرهه من في قلوبهم مرض .

لقد كان الاسلام عند « أوس بن خولى » فوق القرابة ، فلو أن وشيجة القربى كانت مضیعة لحق من حقوق المسلمين ، أو كان فيها اجترأ على الدين فتبا لهذه الوشيجة .

ثم نزلت سورة « المنافقون » . . . ودمغت ابن أبي السلولى بالنفاق ، وصدق كتاب الله كلام زيد بن أرقم ، وحفظ المسلمون ما نزل به الوحي في هذه المسألة .

وحينذاك مر « أوس بن خولى » بالسلولى فلم يقرئه السلام ، فقال له عبد الله بن أبي : إن هذا الأمر إنما تم بلیل .

فرجع إليه « أوس » و « عبادة بن الصامت » وأنباء ويكتاه بما صنع ، وذكراه بما نزل من القرآن تكذيباً له ،

ثم قال له أوس : « والله لا أذب عنك أبدا حتى أعلم أن قد تركت ما أنت عليه وتبت الى الله . . . » إنا أقبلنا على زيد بن أرقم نلومه ونقول له : كذبت على رجل من قومك حتى نزل القرآن بتصديق حديث « زيد » وقد كذبتك .



وانه ليلومه جهرا يوم قلل من عمل « ناجية بن جندب » حين رمى بسهم النبي ﷺ في البئر فتفجرت ماء ، ويقول له أوس :

« يا أبا الحباب . . . أما أن لك أن تبصر ما أنت عليه ؟ »
« أبعد هذا شيء ؟ »

« قبحك الله وقبح رأيك !! »

هذا هو أوس بن خولى الصحابي الكريم ، ابن أخت عبد الله بن أبي السلولى ، ولكن شتان ما بين الاثنين ، وما أوسع الهوة التى تفصلهما عن بعضهما خلقا وإيماننا بالله وحبا فى رسوله .

لقد كفر « أوس » بالشرك وبأهله حتى ولو كانوا من ذوى قرباه طمعا منه فى ألا يكون من الظالمين .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا
هَؤُلَاءِ كُفْرًا وَلَا حَوَادِثًا إِنْ اسْتَجَبُوا لَكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ
يَكْفُرْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٧﴾

صدق الله العظيم



عَمِيرُ بْنُ سَعْدٍ

غُلَامٌ صَدَقَتْ أُذُنُهُ فَأُكْثِفَ النِّفَاقُ

كان عمير بن سعد بن عبيد أوسيا أنصاريًا من أسرة
أخلصت لله إذ أخلصت لرسوله صلوات الله وسلامه عليه
وذلك أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله وفاز فوزًا عظيمًا .

أسلم عمير صغيرًا وصدق إسلامه ، وما يضيره أن يكون
قد أسلم وهو صبي فقد كانت فيه فطنة وألمعية ، وكان فيه
ذكاء وقاد ، وقد توجد الحكمة في الشيب والشباب على
السواء .

ونشأ « عمير بن سعد » على محبة الرسول ﷺ فكان
يغشى مجالسه الشريفة ، ويحرص على أن لا يفوته منها
مجلس ، وبذلك توفرت لصاحبنا صحة طويلة كريمة
صادقة .

وقيل انه شهد بدرا وما تلاها من المشاهد .

وذاق « عمير بن سعد » اليتيم صغيرًا ، وكان أبوه يعرف
« بالقاريء » نسبة للقراءة ، وأخطأ من قال انه من « قارة » ،
فالقارة — كما ينص الروض الأنف — من بني خزيمة ، أما
صاحبنا فمن بني عوف ، وشتان ما بين البطينين .

ويقال انه كان أول رجل من الأوس الأنصار جمع
القرآن المجيد ، وقد قال ابن مندة إن ذلك كان على عهد
رسول الله ﷺ . وان كان في ذلك نظر عند بعض الفقهاء .

ذاق صاحبنا « عمير بن سعد » اليتيم صغيرا كما قلنا ،
فتزوجت أمه من الجلاس بن سويد بن الصامت الأنصاري.
فكفل « عميرا » ولم يدخر وسعا في توفير أسباب الحياة
الكريمة له ، وشهد « عمير » للجلاس بذلك شهادة صدق إذ
قال له ذات يوم « والله يا جلاس انك لأحب الناس إلى واحسنهم
عندى يدا ، وأعزهم على ان يصيبه شيء يكرهه » ، فدل
بذلك على عظيم تقديره ليداه عليه ، فكان له على الدوام
مطيعا إلا في أمر واحد فقط ما كان له أن يطيعه فيه .

وكان الرسول صلوات الله وسلامه عليه يعرف ذلك فيه
فيفسح له في مجلسه ، ويقبل عمير بن سعد في غبطة
يستمتع إلى ما يقوله الرسول العظيم ، ويستمتع بما يسمعه
أو يراه ، ويعي وعى فاهم كل ما تنطق شفتاه ، مما يوحى به
إليه الله جل جلاله ، وينزله عليه من قرآن يتلوه على أصحابه
فيحفظونه وتحفظه الأجيال في صدورهم لتعمل به ، وتسير
في هديه .

وكان « عمير بن سعد » نسيج وحده : صدقا وامانا
وتمسكا بالدين ، وكان نسيج وحده أيضا في الخلق الطيب ،
وكان في الذروة في كل ذلك . . . فهو بحق من فضلاء
الصحابة الأجلاء .



ولقد أبلى « عمير بن سعد » في حياة الرسول صلوات
الله وسلامه عليه أحسن البلاء : محاربا ، ومسالما ، ومحدثا ،
وفقيها . ولم يقصر في ذلك قط أبدا حتى بعد المبعوث رحمة
للعالمين ، فقد ر فيه الخليفان أبو بكر وعمر ذلك الجانب
الكريم ، فكان بعض تاريخهما جزءا من تاريخ صحابينا الذي
كان تاريخه في عهديهما امتدادا لقصة إسلامه ، حتى
لقد كان عمر بن الخطاب رضوان الله عليه يقول : « وددت
لو أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين بهم على أعمال
المسلمين » .

وهذا القول من عمر بن الخطاب يجمعنا ندرك اى رجل كان « عمير » الصحابي الزاهد الذى شهد فتح الشام وشرك فيه ، والذى بعثه خالد بن الوليد بالاحماس يوم رمى أبو بكر الروم به فكانت رمية صائبة طاشت لها احلام الاعداء .

ولقد تم على يد عمير بن سعد فتح بعض أعمال الشام سنة ثمانى عشرة للهجرة الشريفة ، كما صار عامل عمر على حمص .

ولقد دل موقفه من الجلاس بن سويد زوج أمه - يوم نافق الجلاس وإن تاب واعتذر وقبيلت توبته - على حسن إسلام ربيبه الصغير عمير ، وما شهادتنا لعمير بن سعد - وقد شهد له الشفيح الهادى - وبعد أن نزل فى صدقه آيات بينات من كتاب الله الذى لا يؤتية الباطل أبدا !!

وخبر هذا أن الجلاس كان - على قول البعض - ممن تخلفوا يوم تبوك وراح يثبط من همم الناس وقال : « لئن كان ما يقول محمد حقاً لنحن شر من الحمير » .

هكذا قال الجلاس بن سويد . . .

ألا كبرت كلمة تخرج من فيه .

وسمع « عمير بن سعد » - ربيب الجلاس - ما تفوه به الجلاس ، فأغضبه من زوج أمه وكافله وولى نعمته أن يقول الذى سمعه منه ، وكان كل منهما شديد الحب للآخر ، فعمير ابن سعد - كريبب للجلاس - لا يحب أن يقول شيئاً فيه مضرة لكافله ، ولكنه إن سكت عن الافصاح عما سمعه منه فقد خان عقيدته ، وأزرى بنفسه وبايمانه وأصبح أثماً قلبه ، ومن ثم قال له :

« يا جلاس . . . لقد كنت أحب الناس إلى ، وأحسنهم عندى يدا ، وأعزهم على أن يصيبك شئ تكرهه . »

« ولكنك يا جلاس قلت مقالة لئن ذكرتها لآفضحك » .
ولئن كتمتها لأهلكن ويهلكن ديني » .
« ولإحداهما أيسر على الأخرى »

ثم مشى عمير إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يكتمه
الخبر الذي سمعته أذناه . ولم يشأ النبي الحكيم أن يسمع
في الجلاس ما يقوله عمير فيه دون أن يسمع من الجلاس
نفسه ما عنده من هذا الخبر من تأكيد أو نفى ، فاستقدمه
إليه فأنكر الجلاس ما قاله عمير ، وزاد فحلف حانثاً أنه
ما قال الذي بلغ الرسول ﷺ ، ثم زاد فزعم أن ربيبه كاذب .

وعز على عمير بن سعد أن يرمى بالكذب وهو منه برىء .
وعز عليه أن يكون شأنه هو الجلاس ، فقام ودعا الله
صادقاً دعاء خاشع ذى نفس منكسرة أن يظهر الحق ، دعا وهو
يعلم أن دعاء المظلوم يجد سبيله إلى العلى العظيم ميسراً
فيستجيب له رب العزة والجبروت .

وهتف عمير بن سعد رافعاً وجهه إلى السماء : « اللهم انزل
على نبيك بيان ما تكلمت به » . وأنزل الله جل شأنه على نبيه
وحبيبه المصطفى قوله عز من قائل :

يُخْفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَتُوبُوا
بِمَا كُفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ مُنْكَرُونَ ۚ وَاللَّهُ يُخَوِّفُ لِمَا يَشَاءُ فَإِنَّ يُتُوبُوا يَكُ
خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَإِنْ يُتُوبُوا يَغْضِبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ٦٦

صدق الله العظيم

هكذا جاء الدليل البين على صدق عمير بن سعد ،
وجاء القرآن بالحق فبرأ ساحتها ، وحينذاك قال نبي الرحمة
وإمام المتقين صلوات الله وسلامه عليه لعمير : « لقد صدقت
أذنك يا غلام » .

وهكذا كانت قولة عمير مقالة الحق والنجاة للجميع .

وتاب الجلاس عما وسوس به إليه الشيطان من قول
كر يه يجرح صدق إيمانه ، واطمان للصنف عنه إذ استغفر ،
وحسبه أن يسمع قوله تعالى :

فَنَابِ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾

سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ

صَاحِبُ الْعَصَابَةِ الْحُمْرَاءِ

كان اليومَ يومٌ أخذَ وقد التحمَ عسكرُ الكفرِ بجندَ الرحمنِ ، فالطفاءُ يدعون باللات والعزى ، وما يدعون إلا إلى النار ، وأما المؤمنون فيعلمون أن اللهَ بخلٌ جلاله إنما يدعو إلى الجنة والمغفرة ، وهم يكبرون تكبيرة الإيمان « الله أكبر • الله أكبر » فيرن هذا النداء في أذن الزمان فتصفق له الدنيا ، ويخترق سمع الآثمين الفجرة فيصرعهم وما لهم من نجاة •

ولو كنت شاهد هذا اليوم الأغر لرأيت في صفوف المسلمين رجلاً قد عصب رأسه بعصابة حمراء ، يهز السيوف في يمينه فيبرق حده ويبرق الموت فيه ، ويميل واحد من هؤلاء المسلمين المجاهدين على الذي بجانبه يسأله : من يكون هذا الرجل صاحب العصابة الحمراء ؟ فيجيبه مستنكراً سؤاله هذا ويقول : وهل تجهل حقاً يا أخى من يكون هذا الرجل • • ؟ إنه يا صاح سَمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ الخزرجي الأنصاري « فيرد السائل وكأنما كان في غفوة فصحا منها : « أهو أبو دجانة يا صاحبي !! » فيرد عليه صاحبه قائلاً : « انه والله هو • • • وما هو بأحد سنواه » •



ان صاحب هذه العصابة الحمراء هو صحابينا الخزرجي أبو دجانة الذي اعتنق الإسلام مع الرعيل الأول من أهل يثرب الأخيار الذين دخلوا الدين طوعاً لا كرها ، وعن فهم وإدراك

رفيعين، ووجهوا وجههم حنفاء للذى فطر السموات والأرض،
وأخلصوا له سرا وعلانية، وتابعوا رسوله الأمين صلوات الله
وسلامه عليه فكانوا مهتدين وهادين *

ولازم أبو دجانة رسول البر والتقوى، وشهد معه بدرا
والمشاهد كلها، لم يتخلف عن أى واحدة منها، وكيف يتخلف
وهو الحريص على أن يؤدب المشركين يوم أحد وبدر، ويلقن
الكافرين والمنافقين ومن فى قلوبهم مرض يوم الخندق درسا
يذكره له التاريخ ولا ينسونه هم أبدا، ليعلموا أنهم على
ضلال، ويرجو أبو دجانة أن يكون هذا الدرس رسالة سوية
عسى أن يرعوا ويتوبوا ويؤمنوا فتصلح أحوالهم دنيا
وآخرة، وأنهم والله لو تابوا وآمنوا لكان ذلك خيرا لهم، والا
فقد ساء صباح المنذرين *



ثم يأتى يوم أحد : يوم الدرس العظيم فى الطاعة
والامتثال لأمر القائد الملهم والنبي الصادق الأمين *

ويحدث قبل أن يلتقى المصافان بعضهما ببعض أن
تتكشف السرائر، وتظهر خفايا الصدور حين ينخزل
المنافقون ومن ضل ضلالهم وكبرهم « عبد الله بن أبى
السلولى »، ويصرون على أن يتصرفوا، وهنا ينكشف الستر
ويظهر لكل ذى بديهة أنهم أعداء الله وأولياء الشيطان، وقد
أغنى الرحمن نبيه عنهم فلم يكن انسحابهم بمشيط له ولمن
معه همة، وهل يقنط من روح الله إلا البائسون *

فى هذا اليوم عبأ الرسول الهادى رجاله والرماة،
وأمرهم أن يثبتوا فى أماكنهم وألا يبرحوا مواضعهم سواء
أكان النصر للمسلمين أم كانت الحرب عليهم وأن ينضحوا
خيل المشركين بنبالهم حتى لا يأتهم الكافرون من خلفهم
ومن وراء ظهورهم فتكون الطامة *

وكان فى جيش الشرك يومذاك خالد بن الوليد وعكرمة
ابن أبى جهل ... وما أدراك من خالد وعكرمة !!! ...
محاربان صنديدان ، وبطلان عظيمان فى الجاهلية والاسلام
على السواء *

أليس خالد هذا هو الذى تنعته كتب التاريخ بأنه كانت
إليه « القبة واعنة الخيل » فى الجاهلية ؟ *

أليس خالد هذا هو القائل بحق : « حضرت مائة
زحف أو زهاءها وما فى بدننى موضع شبر إلا وفيه ضربة
أو طعنة أو رمية » *

وصدق خالد فقد كان هو الرجل الذى يكبره التاريخ
فى جاهليته وإسلامه *

ثم هذا عكرمة بن أبى جهل ... الذى كان حربا على
المسلمين عصبية لأبيه ، ثم لما أسلم قام إليه نبي الرحمة
فاعتنقه وقال له : مرحبا بالراكب المهاجر ... ثم كانت له
مواقف نيرة فى إسلامه حتى قال فيه الزهرى يصفه يوم فحل
(بكسر الفاء وسكون الحاء) « إنه كان أعظم الناس بلاء
وأنه كان يركب الأسنة حتى جرح صدره ووجهه » *

لقد كان هذان البطلان : خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى
جهل فى جيش الكافرين فى هذا اليوم الذى أمسك فيه
الرسول ﷺ بسيفه ورفع أمام رجاله الأشاوس وقال فيهم :
« من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ » - فبادر إليه الكثيرون من
صحابته ممن معه ، وكل منهم يقول له : أنا يا رسول الله
ﷺ ، ولكنه يمسكه عنهم جميعا *

أنه سيف محمد ... وما يكون سيف محمد إلا فى يد
تعرف قدره حق المعرفة ، فإن ضربت ضربت فى سبيل الله
فأصابت فأهلكت وأدبت *

ثم يقوم أبو دجانة ويقول للنبي المجتبى : « وما حقه
يا رسول الله » ؟ فيجيبه أن تضرب به العدو حتى ينعنى *

فرد عليه أبو دجانة في صوت الواثق من نفسه باذن الله :
« أنا أخذه بحقه يا رسول الله » فناولته إياه وهو مدرك أنه
أعطى القوس — كما يقولون — باريها ، والسيف لصاحبه
الصنديد الذي هو أهله .

ان يكن سيف النبي في يد أبي دجانة فويل للكافرين
والمشركين . . . ثم ويل لهم منه ، وبشرهم بعذاب آليم !! .

ويمضي أبو دجانة فيتقلد السيف وقد عصب رأسه
بعصابتة الحمرام التي كانت الأنصار تسميها « عصابة
الموت » . . . ولم يجاوز الأنصار الحق فيما قالوا ، فقد خبروا
أبا دجانة وعرفوه وصحت تسميتهم إياه بتلك التسمية .

لئن يكن هذا المقاتل أبا دجانة . . .

ولئن كان سيف رسول الله ﷺ في يده . . .

ولئن كانت العصاية الحمرام على رأس سماك بن خراشة
. . . فويل للمشرك إن وقف في طريقه ، وإن جهنم لتفتح
أبوابها للمشركين كلما ألقى فيها فوج منهم قال خزنتها ألم
يأتكم نذير .

وتقول النار لهم : هل من مزيد ؟ » .

ويدرك أبو دجانة في هذه اللحظة أي شرف أولاه إياه
الرسول ﷺ إذ اختصه بسيفه فينشد راجزا :

أنا الذي عاهدني خليلي
ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكبول
أضرب بسيف الله والرسول

ويرفع أبو دجانة السيف في يده ويضرب به في العدو
ذات اليمين وذات الشمال فلا يلقي أحدا من رجال الكفر

إلا صرعه ورده الى أمه الهاوية ، ثم يوغل في صفوف العدو فاذا به يجد سيفه يكاد يقع على رأس « هند بنت عتبة » فتصرخ مولولة فيكف عنها ويمسك عن ضربها ، فلما سئل بعدئذ ولم ذلك وهى صاحبة التاريخ الدامى مع المسلمين والفعل المستنكر مع حمزة الشهيد فيقول : « أكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة » .

هذا ما كان منه فى هذه اللحظة بالذات ، ويشهد به له الجميع ، وما من أحد ينكر هذا القول أو يجادل فيه .

فهل لنا إلا أن نقول رعاك الله يا أبا دجانة فأنت ربيب الاسلام ، وخريج مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، وأنت الحريص على الدين والخلق القويم والكف عن الضعيف ، واحترام المرأة فلا تنتهك حرمتها ولا انسانيتها ولو كانت مثل هند .

فليكن فى هذه الوقفة من أبى دجانة عظة لكل من يفترى الكذب على الإسلام .



ولما كان يوم اليمامة اعتصم بنو « حنيفة » بجديقة لهم يقاتلون من ورائها من هم أمامها ويرمون المسلمين فيكثرون فيهم القتل ، ولا يستطيع المسلمون الوصول اليهم ، ولا يوفقون فى اقتحامها واقتحام الناحية التى وقف العدو خلفها .

وينظر أبو دجانة حوله ويدرك حرج موقف المسلمين . وتحذره نفسه : أيهزم الكفر اخوانك يا أبا دجانة وتنتصر الردة الكالعة الوجه ؟ .

« آتدور الدائرة على رفاقك فى الله فيتضع شأن الدين وتسقط رايته وتصبح فى موطىء الأقدام ؟ » .

ويعصر الأثم نفسه على مصير اخوانه ومصير الدين إن انتصر الكفر والردة . . . قاتلهما الله .

ويأكل الغيظ صدر أبي دجانة فيقول لنفسه : « وماذا يكون من شأن الملة إن كانت الغلبة للردة ؟ »

وهل للحياة من معنى أو طعم ان انتصر المرتدون ؟ »

ويقول لنفسه في صوت المؤمن : والله لئن يفتح باب الحديقة ليكون النصر ان شاء الله تعالى لأوليائه المؤمنين .

وحينذاك يستدير أبو دجانة إلى رفاقه الأبرار ويناديهم أن يقذفوا به إلى الحديقة : حديقة الموت . . . ففعلوا ، وانكسرت رجله ولكنه ظل يقاتل الكفار على الباب حتى أزاحهم عنه ، وإذ ذاك دخل المسلمون حديقة الموت لتكون حديقة النصر ، وارتفعت راية الحق والتوحيد ، وردد الأفق تلك الصيحة الحلوة :

الله أكبر . . . الله أكبر *

لا إله إلا الله . . . لا إله إلا الله *

محمد رسول الله . . . محمد رسول الله *

وكان هذا هو النصر الذي وعد الله به من ينصره فأظهرهم على الكفار وثبت أقدامهم . وإنه للفوز العظيم الذي يكون أصحابه أعظم درجة عند الله .

لقد اقتحم المسلمون بفضل الله وشجاعة أبي دجانة حديقة الموت، وقاتلوا المرتدين فقتلوهم وساء يوم الظالمين، وحسن يوم المؤمنين الذين نصروا الله فنصرهم وثبت أقدامهم، واستجاب الله لدعائهم إذ نادوه بقلوب منخلصة أن يفرغ عليهم صبرا وينصرهم على البغاة الظالمين .

وحاق المكر السيء بأهله ، وهلك الكفر والكفار الذين إن ماتوا على كفرهم لاقوا العذاب الأليم ولئن وجدوا لهم من ناصرين ، ويقول الكافرون يومذاك يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، فلا يجد بهم

وجاؤهم ، فيجيوهم الجواب : ذوقوا عذاب النار التى كنتم
بها تكذبون *

وارتفعت يومذاك راية الاسلام ، واندحر المرتدون
الظالمون فى ارض سقى ثراها دم أبى دجانة وأصحابه
الصادقين *

ذلك هو أبو دجانة الأنصارى البطل الذى أعز الله به
الإسلام مع من أعزه بهم *

وانا لنفخر بأنه أحد أجدادنا فى الدين ، وان كان
بيننا وبينه أربعة عشر قرناً من الزمان *

فسلام على صاحب العصاة الحمراء يوم يبعث فى
الآخرين *

وسلام على إخوانه المؤمنين المجاهدين *

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ

زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥١﴾

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٢﴾

صدق الله العظيم

قيس بن عاصم المنقري سيد أهل الوبر

أقبل العام التاسع الهجري وأقبلت معه وفود العرب
على الرسول ﷺ تعلن إليه إسلامها ، وتبأيعه على الطاعة
والولاء ، وكان من بينهم وفد « بنى تميم » •

والتميميون ذوو عرق قديم في الجاهلية ، جمعوا العز
حارفة وتليده ، وسنراهم كما يقول ابن اسحق في السيرة
« من طوائف العرب التي شهدت فتح مكة » •

وكان في الوفد التميمي يومذاك رجل لا يمكن للعين
أن تخطئه •

كان رجلا طويل القامة ، مهيب الطلعة ، عريض الجبهة ،
أشم الأنف ، ذلك هو :

قيس بن عاصم بن سنان المنقري

الذي كان سيدا مطاعا في بنى تميم ، وكان له من رجاحة
العقل ، واتزان الفكر ما يجعله بارزا فيهم ، مهابا بينهم ،
مسموع الكلمة ، مرجو الرأي •

ما كاد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يراه
حتى قال : « هذا سيد أهل الوبر » •

فراصة من الرسول الملهم الأملئ ، وهي فراصة لا تخطيء
ولا تغفل ... فقد كان « قيس بن عاصم المنقري » - كما
قال الرسول العظيم - سيد قومه في خلقه وحلمه وفطنته •

وأعلن قيس المنقرى إسلامه بين يدي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ونطق بالشهادتين ، ورحب به النبي مسلماً موحداً ، جاباً أوزار الكفر والشرك ، متحللاً من الجاهلية ومن أدرانها ، وحينذاك أمره عليه الصلاة والسلام أن يغتسل ، وأن يكون اغتساله بماء وسدر . . . فأطاع واغتسل وتطهر .

ويذكر مترجمو «قيس المنقرى» أنه لما قال عليه الصلاة والسلام « هذا سيد أهل الوبر » تقدم قيس فسلم عليه ، ثم سأله ما شأن المال الذي لا تبعة فيه لأحد ؟ ، فأجابه المصطفى بما فيه فصل الخطاب ، فزادت مكانة النبي في نفس قيس . ولما اطمأنت نفسه إلى جواب وعاء الحكمة الشافى الوجيز قال له : « يا رسول الله . ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها . . . ! » .

فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : « يا قيس . . . أمالك أحب إليك أم مال مواليك ؟ » .
فأجابه : « بل مالى يا رسول الله » .

فقال النبي ﷺ : « فانما لك من مالك ما أكلت فأفانيت ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت . . . وما بقى بعدئذ فلورثتك » .

والتقط قيس بن عاصم المنقرى الحكيم الحكمة من نبي الحكمة ووعاها ، ثم قال : « يا رسول الله . . . لئن بقيت والله لأدعن عددها قليلاً » .

وكان الأمر كما قال قيس .

وعرف قيس المنقرى (وكنيته : أبو طلحة) بالعقل السليم والحلم .

شهد له بذلك الأحنف بن قيس حين سئل ممن تعلم الحلم ، فذكر صاحبنا المنقرى إذ رآه يوماً جالساً في فناء داره

يحدث قومه حين دخل الناس عليه يائنين ، فاما احدهما فرجل مكتوف ، واما الآخر فصريع مقتول . . . فاذا المكتوف هو ابن أخى قيس المنقرى ، وكان هو القاتل . واما المقتول فولد قيس الذى لم يمنعه ما يرى من متابعة حديثه فى اناة ، حتى اذا فرغ من حديثه التفت الى ابن أخيه الذى فى الوثاق وقال له : بئس ما صنعت يا ابن أخى ، . . . آثمت ربك ، وقطعت رحمك ، وقتلت ابن عمك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقللت عددك » .

ثم التفت إلى ابن آخر له كان إلى جواره وقال له : « قم يا بنى إلى ابن عمك فحل وثاقه ، ووار أخاك ، وسق إلى أمه مائة من الابل فانها غريبة » .

على هذه الصورة العجيبة كان قيس بن عاصم المنقرى فى حلمه .



وكان قيس المنقرى شاعرا ، ترك من الشعر ما يشهد بترفعه عن الدنيا وعن كل ما يزرى بالرجل الشريف ويشينه ، فقد حرم الخمر على نفسه فى أيام جاهليته قبل أن يدخل الإسلام فيغلظ عليه تحريمها ، وكان سبب تحريمه اياها على نفسه تجربة مريرة مر بها ، اذ شربها فتدنى فنزل من مرتبة الفاضل إلى مرتبة الجاهل ، وجاء من الفعل ما أنكره هو ذاته على نفسه حين ذهب عنه نشوتها فقال :

رأيت الخمر طالحة وفيها
خصال تفسد الرجل الحليما
فلا والله أشربها صحيحا
ولا أشفى بها أبدا سقيما
ولا أعطى بها ثمننا حياتي
ولا أدعو لها أبدا نديما
فان الخمر تفضح شاربها
وتجنيهم بها الأمر العظيما

وصدق أبو طلحة قاتل الخمر كثيرة وكبيرة ، وانها لمذلة
مهينة للرجل العاقل ، وقد نهى الله جل جلاله عنها في
قوله عز من قائل (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم
العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله
وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) .



ومنذ ان أسلم قيس بن عاصم المنقري وهو يتخذ الرسول
ﷺ أسوة له يقتدى بها ، وما ضل من اتخذه قدوة له ،
وأهتدى بهديه ، لذلك نرى صاحبنا المنقري ينهى ولده
وأهله - وقد حضرته الوفاة - أن يقيموا عليه تائحة تنوح
عليه مع النسوة يلتفن حول جثمانه ويندبنه بكلام مصطنع
فيقول لهم : « سمعت رسول الله ﷺ نهى عن النائحة »

لقد تأدب قيس بن عاصم بأدب الإسلام فحسن أدبه ،
وزادت حكمته ، وعلا حلمه ، وكان يحدث فيحسن الحديث ،
ويحمل سامعيه على الإصغاء والانتباه له في أدب .

وان له من خلقه ما ترجم عنه هو ذاته حين سأل الصديق
رضي الله عنه أن يصف نفسه ، فقال : أما في الجاهلية يا أمير
المؤمنين فما هممت بملامة ، ولا حمت على تهمة . . . ولم أر
الا في خيل مفيرة ، أو نادى عشيرة ، أو حامى حريرة .

فقال له أبو بكر : « وكيف أنت في الاسلام يا أبا طلحة ؟ » .

فرد عليه قائلا : « وأما في الاسلام يا أمير المؤمنين فقد
قال تعالى « فلا تتركوا أنفسكم » .

هكذا أوجز قيس فأعجز ، ونطق فأفصح ، وتحدث
فأعجب ، فدل على أنه نعم الرجل في كل أحواله .

ثم زادت نعماء في الإسلام بالإسلام ، فروى عن النبي
ﷺ بعض الأحاديث الشريفة •

ومات قيس المنقرى بالبصرة ، وقال فيه القائل شعرا
لا يزال يتمثل به حتى اليوم :

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدما

رحم الله أبا طلحة فقد كان سيرة تحتذى ، ومسلما يؤتم
به ، ورئيسا يقول فيطاع ، وصحابيا كريما يصدق فيما
يرويه ، ومثالا للمؤمن الصادق الإيمان ، لا يغويه مال ،
ولا يرجو إلا لقاء وجه ربه • وإنه وأمثاله :

رَجَالٌ لَا تُهَيِّئُهُمْ تَجَرُّدٌ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَلَا قَامَ الصَّلَاةِ وَلَا شَاءَ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ

يَوْمًا تَقْلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿١٧﴾ لِيُخَيَّرَهُمُ

صدق الله العظيم

مَعَوُذُ بْنُ عَفْرَاءَ أَمْرٌ ثَمَانِيَّةٌ أَخُوهُ شَرِيدًا

رفيقنا فى هذه الصفحات رجل خزرجى ، إن ذكر
الأمجاد كان فى طليعتهم * وإن قيل من هو ؟ كان الجواب أنه
عبقريّ الضعفاء نبيهها ، وقد امتد به العمر فى الاسلام منذ
الأمجاد كان فى طليعتهم * وإن قيل من هو ؟ كان الجواب إنه
العقبة الأولى الى وقعة بدر ، وكلتا الحادثتين مجد فى تاريخ
الملة ، ونقطة تحول للخير فى مسيرة الدهر ، وقد ختم صحابينا
حياته الجديدة الطاهرة كأحسن ما تكون الخاتمة التى
يتمناها المسلم الصادق الايمان ، اذ استشهد فى يوم بدر
الذى أكرم الله فيه من شارك فيه ممن عاش بعده أو استشهد
فيه * ذلك هو :

مَعَوُذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ سَوَادٍ

الأنصارى الخزرجى ، الذى يعرف أكثر ما يعرف بابن
عفراء ، نسبة الى أمه «عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الأنصارية»
المسلمة المباعدة على ألا تشرك بالله ، والتى ذهبت فى التاريخ
بأنها تزوجت بعد الحارث زوجها الأول بالبكير بن ياليل
الليثى فولدت له أربعة ذكور ، شهدوا كلهم بدرا ، وكذلك
إخوتهم لأنهم من الحارث أول بعل لها ، فانتظم من هؤلاء لها
بناء شهداء وكلهم بدريون * * * فأعظم بهذا من مجد
وسؤدد *

وصحابينا: «معوذ بن عفرأ» قديم فى الاسلام ، اذ كان
فى نفر الأوائل من أهل يثرب الذين وفدوا على رسول الله

ﷺ في العقبة يوم بلغ هؤلاء النفس سبعين رجلاً وامراتين ،
ويوم بايعوا النبي صلوات الله وسلامه عليه على السمع
والطاعة في عسرهم ويسرهم ، وألا ينازعوا الأمر أهله ،
وأن يقولوا الحق أينما كانوا ، لا يخافون في الله لومة لائم ،
فكان ذلك عهداً عليهم لله ولرسوله ، وميثاقاً بينهم وبين الله
وحبيبه ﷺ * واستمسكوا ببيعتهم التي بايعوها ، ولم
ينقضوا ميثاقهم ، ووصلوا ما أمر الله به أن يوصل ، وخافوا
سوء العذاب *

وكان في هذا الرهط الكريم رجال من الأوس بن
حارثة وبنو عبد الأشهل ، وبنو عيمرو بن عوف ، ومن
غيرهم *

أما من بنى الخزرج بن حارثة يومذاك فكان (كما يقال
ابن أسحق) معوذ بن إبحارث الذي قيل إنه قتل أبا جهل بن
هشام بن المغيرة ، وأودى به إلى أمه الهاوية *

كان هذا الرهط الذين بايعوه عليه الصلاة والسلام
يوم العقبة مسلمين ، ومن هنا كان إسلام صاحبنا الصحابي
الخزرجي معوذ قديماً *

وعاد معوذ بن عفرأ إلى المدينة يسعى في نشر الاسلام
والدعوة إليه ، مؤمناً بالرسالة التي حملها الرسول الكريم ،
وبالواحد الأحد الذي ذرأ الناس في الأرض وإليه يحشرون
يوم الجمع *

وسمع معوذ بن عفرأ مقالة النبي فصدقه وفاض قلبه
بالنور الالهي هو ومن نهج نهجه ، والذين جاهدوا في الله
حق جهاده **

وشارك معوذ بن عفرأ في ذلك مشاركة طيبة خالصة
لا نفاق فيها ، كما شارك في الخروج إلى بدر ، وكانت له
يومذاك صولة وجولة ، وكان منه إقدام في مواطن يتجنبها
الكثيرون حتى الشجعان منهم * ذلك أن قريشاً كانت قد
جمعت كل ملئها ، ونظمت صفوفها كأحسن ما يكون التنظيم ،

وكانت قد استنفرت الناس إلى أموالهم « فكانوا بين رجلين :
أما خارج أو باعث مكانه رجلا ، وأوعبت فلم يتخلف عن
ذلك أحد » ، ثم جاءت بأبطالها الصيد وفرسانها المغاوير
الصناديد ، ليكون يوما حاسما ضد الاسلام كما تخيلته ،
فحاق المكر السيء بها وهى أهل له ، وارتد السهم الى نحرها
فأصمها ، وكانت تظن أن كثرتها مانعة إياها فلم يجدها
ذلك نفعا بل خاب قائلها ومسعاها .



وأقبل المسلمون فى ذلك اليوم ، وتزاحف الناس ،
وخرج من صفوف الكفار « الأسود بن عبد الأسد المخزومي » ،
وأقسم ليشر بن من الحوض الذى بناه المسلمون أو ليهده منه
أو ليموتن دونه ، فاستقبله أسد الله وأسود رسوله حمزة بن
عبد المطلب بضربة أطارت قدمه ، فزحف حتى وقع فى الحوض .
فهدمه برجله الصحيحة ، وكان الأسود رجلا قويا جلدا ،
ولكن حمزة عاجله فى الحوض فقتله ، واذ ذاك خرج « عتبة بن
ربيعة » وأخواه شيبية والوليد ودعوا إلى المبارزة ، فخرج اليهم
ثلاثة فتيان كانوا من الأنصار كأنهم الشهب ترجم الشياطين ،
هم : معاذ بن عفراء ومعوذ بن عفراء وعوف بن عفراء . . .
قيل : فردهم الرسول الكريم كراهية منه - كما يقولون -
ان يكون أول قتل فى أول قتال فى الأنصار .

وقيل إنه حين خرج هؤلاء الثلاثة سألهم عتبة من
يكونون ؟ فعرفوه بأنفسهم وإنهم من الأنصار وأنهم أبناء
عفراء ، فقال لهم : « أكفاء . . . !! ولكن ما لنا بكم
حاجة !! » .

هكذا تخلف صحابينا معوذ بن عفراء ، ولم يكن تخلفه
هو وأخويه إلا بسبب ردهم من جانب الرسول فى قول : أو
من جانب عتبة بن ربيعة .

وان لصاحبنا الصحابى الكريم معوذ بن عفراء خبرا مع
رأس المنافقين عبد الله بن أبى السلولى يوم أن عاد المصطفى
عليه الصلاة والسلام من أحد ، فجاء السلولى وتكلم كلاما

ظاهره الرحمة وباطنه الخبيث ، فالزمه الأنصار الجلوس ،
وأمسكه بعضهم فلما تخلص منهم خرج من المسجد وهو يتخطى
رقاب القوم ويقول : « كأنما قلت هجرا !! » •

عجيب والله أمر هذا السلوى ••

هل كان يجهل هو - أو كان أخذ - يجهل أنه كان رأسا
للمنافقين الذين هم الى الكفر أقرب منهم إلى الإيمان ؟
والذين إذا تكلموا قالوا ما ليس في قلوبهم ، وما علموا ان الله
أعلم بما يكتُمون •

ولما رآه معوذ يخرج متخطيا الرقاب ويقول ما قاله سأل
ما كان من أمره حتى يخرج على هذه الصورة فأجابه
لقد قمت المقام الذي كنت أقومه كل جمعة ، فنام الى
رجال من قومي على غير ما القيام به •

فقال له معوذ وقد عرف الأمر : « ارجع يستغفر لك
رسول الله ﷺ » •

فرفض عبدالله بن أبي هذا الرجاء الذي كانت فيه نجاته
لو أنه اتبعه ، وسأيره في هذا الرفض قوم كانوا على شاكلته
ونفاقه ، وقيل انه نزلت في ذلك الآية الكريمة :

وَلَا يَقِيلُ لَهُمْ تَعَالَى اسْتَغْفِرُكَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَا رُدُّوهُمْ وَلَا يَكْفُرُونَ

وَمُرُؤَاتُهُنَّ

ولما كان يوم بدر وقد فرغ النبي عليه الصلاة والسلام
من عدوه ، أمر المسلمين أن يلتمسوا أبا جهل في الهلكى ،
فمضى إليه معاذ بن عمرو بن الجموح فرآه فضربه ضربة
أطارت قدمه بنصف ساقه ، فدافع عنه ولده عكرمة فأطارت
يد معاذ •

ومر معوذ بن عفرأ بأبي جهل جريحا فضربه ••
قيل وضربه معه أخوه معاذ بن عفرأ حتى بردت أطرافه
وأصيب في هذا اللحظة معوذ بن عفرأ وهو يقاتل ••

أصابه أبو مسافع بن طلحة إذ ضربه فعجل إليه بالشهادة.

رحم الله معوذ بن عفراء ، فقد كان صحابيا مؤمنا ، وكان
محاربا بأسلا صلب العود ، وكان خواض غمرات لا يخافها .
لقد غادر معوذ الحياة في أشرف ساحة ليكون شهيدا . .

وَلَا تَحْزَنْ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ أَمْثَلُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُفُّوا عَنْهُمْ قُلْ هُم مَّا كَانُوا مِن قَبْلُ
وَلَا يَرْجِعُونَ ٥٠

صدق الله العظيم

فَرَاتُ بْنُ حَيَّانَ

الخبير بدروب الصحراء

كان فرات بن حيان العجلي البكرى من أمهر العارفين
بمسالك الصحراء ودروبها حتى لكان بينه وبينها صلة
الفة ومحبة .

وللصحراء مسالك وشعاب لا يديرها إلا قلة من الرجال،
وإذا كان لقلة منهم أن يعرفوا بعض طرقها فربما بهم عليهم
الأمر أن يدركوا أى نواحيها تكون ذات رمال تغوص فيها
الأقدام فتدفن سالكيها أحياء ، وتطويهم كثبانها المتحركة
كالسيل الآتى فلا يوقف على أثر لهم .

وقد لا يعرف هذا البعض أين تكون هذه الكثبان
المتحركة التى لا تجدى معها محاولة الهرب منها ، ولا تدفع
غائلتها محاولات تذهب بددا ويهلك أصحابها .

لكن فرات بن حيان كان ابن الصحراء ، وابن الفيافى
الموحشة ، غير أنه ألفها وألفته ، وطالما رآته يدب على رمالها
وسط الرياح الهوج العاصفة السافية ، فهو يعرف كل شعب
فيها ، لا يشأوه فى تلك المعرفة أحدا ، أو يبلغ غيره بعض
مداه ، كأنما قد كشفت له هذه الصحارى وتلك الفيافى عن
مطوى سرها ومكنون أمرها . وقد رزقه الله حاسة تدله على
أى الدروب إن سلكها كان آمنا هو ومن معه ، وأنهم واجدون
فيها ماء يروى غلة ظمئهم القاتل ، وكانت العرب عامة —
وقريش خاصة — تعرف فيه هذه البراعة ولا ينكرها عليه

أحد ، لذلك كان يلتزمه من هؤلاء جميعا من يرجون السلامة
لأنفسهم فيسلمون وتسلم تجارتهم في سفرهم عبر هذه
الفيافي *

وكان فرات بن حيان يعيش عيش أهل الجاهلية : نحلة
وجهالة ، ويشارك الكفار والمشركين عداوتهم للإسلام
والمسلمين *

وكانت قريش تعرف فيه صاحبا لها ، وتدرى أن هواه
معها ، وبئس الهوى هواهم جميعا يومذاك ، وكيف لا يكون
له نفس الهوى وهو الذى يراهم كل الأهل والعشيرة .. ؟؟

ثم جاء يوم راحت قريش فيه تتنادى للخروج إلى قتال
محمد عليه الصلاة والسلام وأصحاب محمد رضوان الله عليهم
جميعا بعد أن عرضت سرية من المؤمنين من أصحاب النبی لغير
قريش ، وكان للسرية قصة .. أنزل الله فيها جل جلاله قرآنا
يتلى ويحفظ ، وتردده الألسن فى المساجد ، ويسمعه الناس
بعضهم لبعض ، ويتدبرون ما حوى فيزدادون تمسكا بعمود
الإيمان *

ويقطع هذا القرآن كل مقالة للمشركين ويلجمهم ،
وتغضب قريش من المسلمين وتثور ثائرتها عليهم ، وتابى
إلا أن تؤدبهم أدبا لا ينسونه ، فتخرج إلى بدر وقد جمعت من
جمعت ، ويخرج معها فرات بن حيان .. مشركا كافرا *

ويلتقى الكفر فى ساحة بدر بالإيمان ... والشرك
بالتوحيد ، .. وأعوان الشيطان بجند الرحمن *

وتشهد الملائكة بدرا ... لا يمارى فى ذلك إلا حاقدا أو
جهولا ، ظالم لنفسه وعقله ، وكافر بآيات الخالق القادر
على كل شيء *

ويشهد قوم بدرا وكانوا كفارا ، ويرون بأعينهم
ما جرى يومذاك ويتحدثون بما وقع ، ويقصون خبر ما

رأوا ، فيقول رجل من بنى غفار إنه أقبل وابن عم له حتى صارا على جبل يشرف بهما على بدر ، وكان الغفاريان مشركين * فوقفا هناك ينظران وينتظران على من تدور الدائرة حتى ينهبا مع الناهبين ، وبينما هما كذلك على الجبل إذ دنت منهما سحابة سمعا فيها حممة خيل ، فتلفتا فلم يجدا أثرا لخيل من قريب أو بعيد ، ولكن الحممة لا تزال تصدر من السحابة ، ونظر كل منهما إلى الآخر فرأى كل فى صاحبه مثل الذى فى نفسه ، وعجبا أن يكون خيل وفرسان حيث يقفان ، ولم يكن ثم خيل أو فرسان حيث يقفان * * وعجبا أكثر أن يكون الخيل والفرسان فى السحابة ، وما عهد أحد قط مثل هذا الأمر ، واستبد بهما الفرع اذ سمعا من يصيح بجواده : « أقدم حيزوم » . وكان الناس قد عرفوا أن فرس جبريل عليه السلام هو « حيزوم » ، فتسمر الرجلان فى مكانهما * .

فأما أحد ابنى العم فقد اضطرب فؤاده ، وانخلع قلبه ولم يحتمل ما يجرى حوله وإن كان لا يراه ولكن تسمعه اذناه ، فخر فى مكانه كان قد أخذته صاعقة ، وأما محدثنا الغفارى (وهو ابن العم الآخر) فقد كاد أن يهلك ، ولكنه تماسك وكتب الله له الحياة ليقص على الناس الخبر العجيب ، وليتحدث بما صافح سمعه ورأته عيناه * .

ويحدث آخر - وكان مسلما - بأنه راح يتبع مشركا يوم بدر ليضربه ، فاذا به يرى رأس المشرك تقع قبل أن يبلغها سيف المؤمن * * .

وما كان الذى رآه الغفاريان المشركان والمحارب المؤمن سوى الملائكة تحارب مع جند الله * * * وآية من عند الله * وفى هذا جاء قوله جل من قائل :

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا فَمَا أَتَىٰ آلَ الْكَافِرِينَ إِلَّا أَنْفُورٌ لَّامٍ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُتَّقُونَ ﴿١٨٠﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُؤْمِنِينَ

أَلَنْ يَكُونَنَّ لَكُمْ يَوْمَ تَكُونُ الْمَلَائِكَةُ سَوَابِقَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٨١﴾ بَلَىٰ إِنَّ تَصِيرُوا

وَتَقُولُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ هَذَا لَكُنَّا عَمِلَ الْفَوَاحِشَ مَا نَكْرَهُه وَكُنَّا كَارِثِينَ ﴿١٨٢﴾

وما حاربته الملائكة إلا في بدر *

وشارك فرات بين حيان العجلى في هذا اليوم **

شارك وهو على كفره في صفوف المشركين ، ولم
لا يشارك وهو على مثل ما هم عليه من الكفر والضلالة ، ولم
يقف فرات بن حيان مثل ما وقف الغفارى وابن عم له ليرى
لن تكون الغلبة فينطلق الى المغلوب يذهب ويسلب وما من
أحد يرده ، ولكنه كان كبقية قریش يخارب المسلمين
ويقاتلهم في بدر عسى أن يكون النصر لأعوان الشيطان
الذين ألبسوا الحق بالباطل *

ورأى فرات بن حيان الموت بعينى رأسه *

ورأى كل فريق يستبسل غير هياب ولا وجل *

وانطلق فرات بن حيان يضرب ويضرب *

أبصر فرات هؤلاء وهؤلاء ، ورأى الموت يلسع فى ظبا
سيوفهم وقسيهم ، وشاهد طواغيت الشرك من قریش يخرون
صرعى فى موطىء الأقدام ، وتطوهم الخيل بسنابكها ، وقد
عفرت وجوههم بالدماء والتراب *

وأصاب الجراح فرات بن حيان ، ففر على قدميه وهو
يقول فيما بينه وبين نفسه : « ما رأيت كاليوم أمرا أنكد!! »

قال هذا لنفسه دون أن يسمعه أحد ، ولم يخبر هو
بذلك أحدا ما فى قومه ولا فى أيامه القادمة ، ولعل هذا القول
كان لسان كفار قریش أجمعين *** من خرج منهم ومن لم
يسمعه الخروج ، ولعله أيضا كان لسان حال المنافقين ويهود
المدينة الذين قال قائلهم وقد بلغه - فيما بعد - مصرع وجوه
قریش وقتل شيوخهم وسراتهم :

« أترون محمدا قد قتلهم وهم أشراف العرب وملوك
الناس !! والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فلبطن
الأرض خير من ظهرها » *

ويقوى ساعد المسلمين بيوم بدر •

وتدرك قريش مدى القوة التي عليها المسلمون فتخاف
من محمد عليه الصلاة والسلام ومن أصحابه ، وما عهدها
نفسها إلا صاحبة الأمر والنهي ، وما عهدها العرب إلا كذلك ،
وتنظر قريش فتري أن رسول الله ﷺ قد وادع أهل الساحل
ووادعوه ، وأن كثيرا منهم قد دخلوا معه في عقد ••

وتجتمع طائفة من ملأ قريش وسراتهم يتحدثون في هذا
الخطر الجديد الذي يتهدهم ، ويصارح بعضهم بعضا بما هم
فيه من هم ، وما يزعجهم من غم ، فيكون قولهم :

« والله ما ندرى ما نفعل بأصحاب محمد •

« إنهم لا يبرحون الساحل ••• ولا ندرى أين نسلك •

« والله لئن آقمنا نأكل رؤوس أموالنا ونحن في دارنا

هذه فما لنا بها نفعة •

« إنما نزلناها على التجارة : إلى الشام في الصيف ، وإلى

الحبش واليمن في الشتاء » •

ويطول الحديث بينهم وتتشعب مسالكه ، وهو حديث

كله مرارة وحزن وألم ومذلة •

إنهم يخشون على تجارتهم أن يعرض لها المسلمون ولا بد

أن يعرضوا لها وهي في طريقها إلى الشام وغيره ، أو وهي

قافلة إلى مكة •

وإذ ذاك يبرز رجل في المجلس ويقول لمن يزمع أن يقود

الغير : « ••• نكب عن الساحل وخذ طريق العراق » •

ولكن هذا الرجل الآخر يجيبه انه لا يعرف هذا الطريق

••• وكان حقا ما قاله فلم تكن له خبرة ولا دراية به • بل

ان القوم آجمعين لم يكن لهم به ألفة ، ولم يكونوا يسلكونه !
... ولماذا يسلكونه وطريق الشام أكثر أمنا ، وأيسر مشقة ،
وأقصر طولاً ، وقد ألفوه على كر السنين !!

وهبهم أزمعوا السير فيه الآن خوفاً من المسلمين وممن
دخل في عهدهم ووادعهم فلا بد لهم من دليل عليهم بدروب
الطريق وسبله .

ولكن أين الدليل الذى يعرف هذا الطريق ؟ ... وأين
ذاك الذى يعرف أين تكون مياهه وهى قليلة بل نادرة .
وينظر بعضهم إلى بعض فى صمت وفى حيرة . غير أنه يعلو
— فى هذا الجمع الذين اشتدت بهم الحيرة وتملكهم الجزع —
صوت رجل فيهم يقول لهم :

« ألا أدلكم على أخبر دليل بهذه الطريق ؟ ... »

« ألا أدلكم على رجل يسلكها وهو مغمض العينين ؟ ... »

وتتجه الأبصار الى قائل هذا الكلام المتحدث ، وترهف
الأسماع لتعلم من يكون هذا الدليل .

إنهم إن يعرفوه جاؤوه ... وإن جاؤوه أغروه بكل
غال وثمانين .

ويأتى اليهم صوت صاحبهم يقول :

« فرات بن حيان العجلى البكرى ... قد دوح هذه
الطريق وسلكتها » .

ويقبل الرهط من ملاء قريش الذين يضمهم هذا المجلس
بعضهم على بعض ، ويطرق آذانهم اسم « فرات بن حيان »
فيصيح كبيرهم :

« هل قلت يا بن أخى فرات بن حيان ؟ ... »

« لئن كنت قلتة فذلك هو ... فواللات والعزى إنه لها ... والله ما نأمن طريق الشام على تجارتنا التي فيها كل أموالنا ، وما نأمن أن يعرض لها المسلمون فنكون سخريه العرب أجمعين »

« إنه إن يهدنا فرات بن حيان طريق العراق فواللات والعزى ليكون لنا على محمد وأصحابه النصر ... الا فابحث إليه ياتنا وانقده ما شاء من اجر حتى تكون اليد العليا للاتنا ونكون أشد قوة ، وأعلى مكانا ، وأهيب في نفوس العرب ، وتكون العزة يومذاك للاتنا وليس الى ما يدعو اليه محمد بن عبد الله من دونهما من رب يزعم أن له العزة والملكوت ؟ »

وسرى عن القوم ، وأقبل بعضهم على بعض فرحين ... وعادوا الى لهوهم وسمرمهم وشرابهم مطمئين ناعمى البال ... ونادوا قيانهم وجواريتهم فرحن يرقصن ويضربن بالدفوف ، ويسمعهن من الأغاني الفجة المبتدلة ما يبعث فيهم النشوة والطرب *

ثم أرسلوا إلى فرات بن حيان الذي لم يكن يجهل ما هم فيه من فزع وهلع مخافة أن يتصدى المسلمون لهم ولتجارتهم وهى فى طريقها الذى اعتادت أن تسلكه إلى الشام حتى إلى أمد قريب ... إلى يوم بدر وما يوم بدر ببعيد *

ويدرك فرات بن حيان أن قريشا محقة فى خوفها ، فما طريق الشام بمأمون بعد أن سيطر عليه محمد وأصحابه الذين صارت لهم اليد العليا على الناحية ، لا سيما بعد أن وادعهم أهل الساحل *

ويخرج صفوان بن أمية إلى فرات بن حيان ..

وصفوان معدود فى الذروة من قريش ، وقمة من قممها الشامخة ، إذا تكلم أنصتت إليه الأذان وأشرأت اليه الأعناق ، وكان الكل له سميعة مجيبا ، وإنهم لينادونه بسداد البطحاء تعظيما لقدره ، وعرفانا بمكانته *

وكان أبوه قد هلك فى بدر وغفر التراب جبينه وكان
مثواه القليب ، ويا ذل من دفن فى القليب بعد أن كان يسير
فى الأرض مرحا وكأنها ملك يمينه بمن عليها ، ويخطر
مغتالا فيفسح الناس له الطريق .

كان فى صفوان فى هذه اللحظة جرحان ، أما أحدهما
فحزنه على أبيه ، وأما الآخر فجرح آدمى كرامته
وترى قريش ان صفوان بهذين الجرحين هو خير من ترسله
فى هذه المهمة إلى فرات بن حيان ، فيجيؤه ويقول له :
« يا ابن أخى . . إنا نريد الشام ، ولكن قد عور محمد متجربنا
علينا ، وهو على طريقنا وإنا نريد طريق العراق
وأنت به الخبير يا ابن حيان وليس أخبر منك به . . . فامض
بعيرنا فيه ، فواللات والعزى لتكونن لك يد لن ننساها أبدا ،
ولك منا ما تشاء . . » .

ولما فرغ صفوان بن أمية من كلامه قال له فرات : « إن
أسلك بكم يا صفوان بن أمية طريق العراق أسلك دربا لم
يسلكه أحد من أصحاب محمد . . ولكنه يا صفوان درب كله
أرض نجد وفياف ، والماء فيها نادر » .

ويسمع صفوان ما قاله العجلى فلا ينكره ، ولكنه يعرف
أنه ارتضى ان يكون دليل غير قريش فى طريقها إلى الشام .
وإذن فليحمل صفوان هذه البشرى إلى رهطه . . .
وتغمز نفسه الفرحة فيقول للدليل الذى يعرف الصحراء وهو
مغمض العينين : « هذه حاجتى يا ابن حيان . . أما الفيافى
فنحن شاتون ، وحاجتنا إلى الماء اليوم قليل . » .



ويعود صفوان بن أمية إلى الملاء من قريش بوجه مشرق ،
وتكاد قدماه أن تتعثرا من فرحته وقد دبّت النشوة فى
أوصاله من غير شرب ، ويحدثهم بما كان من أمره مع صاحبه
العجلى ، فتطمئن نفوسهم إلى ما سوف يكون .

أليس فرات بن حيان دليهم ؟

اليس هو الذى يعرف كل شبر فى الصحراء ؟

اليس هو الخبير بمسالكها ومفاوزها ؟

تم اليس فى سلوك قريش هذا الطريق ما يفيظ المسلمين ، ويكتب السلامة لعير قريش وفيها تجارتهم وآموالهم ؟

وتخرج العير ، ويخرج معها الرجال وقد اطمأنوا إلى الطريق ، وظنوا انهم محروا بالمسلمين خدعهم وسخروا منهم ، ويمكرون ، ويمكر الله ، والله خير الماكرين .

وتنطلق قافلة قريش فى السير بما حملت . . . وهبل حملت الا شيئا كثيرا وكبيرا وغاليا ؟ وكيف لا يكون ما حملت عظيما وهذه احدى رحلتى الشتاء والصيف اللتين اعماهم ما تعودان به من ربح عظيم عليهم ، فلم يشكروا نعمة الله عليهم الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف !!

وتمضى القافلة فى السر لا يعلم بالطريق الذى تسلكه إلا قلة من ملأ قريش ، وإلا الصفوة المختارة منهم . . . وتكتم قريش أخبار العير حتى لا يصل إلى محمد عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم ما دبرته قريش وما وافقهم فيه فرات بن حيان . . .

بل لقد كتم صفوان وأصحابه اسم دليهم فرات بن حيان زيادة فى التعمية .

ولكن الله عز وجل يأبى إلا أن يكشف سر ما دبوا ويفضح خفى أمرهم ، حين يعلم بهذا السر واحد لم يكن فى حسبانهم قط أنه مفسد ما اعتزموه ، ذلك هو « سليل بن النعمان بن أسلم » الذى يسميع من « نعيم بن مسعود الأشجعى » (وكان لا يزال على جاهلية قومه) بخروج عير قريش بتجارتهم إلى الشام ، لكن عن غير الطريق الذى ألفوه ، وأعنى طريق العراق .

ويسمع سليط بن النعمان من نعيم بن مسعود الذى
أطلقت الخمر لسانه فصرح بما تكتمه قريش ، وأذاع مكنون
سرهم وما يخفون •

وينطلق سليط إلى رسول الله من ساعته ويفضى اليه
بالخبر • • •

ويرسل النبی سرية يؤمر عليها « زيد بن حارثة » فى
مائة راكب يعترضون العير عند موضع يعرف « بذى القردة »
وتصيب السرية القافلة وما حملت ، كما تأسر الرجال
غير واحد أو اثنين •

ثم تعود السرية إلى المدينة المنورة ومعها ما أصابت ،
ويخمس النبی عليه الصلاة والسلام ما جاءوا به من غنيمة ،
وكان الخمس يومذاك عشرين ألف درهم ، وقسم ما بقى على
زيد ورجاله •

ولقد قيل إن ابن حيان وقع فى الأسر فى ذلك اليوم ،
ولكن هذا مستبعد وأمر بعيد عن الواقع كما سنعرف من
سيرته •

وقيل إنه أسلم يومذاك إذ وقع فى الأسر واذ عرضوا
عليه الاسلام ، وهذا أمر مستبعد أيضا •

على أن الذى لا مراعاة فيه أن غيظ قريش كان عظيما
اذ فشلوا فيما دبروه حتى أنهم سلكوا فى طريقهم الى الشام
طريقا غير الذى كان مألوفاً ، إمعانا فى المكيدة وإحكاما
لحلقاتها ، فاذا بها قد كشفت ، وإذا بكل ما يملكون قد
صار فى يد أعدائهم نهبا مقسما وغنيمة موزعة •

لقد ظنوا أنهم باصطناعهم فرات بن حيان دليلا لهم
يضمنون نجاتهم غيرهم وسلامة تجارتهم وحفظ أموالهم •
وأنهم يغبطون المسلمين بما دبروا ، ويميتونهم بكيدهم •
لكن جاءهم الخوف والفشل من حيث كانوا يتوقعون السلامة
والنجاح •

فلا غيرهم نجت * * ولا أموالهم سلمت * * ولا تجارتهم
 عادت عليهم بما كانوا يؤملون ، ولا هم غاظوا المسلمين ،
 ولا كادوهم ، وما كيد الكافرين إلا فى ضلال ، وما جنوا من
 كل ذلك إلا السخرية بهم ، والشماتة فيهم ، والمهانة بين
 أصحابهم وعبيدهم * .

وقال الشاعر يومئذ فيهم وفى فرات بن حيان :

دعوا فلجات الشام قد حال دونها
 رجال كأفواه المخاض الأوارك
 بأيدي رجال قد هاجروا نحو ربهم
 وأنصاره حقا وأيدي الملائك
 فان نلق فى تطوافنا والتماسنا
 فرات بن حيان يكن رهط هالك

هكذا كان فرات العجلى فى نظر الناس ، إنه الرجل
 الذى ان نجح فى قيادة غير قريش كان ذلك ضربة للمسلمين *
 ثم يكون الخندق على فرات ضخما * * * ولكنه ينجو فى
 يوم « ذى القردة » اذ يفر مع الذين فروا من رجال القافلة ،
 وينطلق إلى قريش مع الهاربين يحدث بما جرى ، ولكن لا لوم
 ولا تشريب عليه فما هو بالذى أفشى السر ، ولا هو بالذى
 خان ما أوتمن عليه ، فان ذلك يفقده الأجر وما أجره بالقليل
 من قريش يوم تنجح القافلة * .

عاد فرات إلى قريش وإلى حيث آلف من المواضع يمارس
 الحياة الجاهلية كما يمارسها أصحابها ، فيميل حيث يميلون ،
 ويعبد من دون الله ما يعبدون ، ويتخذ من دون الله آلهة لعلمهم
 ينتصرون وما ينتصرون * .

فان سأل سائل وما الدليل على أنه ظل بين صفوف
 المشركين بعد ذى القردة ؟ جاء الخبر يوم الخندق * * يوم
 ساء ما يدبرون ، فقد خرج فى هذا اليوم رهط من يهود المدينة

إلى مكة يدعون قريشا ليكونوا وإياهم يدا واحدة يحاربون
النبي ﷺ ، ويتعاهدون ألا يرجعوا حتى يكونوا قد استأصلوا
هذا الدين وشأفة المسلمين •

ولقيت دعوة اليهود استجابة طيبة من نفوس القرشيين •
وتجمعت قوى الشر وطواغيته يريدون أن يطفئوا نور
الله بأفواههم وما علموا أنهم غير بالغيه ، وأن الله متم نوره
ولو كره الكافرون • وإن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين ،
وأنه تبارك اسمه وجل جلاله جامع المنافقين والكافرين
والضالين في جهنم جميعا •

وراحت قريش تتحسس الأخبار • • أخبار المصطفى
ﷺ وأصحابه •

ومضت العيون لترى ماذا يكون من أمر المسلمين في
مواجهة أحزاب الكفر ودعاة الشرك وأهل الضلالة ورهط
النفاق •

ويهول حزب الشيطان ما يرى من أمر لم يخطر على بال
أحد قط • • • ألا وهو «الخنديق» الذي حفره المسلمون ، وعمل
فيه معهم نبي الأمة ترغيبا في الأجر والثواب ، وكان المؤمنون
والذين آمنوا بالله ورسوله يدا واحدة ، وهم الذين إذا كانوا
معه في أمر جامع لم يذهبوا في شيء - ولو دق - إلا استأذنوه
فيه •

ودارت الدائرة على أعداء الرحمن يوم الخندق ، ووقع
في أسر المسلمين بعض الذين عجزوا عن الهروب • •
وكان في هذا النفر « فرات بن حيان العجلي » ، وكان
عينا للمشركين •

وأمر النبي بإيقاع الجزاء على الرهط الذين أرادوا
الاضرار بالمسلمين ، ومر بالأسرى رجل من الأنصار كان
حليفا لفرات بن حيان الذي لم يكذب يراه حتى صاح به « يا بن
أخي • • اننى مسلم » •

فمضى الأنصارى لتوه الى الشفييع الهادى عليه افضل.
الصلاة وأزكى التسليم وقال له « يا رسول الله ، ان فرات بن.
حيان يقول إنه مسلم » .

وقبل رسول الرحمة ونبى الأمة ما قاله الأنصارى ،
وحقن دم ابن حيان ، ثم مَنَّ عليه بالعتق وأطلقه حرا وقال .
« إن فيكم رجلا نكلهم إلى إيمانهم . . . منهم فرات بن حيان » .

هكذا كان إسلام فرات بن حيان يوم الخندق .

وصدق فرات فى اسلامه . . . وتفقه فى الدين ولم يحد
عن محبته .

وعرف البشير ذلك فيه فأدناه اليه ، وأقطعهم أرضا فى
اليمامة تغل أربعة آلاف درهم ، ثم بعثه يوم ارتد الذين فى .
قلوبهم مرض إلى « ثماله بن أثال » الذى كان مقيما باليمامة .
يدعوه لقتال مسيلمة الكذاب وقتله .

وأطاع ثماله بن أثال .

وهكذا صار فرات بن حيان - الذى كان عين المشركين .
بالأمس - رسول رسول الله ﷺ يوم أطلت الفتنة ليخمدوها
بطريق أو بآخر .

وألقي الله الإيمان فى قلب فرات بن حيان . . . فازهر
إيمانه وآينع ، وثبت على الحق اذ هداه الله إلى الطريق
القويم ، فسلك المسلك المستقيم ، وتمسك بالهدى والدين .

رَبَّنَا لَا تُفِضْ لَنَا بَعْدَ هَذَا ظَنًّا وَأَوْهَبْ لَنَا مِنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٥١﴾ رَبَّنَا

إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ يُؤْمَرُ الْغَيْبُ فَاِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِقُ الْيَعَادَ ﴿٥٢﴾

صدق الله العظيم .

أَبُو الرُّومِ بْنِ عُمَيْرٍ

حامل الراية يوم اليرموك

نحن الآن مع صحابي جليل جمع بين عرقين كلاهما كريم ، فأبوه عربى من صميم العرب ، وأما أمه فرومية المولد .

وكان أخوه أول داعية فى الاسلام وهو مصعب بن عمير ، الذى قيل إنه كان « حسن اللمة ، عظيم النعمة » .

وأما ذلك الصحابى المدجن فهو أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد الدار ، الذى ينتهى نسبه الأعلى إلى جده قصي ابن كلاب ، ومن ثم فهو قرشي عبادى .

وكان قصي قمة من قمم العرب فى الجاهلية ، وكان يعد نفسه ويعده الكثيرون - عن حق - أولى بالكعبة وبأمرها من كل أحد سواه ، فخلوا بينه وبينها ، وارتضاه منافسوه راعيا لبیت الله ، وما كانوا يرتضونه لولا شرف أرومته ، وعلو منزلته ، ورفعة مكانته ، وقد قيل فيه إنه أول « بنى كعب ابن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه » ، كما كانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء ، فأعظم بما جمع ، وإنه لجدير بكل ذلك .

إذا كان هذا شأن قصي بن كلاب جد أبى الروم الأعلى فإن أباه عميرا كان من الثروة ثراء انعكس فى ولده مصعب حتى ليقول نبي الرحمة فيه :

« ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أنعم نعمة من مصعب بن

عمير »

وصدق الصادق المصدوق فيما قال ، وهو الذى لم يكن
يقول إلا حقا .

فى هذه النعمة الوارفة الظلال والثراء الكبير نشأ
صاحبنا الصحابى أبو الروم كما نشأ أخوه مصعب ، يتقلبان
فى مطارف الغنى والجاه ، وإن زاد مصعب عليه فى جاهليته
بفضل جاه أمه وما تغدقه عليه من عظيم ثروتها ومالها .

وأبو الروم ذو قدم راسخة فى الاسلام بمكة ، وانه
لقديم فى الإسلام قدم أخيه مصعب فيه ، رضى الله عنهما .

وكان أبو الروم يدعى فى الجاهلية « عبد مناف » ، فلما
تبرأ من جاهليته ، ونحى عنه مثالبها ، وتخلص من أدرانها ،
وشجب كل صلة له بها زال عنه اسم « عبد مناف » إلى غير
رجعة ليعرف بأبى الروم .

لقد هداه الله إلى الاسلام ، وفتح قلبه للايمان ، فحمدت
عقيدته ، وصار يغشى مجالس النبى المختار فى وقت كان من
يغشاها لا يأمن على نفسه بطش قريش وأذى سفهاؤها وسخرية
الساخرين به ونيلهم منه ، اذ كانت قلوب القوم المشركين
لا تنطوى إلا على حقد لا ينحل ، وسخيمة سوداء .

ولكن آبا الروم كان شديد التمسك بالحنيفية وبطاعة
رسول الله ﷺ ، ومن كان كذلك فقد استمسك بحبل غليظ
من الايمان وبالعروة الوثقى التى لا انفصام لها .

وان طاعته هذه لتحمله على أن يستجيب للرسول حين
أشار على المسلمين أن يهاجر منهم إلى الحبشة من شاء ومن
قدر على الهجرة ، فاستجاب أبو الروم وهاجر مع أخيه مصعب ،
وهكذا شهدت الحبشة التى لا يظلم ملكها أحدا : اثنين من بنى
عبد الدار ، ومن ولد عمير ينزلانها ، وكانا نعم الرجلين .

على أن البعض شك فى أن تكون لأبى الروم هجرة ،
ويشير الواقدى مؤرخ الغزوات إلى هذا رأى بقوله « ليس

متفق على هجرته إلى الحبشة « ، وإذا كان هذا الرهط قد شك في هجرته إلى الحبشة ، فهناك نفر نفى نفيا باتا هذه الهجرة ، وكان شيخهم الهيثم بن عدي •

على أننا نستدل من قراءة السيرة لابن هشام ، حين يذكر أسماء الذين قدم بهم عمرو بن أمية مع جعفر رضى الله عنه ، إذ يدرج فيهم صحابينا آبا الروم ، مما يدل على أنه كان في الهجرة الثانية على الأقل •

إذا تقرر في الآذان أنه هاجر إلى الحبشة — سواء في الهجرة الأولى أو الثانية — فإنه قد قدم إلى المدينة ، ولكن فاته أن يشهد بدرا ، التي إن تأخر عنها فانه لم يتأخر عن يوم أحد بعدها •

أجل ... لم يفته ذلك اليوم الخطير الذي رأى فيه درسا في جدوى الطاعة الواجبة على المسلمين للنبي القائد ، فوعاه وعمل به ... وهو درس في معنى الانصياع لتوجيهات الرسول المصطفى ، الذي لا ينطق بالهوى ، والذي علمه شديد القوى ، وما يتمخض عن طاعته من فلاح ، وإن الشر كل الشر في مخالفته ، وإنه لدرس في وجوب التزام الجندي بطاعة رئيسه حتى لو حرمه ذلك متعا وأسلابا وغنائم جمعة •

وقاتل أبو الروم في يوم أحد قتال الأبطال المغاوير •

وكان أبو الروم إلى جانب أخيه مصعب : حامل لواء المسلمين في أول ذلك اليوم والشهيد الزكي الطاهر •

وكان « شرحبيل العبدري » الصحابي قد شهد استشهاد مصعب ، وكيف بادر أخوه أبو الروم فأخذ اللواء بدلا منه ، ويحدثنا شرحبيل عن هذه اللحظة فيقول :

« حمل مصعب اللواء يوم أحد ، فلما جال المسلمون ثبت به ، فأقبل ابن قميئة — وهو فارس — فضرب يد مصعب

اليمنى فقطعها ، ومصعب يردد « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل » ، ثم أخذ مصعب اللواء بيده اليسرى وحنا عليه فقطع الكافر ابن قميئة يده اليسرى ، فحنا مصعب على اللواء وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول : « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل » ثم حمل عليه الكافر الثالثة واندق الرمح ، ووقع مصعب . . . وسقط اللواء . . . فأخذه « أبو الروم » ، فلم يزل فى يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون .

هذه رواية شاهد عيان صادق حدث بها عما جرى فى هذه اللحظات التى كانت لحظات حاسمة فى تاريخ الاسلام .

وهكذا صار أبو الروم حامل لواء المسلمين يوم أحد . . . وظل حفيظا عليه لم يتركه من يده حتى دخل المدينة المنورة مع كتائب الرحمن وعسكر الإيمان .

وقال « المقداد بن الأسود » إن رسول الله ﷺ « دفع لواء المهاجرين إلى يد أبى الروم العبدى آخر النهار » .

وانها لشهادة يزكى بها أبو الروم : فارسا مغوارا ، وبطلا كميما ، ومجاهدا مظلوما ، رأى بعينى رأسه مقتل أخيه مصعب بن عمير الذى مر به النبى الكريم وهو مسجى فى بردته ، فنعاه شهيدا مبرورا ، ثم أمر به أن يقبر فكانت روحه مع أمثاله فى حواصل طير خضر .

ونزل أبو الروم واثنان آخران مع جثمان الشهيد مصعب فى قبره .

هكذا عاش أبو الروم المجاهد مجاهدا خواص غمرات من أجل الاسلام ، ثم شاء الله أن يكرمه اذ حارب الروم يوم اليرموك فمات هو الآخر كأخيه شهيدا .

فرحم الله أبا الروم فقد جرى حب الاسلام فى نفسه
مجرى الدم فى العروق

ورحم الله أبا الروم مسلما ، مهاجرا ، مجاهدا ، مؤمنا ،
تقيا ، طائعا لله ولرسوله .

وَاللّٰهُ يَدْعُوْا اِلٰى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِيْهِمْ مِّنْ رِّشْقِهِٗٓ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿١٥٥﴾ اَلَّذِيْنَ اَخْسَنَ

الْحَسَنَ وَزَادَهُمْ اِلٰى رَحْمَتِيْ وَرَحْمَتِهِمْ قَوْلًا ذَلٰلَةً اُولٰٓئِكَ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيْهَا خَالِدُونَ ﴿١٥٦﴾

صدق الله العظيم

سعد بن عمرو بن ثقف المعلم الشهيد

هذه صفحات مطوية آن لها أن تنشر من حياة صحابي أنصاري خزرجي ، من بيت جاهد الكثيرون من رجالته وشبابه في دفع غائلة الشرك وفساد المشركين ، واستشهدوا فيما أخذوا به أنفسهم من رفع راية الحق فكانوا من المؤمنين الذين لهم درجات عالية عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ، ذلك هو الصحابي الشهيد :

« سعد بن عمرو بن ثقف بن مالك بن مبدول »

ومبدول هو « عامر بن مالك » من بنى النجار الذين كان يقال لهم في الجاهلية « بنو سدن بن مالك » ، وقد أحصى المقدسي منهم في الاستبصار سبعة عشر رجلا وامرأة ، وما كان فيهم إلا كل ذى تاريخ مشكور ، وجهاد غير منكور ، عرفوا الاسلام وذاقوا حلاوة الايمان ، واستعذبوا ورد الشهادة من أجله وفي سبيله ، فكانوا موضع الإكبار والتعظيم للناس في سيرهم ، والمطالع لأخبارهم ، ويزيدنا إكبارا وتعظيما لهم انه استشهد منهم ثلاثة عشر رجلا ، فكانهم بذلك كانوا يتسابقون الى الموت في سبيل الله ، وتم لهم ما أرادوه ، فربحوا الذكر الكريم في الدنيا ، وكان لهم عند الله عز وجل حسن الثواب ، ذلك انهم كانوا قوما يرجون رحمة ربهم .

أسلم « سعد بن ثقف » مثلما أسلم أكثر أهل يثرب قبل هجرة رسول الله ﷺ يوم عاد النفر اليثريون من الحج

يبشرون بظهور المصطفى عليه الصلاة والسلام، ويتنادون في بلدهم : « يا أهل يثرب ... ان الله قد رضى عنكم ، اذ ظهر النبي الذي تتوعدكم به اليهود ، ... فسارعوا الى الفلاح والنجاح » ، فاستجاب لهم الكثيرون من أهل يثرب عن بقلب مفتوح ونفس راضية ، وأسرعوا الى الإسلام حتى صارت يثرب بالاسلام المدينة المنورة ، وكانت « طيبة » باحتضانها لنبي الهدى ورفاقه المهاجرين .

وكتب الله النجاة في الدنيا لمن أسلموا من أهل يثرب ، وأعد لهم الرحمة في الآخرة فراحوا يبذلون الروح في نصرة نبيه ، وفي تأييد الدين الذي جعل منهم اخوة في الله بعد أن كانوا أعداء ألداء ، يجاهر الواحد منهم الآخر بالكراهية والبغضاء ... أما اليوم فقد صاروا يدا واحدة ، قد نزع الله من قلوبهم كل غل فأقاموا دولة الاسلام معتصمين بحبل الله لم تتفرق كلمتهم ، ذاكرين انهم كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته اخوانا ، بعد أن كانوا على شفا حفرة من النار .



كان من هؤلاء الناجين صاحبنا «سعد بن عمرو بن ثقف».

آمن وصدق ايمانه ... وأسلم وحسن يقينه ... وصحب النبي ، عليه الصلاة والسلام وفاخر بصحبته ، ومن لازم النبي وتبعه بصدق فقد حق له أن يطمع في الجنة ... ألا إن أصحاب الجنة هم الفائزون .

وخضر « سعد بن عمرو بن ثقف » مجالس النبي الشريفة النيرة ، وسمع ما يقول ، ورأى ما يعمل ، فاقتدى به جهد ما أمكنه ، ثم ترجم عن ذلك كله في قيامه خير قيام يعلم الدين من لا يعلمون أمر الدين ، ويفقه فيه من لا يفهمه فينقذ روحه من الهلاك ، حتى استشهد في هذا السبيل فكتبت له الرحمة .

شهد سعد بن عمرو بن ثقف النجاري أياما خطيرة في تاريخ الإسلام ، يوم كان الاسلام غضا طرى العود في المدينة ، يتربص به المنافقون واليهود والمشركون ويدبرون له المكائد ، ولكنه كان قويا قد نصره الله في مواطن كثيرة .

وعرف « سعد بن عمرو بن ثقف » ما كان للمسلمين من أيام عظيمة كيومي بدر وأحد ، ورأى في خاتمة كل منهما ما زاده تمسكا بالاسلام ، وحماسة في نصره ، وطاعة لرسول الله ﷺ .



ثم كان بعد ذلك بقليل ما كان في السنة الرابعة بعد الهجرة ، وعلى رأس بضعة أشهر من أحد حين بعث الهادي البشير بمثا عرف ببعث « بشر معونة » استجابة لأبي براء : عامر بن مالك ملاعب الأسنة ، الذي قدم على النبي وجرى بينهما حديث عرض فيه النبي على أبي براء الاسلام . « فلم يسلم ، ولم يبعد عنه » ، كما قال مؤرخو السيرة ، ولكنه قال لنبي الرحمة : « لو بعثت يا محمد رجلا من أصحابك الى قومي فدعوهم الى أمرك ، رجوت أن يستجيبوا لك » .

ثم أكد له أنه لهؤلاء الصحابة جار .

وبعث المصطفى برجال من أكرم رجاله ومن خيار المسلمين ، وأغدوا السير يرجون أن يهدي الله بهم القوم الظالمين فينعمون بنعمة الاسلام حين يعرفونهم به ويفقهونهم فيه فيندوون حلاوته .

وكان في القوم المبعوثين الصالحين « سعد بن عمرو بن ثقف » ومعه ابنه « الطقييل بن سعد » . وكان معهما ابن أخيه « سهيل بن عامر بن عمرو » . ثلاثة من أكرم الناس ومن بيت واحد .

فإن زدت في الفضل فقد كان معهم من بنى مبذول :
الصحابي التجارى « كعب بن زيد » *

وكان القوم المؤمنون أربعين * * * كلهم أهل ايمان وبر
وتقوى ، ورجال رحمة لا نقمة ، وكلهم حفاظ ومحدثون *

حتى اذا نزلوا بئر معونة (وهى أرض بنى عامر وحره
بنى سليم) * كان ما كان من وثوب الكفار على المؤمنين ،
وفتكة الشرك بالإيمان ، وأسفرت الخيانة عن وجهها الكالح
فأخذت الأربعين قارئاً من حيث لا يحتسبون ، وهل كان لهم
أن يروا خيانة وغدرا بهم وقد جاءوا هداة لا محاربين ؟

وهل كان لهم أن يظنوا إلا خيراً وسلامة ، وعندهم أمان
وجوار من أبى عامر ملاعب الأسنة ، وهو من هو فى الناس
من قومه يومذاك ؟؟

لكن جرى الذى لم يكن فى الحسابان من قريب ولا من
بعيد *

واستشهد البعث المؤمن سوى نفر حدثوا بما كان ،
ويا قبح ما كان من أعداء الرحمن وأعوان الشيطان ، لعنهم
الله بكفرهم وأعد لهم سعيراً *

وكان ممن استشهد فى هذا اليوم صاحبنا الصحابى
سعد بن عمرو بن ثقف وابنه الطفيل الذى شهد أحدا ، وابن
أخيه سهل بن عامر بن عمرو بن ثقف *

وجاء الناعى الى النبى عليه الصلاة والسلام فكره ما كان
من الخيانة والغدر ، وحزن لما جرى ، والله لا يحب الفادرين
ولا يهدى كيد الخائنين *

إنه إن يحزن فلثة من أكرم الناس وأحبهم الى المولى
عز وجل ، كانوا دعاة حق ، وحملة القرآن الكريم ،
لا يرجون غير رحمة ربهم *

لقد استشهد رجال البعث الشريف ولكنهم فازوا برضاء
الله ورحمته •

فسقيا لهم بررة أطهارا ، ورفاقا مؤمنين ، وتبا للظالمين
فمأواهم النار خالدين فيها أبدا ، وبئس المأوى الذى سعوا
إليه بأرجلهم •

لئن كان الموت حقا على الجميع فان لهؤلاء الشهداء
أجرا عظيما •

كُلُّ شَيْءٍ فَاقَةُ الْمَوْتِ وَنَمَاتُوا فَوَنَ الْجُودِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَنْ نَجَّحَ عَنِ النَّارِ فَخَلَّ
الْجَنَّةَ فَقَدْ قَازَ وَمَا الْحَيَاةُ إِلَّا نَيْلٌ الْأَمْعَالِ الْعُزُورِ ﴿١٥٦﴾

صدق الله العظيم

أبو وائل : شقيقُ بن سلمة الراعي المردى

نحن الآن مع صحابي كان غلاما صغيرا قد جاوز العاشرة
بقليل حين بعث الله رسوله المجتبي صلوات الله وسلامه عليه
ذلك هو :

أبو وائل شقيق بن سلمة

كان من أهل البادية . . . وشب كما يشب غلمانها قويا
مفتول الساعدين ، مفطورا على البأس ، شديد البنية ، قد
لوحت شمس الصحراء ، وما شمسها إلا حمام العرب .

كان الفتى أبو وائل يرعى الابل والغنم ، فيخرج كل
صباح بابله وغنمه ، ترعى حيث الربيع ، وحيث العشب
والماء هنا وهناك . وكان يحدو لها حذاء تطرب له . . .
والإبل يطربها الحذاء وتحن إليه .

ولقد ألف الابل صاحبها وألفها صاحبنا أبو وائل
الغلام ، فهما يتبادلان الحب والألفة ، فكان يسكن إليها
وتسكن هي إليه .

كان أبو وائل على مذهب أهل الجاهلية حين قدر الله له
— وهو في ابله يرعاها — أن يلقي رسول الله ﷺ ، وكان
صاحبنا يومذاك غلاما حدثا لم يطر عذاره .

وكان أبو وائل (واسمه شقيق بن سلمة) حتى هذه اللحظة - مثله في كل لحظة من أمسه وما قبله - منصرفا الى إبله ، مشبيب لها بمزمارة حين مر به ركب فيه رجل كان هو النبي عليه الصلاة والسلام ولكنه لم يعرفه ، وكيف له أن يعرفه وهو في البادية وفي هذه السن الصغيرة ؟

وأحس أبو وائل احساسا غريبا طيبا ازاء هذا الرجل الذي رأى فيه أشياء ليست في غيره من الرجال ، إذ هي أحسن مما عند غيره ، وتوحي بأمور تطمئن لها النفس .

وكان حقا ما أحسه فقد خلف هذا الرجل الذي رآه أبو وائل لأول مرة في حياته ذكرى لم تطمسها الايام من ذاكرته رغم الأحداث الكثيرة التي طمستها ، والتي ربما كان بعضها جسيما ، ولكنها لم تبلغ من الجسامة مبلغ هذا الحدث الفريد في حياته ، وإنه هو نفسه ليشير إلى ذلك فيقول عن أوائل ذلك اليوم :

« كنت في ابلى أرعاها ، فمر بي ركب فنفرت ابلى .
« فقال رجل من القوم لهم : أنفرتم عن الغلام إبله ؟ !
ردوها عليه كما أنفرتموها » ، فردوها .

ويتابع أبو وائل روايته لبقية الخبر فيقول :
« فلما رأيت ذلك قلت لرجل منهم : من الذي قال ردوا على الغلام إبله ؟ » فقال الرجل لي : « هذا رسول الله ﷺ » .
بهذا حدث شقيق بن سلمة المعروف بأبي وائل * حدث بالرحمة يجرى بها لسان نبي الرحمة وشفيع الأمة * .
ثم أسلم أبو وائل * * * وإن كنا لا نعرف متى كان اسلامه .

ولكن التاريخ يقول إنه هاجر بعد النبي عليه الصلاة والسلام ، وإن كان ذلك لا يساعدنا على تحديد وقت اسلامه ،

• • • غير أننا نراه رجلا صادق الايمان ، فلقد حدث حديثا يدل على امتثاله لأوامر النبي ونواهيهِ اذ قال :

« أتانا مصدق رسول الله ﷺ وكان يأخذ ناقة من كل أربعين ناقة • فأتيته بكبش وقلت له خذ هذا صدقة •
« فقال المصدق : ليس فى هذا صدقة » •

هذا ما قاله أبو وائل فى شأن الصدقة • • • لم يجادل فيما لا جدال فيه ، وما يجادل فى ذلك الا من كان فى قلبه ريبة ومن ليس بصديق فى إسلامه •

لم يتهرب أبو وائل من الصدقة ، بل قدم ما كان يرام ويظنه يصح فى الاسلام • ويظنه وافيا بها ، • • • وإنما الأعمال بالنيات •



هكذا كان صاحبنا أبو وائل ، ولقد قسم حياته قسمين : اذا لم تكن حرب ولا غزو ولا جهاد فأنت واجد اياه فى خص من قصب يسكنه هو ودابته •

واذا كان اليوم يوم جهاد فما أيسر عليه أن ينقض هذا الخص ثم يخرج غازيا فى سبيل الله وفى سبيل الحق • • • فاذا عاد من الغزو أعاد خصه كما كان •

وهكذا كان أبو وائل • • • تعرف أين تلتمسه فى الحرب والسلم على السواء دون أن يجهدك البحث عنه • • ولا يعوزك الأمر أن تسأل عنه فموضعه دائما على أطراف أرض تلتقى فيها البادية بالحضر •



وتمضى الأيام بأبى وائل المسلم ، ثم تكون وقعة القادسية ، ويكون له فيها صولة وجولة • • وإنه ليصف شدة المسلمين على أعداء الله فيقول :

« حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد
فهزمهم الله »

« ولقد رأيتني أشير الى أسوار منهم فجاء إلى وعليه
السلح التام فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه »
وهكذا بث الله الذعر فى قلوب أهل الكفر خشية من
المسلمين حتى أن الواحد منهم ليحمله فزعه من المؤمنين
ألا يدفع الموت عن نفسه ولو فرارا »



وقد أورد الطبرى فى تاريخه الكبير كلاما حدث به غير
واحد عن نزول سعد بن أبى وقاص القادسية يوم خرج
المسلمون لفتحها فدكوا عرش كسرى ، وأزالوا دولة
الطاغوت ، ومحقوا الشرك ، ونعرف من هذا الحديث ان
صاحبنا ولد قبل البعثة الشريفة * ولكن متى كان ذلك * ؟
ذلك ما لم يصرح به فى هذا النص ، فلقد قال :

« جاء سعد ومعه الناس ونزل القادسية »

« ولا أدرى لعلنا لا نزيد عن سبعة آلاف أو نحو ذلك »

« وكان المشركون نحو ثلاثين ألفا أو نحو ذلك فقالوا لنا :
لا حول لكم ولا قوة ولا سلاح !! ماذا جاء بكم * ؟ ارجعوا »
فقلنا لهم : « لا نرجع ولا نحن براجعين ، فكان المشركون
يضحكون من نبينا ويقولون « دول !! دول * !! » وهى
بلسانهم « مغزل » ، يشبهون نبينا بالمغازل ، فلما آيينا أن
نرجع قالوا : ابعثوا إلينا رجلا منكم عاقلا يبين لنا ما جاء
بكم » فقال المغيرة بن شعبة « أنا لهم !! » *

فعبر إليهم المغيرة فقعدهم مع رستم على السرير ، فنخروا
وصاحوا * * * ثم سأله رستم : ماذا جاء بكم ؟ فقال المغيرة بن
شعبة *

إننا كنا قوما فى شر ضلالة فبعث الله فينا نبيا ، فهدانا
الله به ، ورزقنا على يديه ، وكان مما رزقنا حبة تنبت بهذا

البلد ... فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا
عن هذه ... أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحبة» .

فقال رستم « اذن نقتلكم » .

فقال له المغيرة : إن قتلتمونا دخلنا الجنة ... وإن
قتلناكم دخلتم النار ، أو أديتم الجزية » .

ويكمل الخبر صاحبنا الضحاي أبو وائل : شقيق
بن سلمة ، فيقول : « ... فلما قال المغيرة : أديتم الجزية ،
نخر الفرس مرة أخرى واستبد بهم الغضب ودفعتهم الحماقة
لأن يصيحوا قائلين : « لا صلح بيننا وبينكم » .

فقال المغيرة : « هل تعبرون إلينا أو نعبر نحن إليكم » .
فاستأخر المسلمون حتى عبر الفرس فحملوا عليهم
فهزموهم ! .

هكذا روى أبو وائل خبر المقدمات التي سبقت الواقعة ،
وإنه لشاهد عيان صادق " وكان ذلك سنة أربع عشرة للهجرة .

وكان أبو وائل قد أكتمل له يومذاك من شبابه وسنه -
وإن كان غضا - ما آتاح له فرصة المشاركة في هذه الغزوة ،
فترك لنا هذا الوصف الرائع الدقيق الذي قل أن نجده عند
غيره على هذه الصورة .

ولو نظرت في هذا الخبر الذي قصه أبو وائل ، ولم
تعلم بقائله لقلت : « ما يقول هذا الكلام إلا رجل كان مطلعا
على ما يجري يومذاك ، ولا يعرف ما اطلع عليه إلا الاقلون ! »

وهكذا كان ابن البادية وراعى الابل المهدي مصدرا من
مصادر تاريخ هذه الفترة الحرجة من الفتوحات الاسلامية
المجيدة .

وكان صاحبنا صادقا فيما يرويه ، فقد ساءهم بنفسه
فى هذه الوقعة العظيمة غير عابىء أن تكون فيها نهايته .
ولا يضيره ان يموت فيها لانه ان مات فقد مات شهيدا .



وتعال نسأله كيف كانت المعركة يا أبا وائل ؟ . وماذا
كان من شأن المسلمين يومذاك ؟ ، فيسمعنا العجب العجيب
الذى رآه بعينى رأسه ، وهو يحدثنا - وقد التزم الحق - عن
حماسة عسكر التوحيد وأهل الإيمان ، وكيف كان بلاؤهم
وصدق إسلامهم الذى لا ريب فيه . . فرضى الله عنهم جميعا
سواء من ظل حيا بعد هذا اليوم أو من مضى شهيدا ، فقد
اصطفى الله لهم الدين القيم فأقسموا ألا يموتوا إلا مسلمين .



وتعال نستمع الى أبى وائل وهو يقول : « اقتحمنا
القادسية صدر النهار فتراجعنا وقد أتت الصلاة وأصيب
المؤذن ، فتشاحن الناس فى الأذان حتى كادوا أن يحتربوا
بالسيوف ، فأقرع سعد بن أبى وقاص ، فخرج سهم رجل ،
فأذن الرجل » .

هكذا كانوا يتسابقون ويتنافسون أيهم يكون المؤذن
للمصلاة فيحظى بالشرف العظيم . . . وكانوا يرون فى قيام
الواحد منهم بالأذان فخرا كفخرهم بالجهاد .

وصدقوا فيما كانوا يرون من أن الأذان خير وبركة وأن
بركته تعم ، وتكون خيرا لمن يلبي نداء المؤذن خاشعا مسرعا
لا تلهيه تجارة ولا بيع عن صلاته . .



هذه صورة من حياة أبى وائل : شقيق بن سلمة الذى أدرك النبى عليه الصلاة والسلام ، والذى كان يعرف بأنه صاحب عبد الله بن مسعود اذ أكثر من الرواية عنه ، وكان ابن مسعود مكثرا فى الرواية الصادقة ، فأكثر عنه أبو وائل ، وحدث بما سمع حتى كثر رواته والآخذون عنه ، ثم قدر له أن يشهد «صفين» مع الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ، فأبلى احسن البلاء ، وحمد له أصحابه فتكاته ، وخرج من المعركة سليما ليمتد به العمر طويلا ، مما حصل البتس على ان يذهبوا بعيدا فيما قالوه من انه مات فى اخر السرى الاول للهجرة ، وما نحسب هذا إلا من قبيل المبالغة سى الاعجاب به -

على انه ايا كانت سنة وفاته فقد كان أبو وائل بدويا قبيحا ، يالف حياة الصحراء ويؤثرها على حياة المدينة اذا لم تكن حرب ، فان كانت حرب ضد الكفر أو ضد ما يراه ظلما خلى المكان الذى يستروحه وخاض غمار القتال ، وقاتل أروع قتال لا ينكره عليه خاصة الناس ولا عامتهم ، بل يشهدون له بأنه الباسل المقدم ، والفاتك الثابت الجنان .

ولما رفع الله نبيه اليه وكانت حروب بعده كان أبو وائل من أوائل المجاهدين الذين يساهمون فيها ، ويكون صبرا عند اللقاء .

هكذا كان أبو وائل يعمل للدنيا والآخرة معا ، ويسعده أن يقاتل الكفر إلى جانب النبى ﷺ فى حياته . وينتصر للإسلام بعد رفعه .

وَكَايَ مَنْ يَنْتَهِى قَتْلَ مَعُورٍ يَتَوَكَّرُ كَيْفَ يَرْتَدُّ نَارُهَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا صَعَبُهَا وَمَا

أَسْعَى كَانُوا وَاللَّهُ يُبْهِمُ الْغَيْبِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا

وَأَمْرَنَا فِي آثَرِنَا وَنَحْنُ أَقْدَامُنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ فَتَشْهَدُ اللَّهُ

لِرَبِّهِ الدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُجِيبُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٢﴾

صدق الله العظيم

السِّبْرَاءُ بْنُ عَازِبٍ

المجاهد صبياً وكرهلاً

نحن الآن مع صحابي ابن صحابي ، كانت له جولات في الجهاد مأثورة ، وصولات في مغازي الاسلام مشهورة ، وآثار في الدفاع عن الحق غير منكورة ، تجلت جلاء الشمس في رابعة النهار ، فما يجدها إلا من طمس الله بصيرته فيقول منكرا ، ويشهد زورا •

ومع أن أباه كان هو الآخر صحابيا الا أننا لم نسمع له خبرا في المغازي ولا السرايا ، وهذا الأب هو عازب بن الحارث ابن عدي •

وأما ابنه البراء فكنيته « أبو عمارة » ، وكان غلاما غرض الحداثة يوم بدر ، وإن قال البعض إنه يومذاك قد ناهز الادراك وراهم الحلم ، لكن لم يمنعه صغر سنه من أن يكون مؤمنا صادق الإيمان ، ومسلما صحيح الإسلام ، ذا همة عالية ، ونفس سامية تنزع إلى خطير الأمور وجليلها ، ثم إنه كان فوق هذا وذاك من جيل تأدب بأدب النبوة وقبس من نور صاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام لبعض خصالها ، وهو جيل كان آية في كل دهر ، ومنازة لا تنطفئ شعلتها ولا يخبو ضياؤها في كل عصر ، ومثلا يحتذى في كل مصر ، وهو جيل تبوأ عن حق ذروة الشرف ، فكان بنوه خيار الناس •

كان البراء بن عازب يمثل هذا الجيل الذى تشرف عصره به فجاء فى يوم بدر الى رسول الرحمة يسأله ان ياذن له فى الخروج مع جند الإيمان وكتيبة الرحمن ، يقاتل حزب الرجس والشيطان ، ولكن النبى الرحيم رده ردا كريما رقيقا لصغر سنه ، اذ لم يكن قد بلغ يومئذ الخامسة عشرة من عمره .

وماذا يتوقع الناس من غلام فى مثل هذه السن الغضة الا ان يلهو مع اترابه من الصبية الصغار !! والا ان ترتعد غرائصه ويراع اذ يسمع صليل السيوف وقرع الطبول والنفخ فى الابواق !! وإلا أن يفزع اذ يرى القوم يرمون بسهامهم ويقذفون بقسيهم ، فما بالك بأن يكون هذا الصبى فى ميدان اجتمع فيه صناديد قريش وفرسانها ، وما من أحد منهم إلا وهو كمنى مغوار ، ومسرور حرب لا يشق له غبار ، وأخو نزال وقتال وقتال ، يتلمظ تلمظ الأفعى للفتك بالمسلمين .

★★★

كان « البراء بن عازب » رغم صغر سنه يعرف ذلك كله ، لكنه لم يفزع ولم يجزع ، ولا توجس خيفة من أن يخسوس المعركة .

وكان صاحبنا الصغير أبو عمار (وهذه كنيته) يدرك أى معركة يواجهها المسلمون تحت راية القائد الملهم ، فلا يثنيه صغر سنه عن أن يسأل الرسول الكريم - صلوات الله وسلامه عليه - أن يكون واحدا من رجاله فى ساحة القتال .

ويفعل فعله بضعة من أبناء المسلمين الذين قاربوه فى العمر وكلهم أهل إيمان ، وجميعهم صادقون فى إسلامهم وفى سؤالهم .

هذا جيل كان فيه الرسول المعلم والهادى البشير ، وكان هؤلاء أبناء جيل هيهات أن ترى الدنيا له ولهم ندا وضرربا .

أولئك آبائي فجئتنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجمع

ويأتى البراء إلى البشير ﷺ يسأله ويرجو أن يحقق به
سؤاله ، ولكنه يرجع وفى نفسه حسرة لأنه رد عن ساحة
كان يرى الشرف كل الشرف أن يغشاها وأن يكون أحد
رجالها •

ولكن هكذا كانت مشيئة النبی عليه الصلاة والسلام ،
وكان هذا هو رأيه • • وما قضى به النبی فليس لأحد أن يرده
فيما قضى ، فانه يعلم أين يكون الخير • •

فليطع أبو عمارة الرسول القائد بأذن الله • • وانه
ليذكر ذلك فى قابل أيامه فيقول :

« استصغرنى رسول الله ﷺ يوم بدر ، أنا وابن عمر ،
فردنا فلم نشهد بدرا » •

ولا نملك نحن اليوم بعد أربعة عشر قرنا الا أن
نقول له :

لئن رددت يا أبا عمارة عن أن تشهد بدرا فان لك من
أيامك المقبلة ، ومن عمرك الطويل فى الخير ان شاء الله
فسحة تغزو فيها مع حبيبك رسول الله ما أحببت من الغزو ،
حتى تبلغ مرات خروجك معه أربع عشرة غزوة • • وإن لك
فيما تكشف عنه السنون فرصا ترجمت عنها فى فخر يوم
قلت - وأنت المسلم الصادق الإيمان - انك سافرت مع
رسول الله ﷺ ثمانية عشر سفرا •

وصدقت فيما قلت ، وصدقك التاريخ وأمن على ذكرت •

فهنيئا لك يا أبا عمارة ما شاركت الرسول العظيم من
غزوات •

وهنيئاً لك يا ابن عازب أسفاراً رافقت فيها المصطفى
صلوات الله وسلامه عليه ، ونعمت بصحبته .

★★★

وكان النبي عليه الصلاة والسلام حريصاً كل الحرص
على ألا يخوض المعارك إلا من اشتد ساعده ، وإلا من كان
الأسر ذا مرة ، وإلا من كان فوق الخامسة عشرة من عمره ،
ومن ثم آجاز في هذا اليوم لسمرة بن جندب الفزاري
ولرافع بن خديج ، ولكنه رد البراء بن عازب :

وعاد المسلمون من بدر مكليلين بالنصر فرحين بما آتاهم
الله من فضله .
وهلك في هذا اليوم جمع كبير من طواغيت الكفر
وفرسانه .

ودخل المسلمون المدينة المنورة يسوقون الأسرى وما فيهم
إلا كل مغوار كمي ، وإلا كل صاحب صولة كانت تطأ له
الرؤوس مهابة واحتراما ، وتخضع له الجباه خشية بطشه .
وزغردت الدنيا للنصر القشيب آتاه الله للذين دخلوا
المدينة المنورة تغشاهم الطمأنينة .

ورآهم « البراء بن عازب » فصفتت الفرحة في جوانحه
هو أيضاً ، وأحسن بالنشوة تغمر نفسه وتثلج صدره ، وهش
وبش إذ عاد المسلمون فائزين .

لقد عم الفرح المؤمنين : الأحياء منهم والشهداء الذين
وصفهم الحق تبارك وتعالى فقال وهو أصدق القائلين فكانوا

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
لَمْ يَلْقَوْا مِنْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ
اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا
مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾

صدق الله العظيم

هكذا قال العلي في حق من استشهد ، وهل ثم - استغفر
الله - من هو أصدق من رب العزة قولاً !!

لئن رد البراء عن المشاركة في يوم بدر فإن له في غده
إن شاء الله ذكراً طيباً ونجاحاً ورضواناً من الله هو الفوز
العظيم *

فليصبر البراء ، فأيام الإسلام كثيرة غراء ، وهي حلية
في جيد الزمان ، ولسوف يشهد التاريخ ظهوره على الكفار ،
وغلبته على الشرك ، وينتشي بهذه الأخبار النيرة سمع الأيام
وتلهج بها الألسن *

وكان للكفر دولة تأبى أن يسبب لها يوم بدر هذا
الجرح العميق الدامي ، ويعز على الكفر أن تخرج دولته من
هذه المعركة مرتثة ، فكان لابد لهذه الدولة الظالمة من أن
تثور * * فمهلاً يا أبا عمارة إلى غد ، ومهلاً إلى أحد والخندق
وغيرهما من الأيام الغر المحجلة * * ومهلاً حتى تبلغ السن
التي يرضاها لك الرسول لتشارك في الجهاد ، وستكون
حياتك إن شاء الله جهاداً كريماً موصولاً مذكوراً لك بالخير *

ومضت الأيام سريعة بعد بدر لتكون وقعة أحد واختلف
الناس في شهوده إياها * * فمن قائل إنه شارك فيها ، ومن
منكر ذلك ، وقال غير هؤلاء : بل كانت الخندق أولى
مشاهده *

على أن كتب التاريخ والأخبار الصادقة تشير إلى أن
أبا عمارة بن عازب شارك في أحد يوم أجلس عليه الصلاة
والسلام رجالاً بازاء الرماة وولى عليهم عبد الله بن جبير
وقال لهم :

« لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم »

« وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا » *

ويؤكد ذلك ما اثر عن البراء من انه قال : « لحقت الهزيمة المشركين فما التقى القوم حتى رايت النساء قد رفعن عن سيقانهن ، وبدت خلايلهن ، فجعل الناس يقولون : « الغنيمة * الغنيمة » فقال عبد الله بن جبير : مهلا ، أما علمتم ما عهد به إليكم رسول الله ﷺ ؟ » *

ثم يتابع البراء بن عازب حديثه فيقف « فأبوا ، فانطلقوا ، فلما أتوهم صرف الله وجوههم ، فأصيب من المسلمين سبعون » *

هذا ما نقله ابن اسحاق عن ثقات الرواة عن البراء *
فهل ثم من يشك بعد هذا أو يجادل في أن البراء شارك في يوم أحد ؟ *

انه يروى ما رآه بعيني رأسه ، وانها وأيم الله لرواية تطابق الحق والواقع ، وهل كان لأحد أن يرويها إلا شاهد عيان ؟

★★★

لئن رده النبي العظيم يوم بدر لصغر سنه فقد بلغ السن يوم أحد ، وما كان للقائد الملهم - وقد عرف في البراء الاقدام والبطولة - أن يرده بعدئذ عن ساحة الشرف ، فجدير به أن يكون أحد أبطالها الكماة *

ويؤكد هذا ما ذكره هو ذاته اذ قال : « استصغرنى رسول الله ﷺ أنا وابن عمر فردنا يوم بدر فلم نشهدا * * وشهدنا أحدا » *

ومع صراحة هذا النص وصحة نسبته إليه فهناك من أنكر عليه مشاركته في معركة أحد ، وفي ذلك يقول ابن

عمرو في كتابه « الاستيعاب في معرفة الأصحاب » ان أول غزوة شهدا البراء كانت « الخندق » - والبراء مصدر صدق من مصادر تاريخ هذه الحقبة النيرة في سجل الانسانية وكتاب التاريخ ، وينقل عنه مؤرخو السيرة ما رواه هو بنفسه عما كان يوم أحد حين زعم الكاذب ابن قميئة اللئيم ان الرسول قد قتل فيقول البراء : « أشرف علينا أبو سفيان فقال : أفي القوم محمد؟! » وكررها مرتين : فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام لمن حوله : لا تجيبوه » .

فقال أبو سفيان : « أفي القوم ابن أبي قحافة ؟ » قال ذلك ثلاثا فقال عليه الصلاة والسلام : « لا تجيبوه !! » .
فالتفت أبو سفيان إلى أصحابه وقال لهم : أما هؤلاء (يعنى النبي وأبا بكر) فقد قتلا . . . ولو كانوا في الأحياء لأجابو ! » .

قال البراء وهو يملأ على التاريخ ما رآه وما سمعه في هذه اللحظة قولا ظل محفوظا حتى اليوم اذ يقول : « . . فلم يملك عمر بن الخطاب أن قال : كذبت يا عدو الله . . لقد أبقي لك الله ما يخزيك » .

فقال أبو سفيان : « أعل هبل . . أعل هبل » .

فقال رسول الله ﷺ : « أجيبوه » فسألوه : وما نقول يا رسول الله ؟ ، قال : « قولوا . . الله أعلى وأجل » .

فقال أبو سفيان : « الا لنا العزى ولا عزة لكم » .

فقال النبي عليه الصلاة والسلام : « أجيبوه » ، فسألوه : وما نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا : إله مولانا ولا مولى لكم !! » .



ثم يزيد البراء بن عازب فيروى ما قاله أبو سفيان بعد ذلك اذ صاح بهم ينذرهم : « يوم بيوم بدر والحرب سجال » .
 أما انكم ستجدون فى القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤنى » .
 هذا ما رواه البراء ، وحفظته كتب السيرة .

وهذا قول يؤكد اشتراك البراء بن عازب فى يوم أحد ويدحض قول كل من ينكر عليه ذلك ، ونخلص من ذلك كله إلى أن نقول إن البراء فيما قال كان مصدراً صادقاً من مصادر أحداث ذلك اليوم الذى تسنى له أن يشارك فيه إلى جانب الهداة المهتدين .

ثم يكون يوم الخندق . . وما أدراك ما يوم الخندق !
 يوم تجمعت أحزاب الشرك والكفر والنفاق ، ولكن الله ناصر جنده وجعله الله سلفاً ومثلاً للآخرين .

وَلَمَّا زَاغَ الْيَوْمُ مِنَ الْأَشْرَابِ نَازَا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
 وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿١٦﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَلُّوا مَا وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَتَتْهُمْ
 مِنْ فَضْلِ اللَّهِ خَمْرٌ مُمِيزَةٌ لَمْ يَتَغَيَّرُوا بِهَا وَلَوْ أَنَّ بَنِي آدَمَ

صدق الله العظيم
 وكان أمر المسلمين يومئذ بالغا ، فقد رد الله الذين كفروا بغيظهم أن ينالوا خيراً ، وكان رجال محمد عليه الصلاة والسلام أشداء على الكفار لم يرهبوا غائلة الشرك وأحزاب النفاق ، فقد كان يهديهم فى موقفهم يومذاك قول الحق تبارك وتعالى :

يُحْيِي اللَّهُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٧﴾

صدق الله العظيم
 وكان يوم الخندق يوم درس وعظة كيومين سلفاً من أيام الإسلام النيرة ، وكأيام أخرى قادمة باذن الله ، ينتصر

فيها الحق وتعلو هامته ، ويخذل فيها الباطل وتنكس رأيته ،
وتدول دولة الشرك والطغيان ، وتنهض دولة الايمان .

ودبر القائد يوم الخندق الأنور على أحسن وجه
تسنى للبراء أن يشهده بنفسه ، وانه ليصف ما رآه يومذاك
وكيف حفر المسلمون الخندق ، وكيف شارك النبي العظيم
الناس في الحفر فيقول : « ما رأيت أحدا أحسن في حله
حمراء من رسول الله ﷺ فانه كان أبيض شديد البياض ،
كثير الشعر ، يضرب الشعر منكبيه ، ولقد رأيت يومئذ يحمل
التراب على ظهره حتى حال الغبار بيني وبينه واني لانظر
الى بياض بطنه » .

وصدق البراء بن عازب فيما حكاه عن الرسول
ومشاركته رجال الأمة في حفرهم الخندق ، ويؤيد روايته
هذه شاهد عيان آخر لهذا الموقف وهو « أبو واقد الليثي »
حيث يقول : « كنت أرى رسول الله ﷺ يضرب مرة بالمعول ،
ومرة يغرف التراب بالمسحاة ، ومرة يحمل التراب في
المكتل » .

★★★

لقد نعم البراء بن عازب بصحبة النبي الكريم ، وظل
يلازمه ما أذنت له الظروف بذلك ، وإنه ليلتمس هذه
الظروف ليصحبه صحبة طالت حتى رفع الله إليه نبيه ، صلوات
الله وسلامه عليه .

كذلك لم يفت البراء يوم من أيام جهاد الرسول الا
وشارك معه فيه مشاركة محمودة ، وكانت له عين نفاذة تعي
ما حوله من أمور فتحفظها ذاكرته ، وكان الله قد وهبه
حافضة واعية ساعدته على أن يقص صادقا كل ما رأى وما
سمع ، غير مغموز فيما روى ، ولا مكذب فيما حكى ، ومن
ثم اعتبره كبار مؤرخي السيرة مصدرا يعولون عليه فيما
يروونه عنه من أخبار الرحمة المهداة ، وفي مقدمة هؤلاء
المؤرخين الواقدي وابن اسحق ، ويتخذ الواقدي مصدره في

خبر سرية مقتل « أبى رافع اليهودى » الذى كان يظاھر
« كعب بن الأشرف » على النبى عليه أفضل الصلاة وأزكى
السلام ، وينقل الواقدى رواية سلسلة عنه كيف خرج
رهط من المؤمنين سرية لتأديب هذا الكهل الفاسق أبى رافع.
قاتله الله .

والقصة يرويها البراء بن عازب مفصلة ، فالتمسها فى
مطائنها .

★★★

ثم كان ما كان بعد ذلك من قيام رسول الله ﷺ فى
ذى القعدة من السنة السادسة للهجرة الشريفة واعتزامه
العمرة ، ويأبى أهل مكة أن يدعوه يدخلها حتى يعدم
ألا يقيم بها غير ثلاثة أيام، فيكتب لهم ما أرادوه ، والا
يدخلها بالسلاح والا السيوف فى القرب ، والا يخرج منها
— حين يغادرها — بأحد من أهلها أراد أن يتبعه ، ولا يمنع
أحدا من أصحابه أن يقيم بها إن أراد الإقامة بها .

وخبر هذا الصلح معروف، وقد حدث به البراء مفصلاً،
وتوالى الرواة من مشاهدى العيان فأيدوه وأكملوا الخبر . .
وأنه — وأيم الله — لخبر صدق فى جملة ان شاء الله .

★★★

ويصف البراء لنا ما كان من أمر رسول الله ﷺ وهو
على بغلته يوم حنين يقودها « الحارث أبو سفيان » ثم نزل
عنها فجعل يرتجز :

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

ويعقب البراء على ذلك فيقول : « فما رأى من الناس
أشد منه »

★★★

ويصف أبو عمارة لنا ثبات الرسول عليه الصلاة والسلام يوم حنين وكان يوما شديدا غلبت خيل الله فيه خيل اللات ، وخيل الله أحق بالثبات ، ويشاهد البراء عنف هذا اليوم والقلوب تجف ، والأفئدة تنخلع ، فيقول : « والله الذي لا اله الا هو ما ولي رسول الله ﷺ ولكنه وقف واستنصر ، فأنزل الله نصره ، وكبت عدوه ، وأفلج حجته » .

★★★

ثم كانت سرية خالد بن الوليد إلى اليمن في السنة العاشرة من الهجرة يدعو أهلها إلى الاسلام ، وما يدعوهم إلا إلى الخير ، فيقول البراء : « كنت فيمن سار معه » .

ثم يصف كيف أقام خالد ستة أشهر والقوم لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبي - صلوات الله وسلامه عليه - الامام عليا كرم الله وجهه وأمره أن يقفل خالدا ومن معه ، فان أراد أحد ممن كان مع خالد أن يعقب معه تركه .

وكان البراء في الفريق الثاني .

★★★

ثم يصف كيف صلى بهم الامام علي - رضى الله عنه وأرضاه - الفجر وقد انتهوا إلى أوائل اليمن ، ويذكر كيف أسلمت همدان كلها في يوم واحد ، وكتب إلى النبي عليه الصلاة والسلام بذلك . وفي هذا يقول البراء : « فلما قرئ على النبي ﷺ كتابه خر ساجدا ثم جلس وقال السلام على همدان .. ! السلام على همدان » .

وهكذا كان البراء مصدرنا - وهو مصدر صدق . . في هذا الخبر الفريد .

★★★

ولقد شارك الصحابي الحارثي البراء بن عازب في أيام الاسلام بعد وفاة رسول الله ﷺ فكان من الذين تم على يدهم فتح « الرى » سنة أربع وعشرين ، وان اختلف المؤرخون ، هل كان فتحها صلحا أم عنوة .

ثم شهد البراء غزوة «تستر» مع «أبى موسى الأشعرى»، كما شهد مع الامام على كرم الله وجهه وقعة الجمل وقاتل الخوارج .

وهكذا كانت حياته جهادا وسلسلة بطولات فى الاسلام وللإسلام .

كما أثر عنه كثير من الأحاديث رواها عن نبى الامة عليه الصلاة والسلام ، وسمع بعضها من أبى بكر وعمر وغيرهما من أكابر الصحابة وجلتهم ، وكان يقول « كل ما حدثتكم به عن رسول الله ﷺ سمعناه منه ، حدثناه أصحابنا وكان يشغلنا رعى الابل »

وتتقدم الأيام وتمضى أحداث فى إثرها أحداث . وينزل البراء بن عازب الكوفة ، ويبتنى بها دارا ، ثم يوافيه أجله سنة ثنتين وسبعين فى ولاية مصعب بن الزبير .

مات البراء . . لكن لم تمت ذكراه العطرة
مات البراء وانطبعت أعماله الجليلة فى أذهان الناس .
وطويت صفحة حياته ككل ابن أنثى وذى نسمة وروح . . لكن لم تطو على مدى التاريخ مناقبه التى أربى فيها على الأكفاء .

وكان البراء رجلا ملاً السمع والبصر .

وكان حديثا طيبا ونسمة عبقة رطبة فى يوم حر
لافتح ، وجرة ماء قراح لطامىء أشفى على الهلاك ، ونغما
تستريح له الأذن ، فلما حانت منيته غيب الثرى منه الجسد
وان لم تغب ذكراه :

والناس صنفان : موتى فى حياتهمو

وآخرون ببطن الأرض أحياء

رحم الله آبا عبادة : البراء بن عازب رحمة تكافىء
جهاده وإخلاصه للحنيفية السمحة •
ورحم الله أمة محمد ما تمسكت بهدى النبوة وكتاب الله
وسنة رسوله •

وَمَنْ يَمْلِكْ مِنَ الصَّالِحِينَ مَنْ ذَكَرُوا أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلَا يُظْلَمُونَ فِي شَيْءٍ ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَاتَّبِعْ مِثْلَهُ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ۝

صدق الله العظيم

هشام بن العاص السمرى المطبع للصورة

كانت الليلة باردة والرياح تعول وتزمرجر ، فيسرى
الخوف فى نفوس الناس ، مثلما تسرى البرودة فى أوصالهم .
وكان الظلام قد بسط ذيوله على أرجاء مكة فاعتكف
أكثر القوم فى بيوتهم ، وتحلقوا حول المواقد يصطلون
بدفئها ويتسامرون ، وكان بعضهم - من المشركين - عاكفا
على لهوه وشرابه ، وحوله الجوارى والمغنيات ينشدن من
الأشعار ما يمجى الذوق السليم ولا ترضى عنه النفوس
الطاهرة .



وإذا كنت خارج هذه البيوت فى مكة يومذاك لا ترى -
أنى التفت - الا قوما غادين ورائحين ، اذ كانت شعاب مكة
لا تخلو من السابلة ليلا ولا نهارا ، ما بين تاجر أو عامل أو
غاد إلى الكعبة أو عائد منها . . . وكانت أزقتها وسبلها
ودروبها وشعابها لا تفرغ - معظم الوقت - من الصغار
يمرحون يلعبون ، فلا يمسهم التعب ولا يصيبهم اللغب ،
ولا ينالهم رفق إلا حين ينكفئون الى بيوتهم .

أما فى هذه الليلة التى نحن بصدددها فلو انك أصخت
لما سمعت نأمة ولا صوتا غير عويل الرياح الذى تقشعر منه
الأبدان ، وقد يقطع الصمت ويزيد الجسم قشعريرة عواء

ذئب قد عضه الجوع ، وشاركته العواصف فكان لرجع
صداها خوف يتملك النفوس ، وتنقبض له القلوب * ولكن
فى وسط هذا الجو المشحون بالخوف والبرد ، وفى هذا
الصمت الموحش والليل البهيم ترى العين أشباح رجال ثلاثة
لا تدرى من يكون أصحابها ، ولكنهم يسرون جنبا إلى جنب
يتهايمسون فيما بينهم

ونتساءل من يكون هؤلاء الرجال * ؟ وما الذى خرج
بهم فى مثل هذه الساعة المتأخرة من الليل المتعكر ؟ * وفيما
يكون حديثهم ؟ * وما لهم يتوقفون بعض الوقت وقد تدانت
رؤوسهم بعضها من بعض ؟ لكن لا يطول وقوفهم ولا تلبثهم * *
اذ يتصرف كل واحد منهم إلى ناحية غير التى انصرف إليها
رفيقاه * ثم يسرع الواحد منهم فى مشيته ، لا يلتفت
يمنة ولا يسرة *

ولكننا نعرفهم اذ تدلنا خطواتهم على أنهم فتية آمنوا
بربهم فزادهم الله هدى ، واستجابوا لنبيه محمد عليه الصلاة
والسلام *

انهم فتية ناصبهم أهلوهم ومجتمعهم العداوة والبغضاء ،
قد غلظت القلوب عليهم فلا ترق لاسترحام أحد منهم *
وكانوا فيما يؤمنون به بمعزل عن كل أحد *

أما الرحماء فقد طواوا عنهم عطفهم بعد أن فشلوا
فى حملهم - باللين حيناً وبالشدّة حيناً آخر - على ترك هذا
الدين الجديد *

وعز على أهل هؤلاء الفتية الثلاثة - وأهلوهم فى
الذروة من رجال مكة - أن يخرج هؤلاء الفتية وأمثالهم
عما نشأ عليه المكيون ، وأن يتبعوا رجلاً يسفه أحلامهم وينال
من آلهتهم ، وقد التف حوله نفر كانوا يزدادون يوماً بعد
يوم *

★★★

كان أحد هؤلاء الفتية الثلاثة السارين في هذا الظلام الدامس والصمت الموحش يدعى بهشام بن العاص * . وهو من بنى سهم الذين استجاب للرسول منهم كثيرون حين دعا الناس للهجرة إلى الحبشة فهاجروا ، ثم عاد منهم أحد عشر رجلا يوم عاد جعفر بن أبي طالب .

وان أم هشام بن العاص لحرمة بنت هشام بن المغيرة * .

وان أخاه لأبيه لعمر بن العاص * .

وان عقبه بن نافع لأخوه من أمه حرمة * .

كان أبوه العاص بن وائل من كبار الملأ من قريش ، ومن الذين بذلوا جهدهم في الكيد للإسلام والمسلمين ، ولم يدخروا وسعا في إعلان كراهيتهم له ومناهضته والنيل منه ، حتى لقد كان العاص أحد الذين مضوا إلى أبي طالب إذ عطف على الرسول وبسط عليه ظل حمايته - يذكرونه بما فعل ابن أخيه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب من سب آلهم ، وذم دينهم ، وتسفيه أحلامهم ، والتمرد على مآلوف عبادتهم ، ويسألونه أن يكفه عنهم ، أو أن يخلي بينهم وبينه .

وكان العاص بن وائل السهمي هذا واحدا من الذين التقوا بالرسول الكريم ذات يوم وراحوا يعرضون عليه خطة قالوا إن فيها صلاحا له ولهم ، وهى أن يعبدوا ما يعبد ، وأن يعبد هو ما يعبدون * .

فتبا لهم من جهلة ظالمين ، وقد سفه الحق تبارك وتعالى ما قالوا إذ قال وقوله الحق المبين :

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَتَمَّ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ

③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا تَعْبُدُونَ ④ وَلَا أَتَمَّ عِبَادُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ

وَيْتَكُمُ وَلِي دِينٌ ⑥

صدق الله العظيم

ومات العاص بن وائل كافرا فى السنة الأولى من الهجرة الشريفة ، بعد أن أثر الحياة الدنيا ، ثم جاءت الطامة الكبرى فكانت الجحيم له المأوى يوم يأتى ربه الذى أنكره فيلقى كتابه منشورا ، ويقول يومذاك - بلا جدوى - يا ليتنى أرد فأتبع الرسول .

ومات العاص الكافر بعد أن خلف صحابينا المؤمن ولده هشاما الذى شهد أجنادين ، فكان شهيدا سنة ثلاث عشرة

★★★

كان هشام ورفيقاه : عياش بن أبى ربيعة وعمر ابن الخطاب قد أسلموا منذ بعيد ، وكانوا من طلائع المصدقين لنبوّة المبعوث رحمة للعالمين ، الداخلين فى الاسلام عن فهم وإخلاص ، الناطقين بالحق إذ شهدوا ألا إله إلا الله وإن محمدا رسول الله . . وكانوا ممن سمعوا مناديا للإيمان فأمنوا ، فكان ذلك شهادة تكتب لهم النجاة يوم يجمع رب العرش الخلق إليه فيحاسبهم ، فأما من ثقلت موازينه منهم فأولئك هم المفلحون ، وأما من خفت موازينه فقد خسروا أنفسهم وهم فى جهنم فيها خالدون .

لقد شهد هؤلاء الثلاثة شهادة أنزلت على قلوبهم الطمأنينة . وكانت على الكفار والمشركين والمنافقين سهاما مسمومة ريشت إلى قلوبهم فذهبت بهم إلى الهاوية ، وهى شهادة يدرك الفتية المؤمنون معها أنهم صاروا مرمى لنبال الذين أوغلوا فى الجهالة ولن أعمى الله بصائرهم .

فان قلت أن لهم قلوبا قلنا أجل ، ولكنها قلوب لا يفقهون بها .

وان قلت ان لهم عيوننا قلنا نعم ، ولكنها عيون لا يبصرون بها ، قد لعنهم الله وضلوا وكانت لهم معيشة ضنكا .

وان قلت ان لهم آذاننا قلنا : حقا ولكنها آذان بها وقر فهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا .

ثم تسأل : فمن هم اذن فى الخلق وما جزاؤهم ، واذ ذاك
تسمع قول الحق تبارك وتعالى يجيبك :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا الْجِنَّةَ رِجَالًا نَّكِبًا وَأَلَمَّا أَتَيْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ لَمَّا خَلَّصْتُمْ فِي السَّمَاءِ لَقْنَهُمْ قُلُوبُهُمْ فَلَمْ يَقْضُوا بِهَا لَهْمًا
أَعْيُنُهُمْ لَمْ يَبْصُرُوا بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَانُوا فِي السَّمَاءِ أَصْحَابًا
أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلُونَ ﴿٣٧﴾

صدق الله العظيم

ولقد خسر الجاهلون المغترون الغافلون .



وكان هشام بن العاص يعرف النبى الكريم فى مكة قبل
نزول الوحي عليه . .

كان يعرفه كما يعرفه المكيون جميعا ومن خالطوه
وخالطهم ، وكان هشام يعرف فيه رجلا صادقا أميناً غير
مغموز فى خلقه أو مطعون فى سيرته أو معاملته .

أليس هو الذى ارتضته قریش - وهو شاب - حكماً
بينهم يوم اختلفوا وتنازعوا فيما بينهم حول من يضع الحجر
الأسود فى مكانه بالكعبة ؟ . . وهل جربوا عليه فى حياته
بينهم إلا كل ما يحملهم على إكباره وتصديقه ؟ . .

لقد عرفوا ذلك كله . . وعرف هشام بن العاص فى
محمد الصدق والأمانة والوقار ، فلما نزل الوحي على إمام
المتقين وخاتم الرسل والنبیین لم ينكر صاحبنا الصحابى هشام
فيما بينه وبين نفسه أن محمد بن عبد الله الهاشمى القرشى
صادق وأمين ، وجاء أبو بكر رضى الله عنه إلى صاحبه
وصاحبنا هشام بن العاص يدعوه للإسلام ، فلبى الدعوة
قرير العين ، لأنه يعرف فى ابن أبى قحافة الحكمة والعقل
والسداد .

ودخل هشام فى زمرة المؤمنين ، وكان من الطلائع الأولى
الذين استجابوا لربهم فكانت لهم الحسنى ، وأدركوا أن قد
جاء الحق المبين ، وأن دولة الباطل لا بد زائلة عن قريب .

وفرّح نبي الرحمة وشفيق الأمة بإسلام هشام الذى كان
يعرف حتى هذه اللحظة بأبى العاص ، فكانه النبي الكريم
« أبا المطيع » . . . ونعم الكنية كناه بها الصادق الأمين ،
فالطاعة لله صفة المؤمن ، والله يرحم من يطيعونه ويطيعون
رسوله .

وفرّح المؤمنون لأن هشام بن العاص كان من أسرة إن
يدخل أحدها الإسلام ففى ذلك نصر كبير للدين وعزة لأهله .

واطمأن بإسلام هشام من هداهم الله الى الصراط
المستقيم .

وعرف غيرهم بإسلام هشام ، وكان هذا النفر من
الضالين المضلين ، والمغضوب عليهم إلى يوم الدين ، فراحوا
يكيدون له عند أهل بيته وذوى قرياه ويقولون لهم : « لقد
صبأ ولدكم هشام بن العاص » ، وإذا كانوا فى مجلس نعق
ناعقهم فقال : « يا بنى العاص . . . يا بنى سهم . . . لقد
صبأ هشام بن العاص واتبع ملة محمد ، وكفر بالهتكُم
وما تعبدون » ، وتأخذ عزة الاثم بالجاهلية أهل هشام
وعشيرته فيحاولون رده إلى الكفر ، ويأبى الله إلا أن يمحى
محاولتهم فيثبته على الإيمان فينجح حيث يفشلون ، وانهم
ليطمعون أن يعيدوه إلى ملتهم فيأبى هشام ، أما هم
فيخسرون .

ويعذبونه . . . فلا يبالي بتعذيبهم إياه ولا بما ينزلونه به
من الأذى ، لأنه يدرك أنه إن يطعمهم يردوه إلى جاهليتهم وبئس
ما يردونه اليه ، حيث يكون الخسران المبين ، ويدرك أن
الضلالة والعذاب فى الرجوع عن الاسلام ، وتهداً نفسه
داعيا الله ألا ينتصر عليه الكافرون حتى يكون من زمرة

السامعين الطائعين الذين يؤمنون بالحق فتعتق رقبتة يوم الحساب ولا يصير من أهل الجحيم ، ويكون من القوم الذين يبيتون لربهم سجدا وقياما .

وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٥٠﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ

مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٥١﴾

صدق الله العظيم
ويخاطبه قومه في صوت يسمعون من ورائه أن يحركوا فيه عصبية الدم والقبيلة ، فينادونه صارخين
« أخرج علينا يا ابن العاص ، وأبوك سيد في قریش وفي الذروة والسنام منها ؟ . أتترك دين آبائك وأجدادك وعشيرته الأقربين إلى أمر مستحدث لا تعرفه العرب !! » .
يقولون له هذا ومثله ليصرفوه عن الاسلام ، ولو كشف الله عن قلوبهم لسمعوا لسان حاله يقول :

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَهُوَ يُحْسِنُ فَكَرًّا أُجْرُهُ يُعْطَاهُ اللَّهُ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٥٢﴾

صدق الله العظيم
ويلقى صاحبنا الصحابي الكريم هشام بن العاص من قومه ما يلقي صابرا محتسبا ، ثم تكون هجرة الرسول ﷺ إلى يثرب ، ويتطلع هشام لأن يهاجر هو الآخر إلى نبي الرحمة ، وانها لهجرة في الله من بعد ظلم يبوئه الله بها في الدنيا حسنة ، ويكون أجره في الآخرة أكبر .

★★★

واتفق الرأي منه ومن « عياش بن أبي ربيعة » وعمر ابن الخطاب أن يهاجروا إلى المدينة ، وتعاهدوا أن تكون هجرتهم سرا لا يعلم بها أحد سواهم ، فتسللوا في جنيح تلك الليلة الظلماء التي لاقيناهم فيها أول ما لاقيناهم أشباحا ، ثم عرفناهم فعرفنا فيهم الإيمان الصادق والحب الخالص للنبي عليه الصلاة والسلام

وراح الفتية القرشيون الثلاثة : هشام بن العاص وعياش (أخو أبي جهل لأمه) وعمر بن الخطاب يدبرون خطة هجرتهم القريظة المرجوة ، فقالوا لبعضهم : « الميعاد بيننا أضاة بنى غفار فمن أصبح منا ولم يأتها فقد حبس . . فليمض صاحباه على بركة الله » .
وكانت أضاة بنى غفار منزلا قرب مكة .



ويتحدث عمر بن الخطاب فيما بعد عن هذه اللحظة فيقول : « اتعدت أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام بن العاص حين أردنا أن نهاجر وقلنا الميعاد بيننا أضاة بنى غفار ، وأينا تخلف عن الصبح عرفنا انه حبس . . فلينطلق صاحباه » .

هكذا قدروا ما قد يحدث لهم أو لأحد منهم .
لئن يتخلف أحدهم عن اللقاء عند أضاة بنى غفار فمعناه أن قد قهره الظلم وحبسه أهله . . ولئن حبس فليمض صاحباه على بركة الله .

ويتابع الفاروق كلامه فيقول : « وأصبحت أنا وعياش ، وحبس عنا هشام بن العاص وفتن فافتتن » .



أجل حبس هشام وحيل بينه وبين الهجرة والنجاة من الكافرين بدينه . . لقد خرج هشام مهاجرا إلى الله ورسوله فكاد له القوم فمنعوه وحبسوه ، وأذاقوه العذاب ألوانا فما لانت له قناة ، وإن قيل إنه أظهر الافتتان .

لقد عرفت قريش بما دبره هشام بن العاص من هجرة يزمعها إلى رسول الله فألت إلا أن تمنعه ، وأرسلت من يترصده وصاحبيه في كل درب تتوقع أن يسلكوه ، وفي كل شعب تظن أنهم طارقوه ، وفي كل منزل تخال أنهم نازلوه . .

ونجحت قريش في أن تمسك هشاما ، وخاب الكفر مع
رفيقيه فكتبت لهما النجاة •

وحبسته قريش ، وطال حبسها لابنها المؤمن هشام بن
المعاص السلمي

وطالت غيبته عندها محبوسا حتى غاب عن بدر وأحد
والخنديق فلم يشهد واحدا من تلك الأيام الخوالد في سجل
الزمان •

وكان الذي بلغته قريش من هذا الفتنى المؤمن ان كبت
منه اليدين والرجلين ، وأقامت حوله حراسا غلاظا • • لكنها
لم تستطع أن تفرض قيда على إيمانه الذي هو عقد بينه وبين
ربه ، ولم تستطع أن تفرغ قلبه من حب هذا الدين •

فلتحكم قريش حلقاتها حوله • • ولتقم عليه زبانيته
يرصدون كل حركة منه في ليل أو نهار •

ولكن قريشا كافرة • • فتهيأت أن تنتصر لأن الطاغوت
وليها ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من
النور الى الظلمات ، ولقد ظنوا أنهم عوقوه اذ حبسوه
وما علموا أنه كان في قيده ومحبسه أقوى منهم وأشد سخرية
بهم منه وهو حر طليق • فالله وليه ، ومحمد قدوته ، وإليه
هجرته ، والله يؤيد الذين آمنوا على عدوهم حتى يصبحوا
ظاهرين •

وقال المؤرخون : « حبست قريش هشاما وضايقته
وقتنته فافتتن » •

وآرجف المؤمنون بذلك وهالهم أن يفتن إخوة لهم في الله
ذاقوا من قبل حلاوة الايمان ، وبرأوا من رجز الشيطان ،
وكفروا بالجاهلية فلم يسجدوا لغير الواحد الرحمن •

لكن هيهات لمن دخل الايمان الصادق قلبه أن ينحرف عن الطريق السوى ، أو يفعل ذلك سواء فى حياة الرسول أو بعد موته •

بيد أن ما أصاب هشاما انما كان لحكمة اقتضاها الله عز وجل ، والله أعلم بمن ضل عن سبيله وأعلم بمن اهتدى وبالمهتدين • • فلتدبر قریش سرا ما شئت أن تدبر ، ولكن لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون •
فليقل من يشاء بأن هشاما قد فتن • • لكنه لم يفتن فى دينه لأن إيمانه بالله العلى وبرسوله عليه الصلاة والسلام لم يتزلزل قط •

ربما كان هشام قد فتن فى ظاهره ولكن باطنه كان نقيًا ، وسريته صافية ، وقلبه طاهرا لم تشبه شائبة كفر •

وراح الناس فى المدينة — وربما فى غيرها أيضا — يحكون عنه ويقولون بشأنه وبشأن من افتتنوا :

« قوم عرفوا الله وآمنوا به وصدقوا رسوله ، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا •

» والله • • ما الله بقابل من هؤلاء توبة • • »

★★★

كان الناس يقولون ذلك فيما بينهم وبين أنفسهم ، وفيما بين بعضهم والبعض الآخر ، وتناقلوه فى مجالسهم ومحافلهم وندواتهم ، وشاع ما قالوا حتى لأكه الصغار •

وسواء أكان حديث المجتمع الاسلامى يومذاك همسا أو جهرا فما من شيء يخفى على الله الذى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، فهو الذى يعلم الحق ولا يعلمه سواه • •
وانه — جل جلاله وتعالى اسمه — أعلم بما كان من شأن هشام والمستضعفين فأنزل قوله فيهم ، وقوله الحق :

قُلْ يٰٓجِبَارِىَ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا عَلٰٓى اَنْفُسِهِمْ لَا تَقْطَعُوْا مِنْ رَّحْمَةِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوْبَ
 جَمِيْعًا اِنَّهٗ هُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ﴿٥٦﴾ وَاٰتِيُوْا اِلٰى رُكُوْعِكُمْ وَاَسْلُوْا لِلَّذِيْنَ قَبْلَ اَنْ يَّاتِيَكُمْ
 الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُوْنَ ﴿٥٧﴾ وَاَتَّبِعُوا اَحْسَنَ مَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِنْ رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَّاتِيَكُمْ
 الْعَذَابُ بِغَفَّةٍ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ ﴿٥٨﴾ اَنْ تَقُوْلَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىْ اَعْلٰى مَا فَرَطْتُ فِىْ جَنْبِ
 اللّٰهِ وَاِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاعِيْنَ ﴿٥٩﴾ اَوْ تَقُوْلَ لَوْ اَنَّ اللّٰهَ هَدٰٓى لِّىْ لَكُنْتُ مِنَ الْمُهْتَدِيْنَ
 ﴿٦٠﴾ اَوْ تَقُوْلَ جِئْتُ بِالْعَذَابِ لَوْ اَنَّ لِىْ كَرْهٌ فَاَكُوْنُ مِنَ الْخٰسِرِيْنَ ﴿٦١﴾ بَلَا فَرَجَآءَ لَكَ
 اَيُّهَا الَّذِىْ هَكَذَا بَدَا بِهَا وَاَسْتَكْبَرْتَ وَكَنتَ مِنَ الْكَافِرِيْنَ ﴿٦٢﴾ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ تَرٰى الَّذِيْنَ كَذَبُوْا عَلٰى
 اللّٰهِ رُجُوْمُهُمْ مُّسَوَّدَةً اَلْسِنُ فِىْ جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِيْنَ ﴿٦٣﴾

صدق الله العظيم

وكان هذا الكلام الإلهي فيصلا وبلسما للأرواح .

وسمع عمر بن الخطاب هذه الآيات الكريمة ينزل بها
 الوحي على الصادق الأمين ، وأدرك الفاروق ما تعنى ...
 وأنها لتعنى شيئاً عظيماً ، فكتب بها من المدينة إلى رفيق
 رحلته المستضعف هشام بن العاص في مكة وهو أسير .

ولم تجد الحراسة الشديدة المفروضة على هشام الكفار
 نفعا ، ولم تستطع أن تحول بينه وبين وصول هذه الآيات
 الشريفة إليه ، فقد جاءته فى غفلة من سجانيه وطفاته
 وأسريه .

قرأها هشام فكانت له إنابة إلى الله من قبل أن يأتيه
 العذاب ، وحاشى لهشام أن يكون من المكذبين المستكبرين
 الكافرين .

وتأمل همام الآيات الربانية ، وراح يتمعن فيها .
 ولنستمع إليه فى هذه اللحظة وهو يقول

لما قدمت على خرجت الى ذى طوى بأسفل مكة .
فجعلت أصوب فيها لأفهمها حتى قلت : اللهم فهمنيها . .
فالقى الله تعالى فى قلبى أنها أنزلت فينا وفيما كنا
نقول فى انفسنا ويقال فينا » .

وكان إدراكه لمعناها نقطة انتقال فى حياته .
لئن كان المسلمون قد نجحوا فى أن يوصلوا إليه هذه
الآيات النكريمة فقد جاء دوره ليؤكد انه العبد الصادق للإيمان
والتوبة ، الفاهم لما يسمع ، الواعى لما علم ، العامل بما
ينبغى عليه العمل به .

وتضع احدى الروايات على لسانه أنه قال بعد الذى
سمعناه منه : « . . . ورجعت إلى يعربى فجلست عليه فلهجت
برسول الله ﷺ » .

فان تكن هذه الرواية حقا فلعل الراوى أوجز وطوى
أحداثا فيما بين ركوبه بعيره وبين انطلاقه الى النبی الهادى .
لكن هكذا قالت بعض الأخبار .

وقال بعضها الآخر قولاً رواه الثقة المحقق ابن هشام من
أن النبی عليه الصلاة والسلام قال وهو بالمدينة بعد أن نزلت
عليه الآيات البينات : « من لى بعباش بن ربيعة وهشام
ابن العاص ؟ » .

فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة — أخو خالد
ابن الوليد — : « أنا لك يا رسول الله بهما » .

وكان الوليد بن الوليد صحابيا مؤمنا افتدى بعد بدر
بعد أن شارك فى صفوف المشركين ، ثم أسلم فى لحظة لم
يكن أحد ينتظر فيها منه إسلاما أو مهادنة للمسلمين ، فقليل
له : « هلا أسلمت قبل أن تفدى ؟ » ، فقال : « كرهت أن تظنوا
أنى جزعت من الاسار » .

• • وقد حبسه المشركون بمكة ، ثم من الله عليه بالامانات .
من أسره والنجاة من القوم الظالمين ، وخلص من الكرب
العظيم ، ومضى فلحق بالنبى عليه الصلاة والسلام ماشيا على
قدميه •

هذا هو الوليد بن الوليد بن المغيرة الذى خرج الى مكة
ليعود بصاحبيه عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص ،
وكان قد ذاق مثلهما من قبل مرارة الاستضعاف •

وجاء الوليد بن الوليد الى مكة مستخفيا يتحاشى الناس
أن يروه حتى لا يعرفوه ، فلو عرفوه لأمسكوه ، ولو أمسكوه
لفسد ما عاهد عليه النبى عليه الصلاة والسلام ، وما قطعه
على نفسه من العودة بهما سالمين باذن الله تعالى •

وصادف الوليد فى طريقه بمكة - وقد دخل الليل -
امراة تحمل طعاما فجاذبتها الحديث ، فعرف أنها تريد اللذين
يريدهما ، وهما عياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاص
ولعله راح يحدث نفسه ويقول :

« بنح • • بنح يا ابن الوليد • • لقد أراد الله لك أن تسير
هذه الطريق من غير مشقة ولا عسر لتعرف أين يكون أخواك
المؤمنان المستضعفان » •

« هيا أرقب المرأة دون أن تثير بنفسها الشك فيك • • وكن
حذرا أن يرتاب أحد فيفسد ما أنت عازم عليه ، وما عاهدت
به محمدا • • والله عز وجل حافظك وعاصمك من شرهم » •

★★★

واستمر فى مشيته حتى غاب عن نظر المرأة وإن لم
تغب هى عن نظره • ونسيت المرأة وأن كان هو لم ينسها •
ومضت لم تلق إليه بالآ ، وإن ألقى هو إليها كل باله •
ثم ماذا يعنيها من شأنه ! •

• إنه واحد ممن تكتظ بهم أنحاء مكة وأسواقها
وشعابها ودروبها ووديانها • •

إنها لا تراه غير عابر سبيل حدثها دقائق قصيرة حديثا
عابرا ، ولا يعنى حديثه إليها شيئا وإن كان ما سمعه
هو منها وما حدثته به يعنى عنده شيئا كبيرا وكبيرا جدا •

وهل جاوز حديثه معها بضع عبارات لم تستغرق من
الزمن غير لحظات قلائل • • ومن الطريق غير خطوات قصار ؟
وربما تمنى المرأة لو أنه أطال الحديث معها اذن لقصر
عليها الطريق ، وهون عليها وحشته إلى حيث هشام وعياش •

لم ينس الوليد شيئا مما حكته الجارية وأدرك أن العناية
هيات له أن يلقى هذه المرأة عن قصد ، وأن يتحدث إليها
من غير سابق ترتيب فيكون ما قالته له هو الذى يطمع فيه ،
بل وأكثر مما كان يطمع فيه •

ومضت الجارية فى طريقها ، ومضى الوليد فى أثرها
وهى لا تدري انه يقتفى خطاها من بنقيد ، ولعلها نسيت كل
شئ عن هذا الرجل الذى لو تأملته لعرفت فيه الوليد بن
الوليد بن المغيرة ، ولأدركت انه أخو سيدها خالد بن الوليد
ابن المغيرة •

ورأها صاحبتا القادم من المدينة تبلغ دارا هى أقرب
إلى الساحة منها إلى البيت • • ثم رأها تعالج قفل الباب
فتفتحه ثم تلج باحته ، وتغيب ساعة من الزمان وتعود
بعدها بعد أن قدمت للأسيرين ما يأكلانه •

وأيقن الوليد بن الوليد أن صاحبيه فى هذا المكان ،
وراح يدور حوله ، فالفاه جدرانها لا سقف لها إلا من بعض
الواح وحصير •

وانتظر الوليد بن الوليد حتى إذا جن الليل ومد الظلام
طنبه على الكون تسور الجدار على صاحبيه المؤمنين
المستضعفين .

ولمجاه فى غبش الظلام ولكن لم يعرفاه فتساءلا عمن
يكون هذا المتسور عليهما الجدار فى مثل هذه الساعة من
الليل ؟ . . وما له لا يأتى المكان من بابه ؟

إنه ان يكن لصا فما عندهما من شىء غير جرة ماء ،
وزاد أسير ، وفراش مستذل مستضعف ، وحصير .

وعادا يقولان : « وماذا يعنينا من يكون هذا الطارق
بالليل ؟ . . ربما كان واحدا من أولئك العابثين السفهاء
الذين أطلقتهم قریش كالكلاب الضالة ينالون من المستضعفين
ما شاؤوا أن ينالوا : لهوا ، وعبثا ، وترجية فراغ » .

لكنهما سمعا هذا المتسور يهمس باسميهما فى لهجة
فيها كثير من الرفق والحب والحنان ، وأصاخا السمع
جيذا فعرفا صوت أخيهما فى الله ، المؤمن برب العزة
والجبروت : الوليد بن الوليد بن المغيرة . .

★★★

لكن هتف فى داخلهما هاتف يقول : إن يكن هذا هو
الوليد فما الذى جاء به الى هنا من المدينة ؟ وكيف توصل
إليهما رغم العيون ؟ ومن ذا الذى دله على مكانهما ؟ ثم لم
يلبثا أن عرفا الأمر الذى جاء من أجله فلم ينبس أحدهما
ببنت شفة مخافة أن يصل همسهما الى أحد فينكشف أمره
وأمرهما .

كان الوليد قد وثب من السور وثبة جعلته أمامهما ،
ووقف برهة حتى ألقت عيناه الظلام فتبينهما فى قيديهما ،
وكان القيد من ليف ، فأخذ حجرا جعله تحت القيد ثم رفع
سيفه وأهوى به بتارا فقطعه ، ووقف الثلاثة صامتين

حامدين الله في قلوبهم على ما فيه البشرى بالخلاص من الكفار ، ثم انسلوا - وأهل مكة في غفلة عنهم - فلم يرهم أحد فقد تسربلوا بظلام الليل ، وأردف الوليد صاحبيه على بعيره وانطلق رهط الفتية المؤمنين الذين زادهم الله هدى حتى بلغوا المدينة بعد طول سفر وكبير مشقة ، وقدموا على نبي الرحمة المهداة ، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، وقرت نفوسهم كما قرّت نفوس المؤمنين أن صاروا جميعا الى جانب إمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين ، يساهمون في بناء المجتمع الاسلامي الجديد ، ويقىمون أركانه على التقوى والصالح والمعبة والرحمة .

وببدأ هشام بن العاص بن وائل حياته الجديدة في المدينة فتكون لبنة قوية في الصرح الاسلامي .

وتمضى الأيام . . ويفتح الله على نبيه مكة ، ويدخل الناس عن رضا وطيب خاطر في دين الله أفواجا ، ويرسل عليه الصلاة والسلام صحابينا هشاما في سرية من مائة رجل إلى موضع يقال له « يللم » ، وهو جبل من الطائف على مسيرة ليلتين أو ثلاث ليال وقد يقال له « وادي للم » .

وقال البعض إن خروج هذه السرية كان قبل الفتح بقليل .

وتعددت مرات خروج هشام بن العاص بعدئذ ، فشهد اجنادين ، وحارب الشرك في مواضع كثيرة فأبلى أحسن البلاء .

وكان شهوده اجنادين مع أخيه عمرو بن العاص أحد دهاة العرب في عصره ، وفاتح مصر ومدخلها في الاسلام ، وكان عمرو أسن من هشام ، لكنه كان يعظمه ويجله .

ورأى هشام فى ذلك اليوم شيئا من النكوص من بعض
جند الاسلام أمام العدو فعز عليه ما يرى ، وحز فى نفسه
ما يشاهد ، وشق عليه ما كان من هذا البعض .

وقال فى نفسه : « لئن نكص المؤمنون فى فرجة أهبل
الشرك ويا سوء منقلب المسلمين ، ويا ذلة الاسلام وانتكاس
رايته .. لا قضى الله بذلها أبدا وأبقاها مرفوعة حتى يرث
الله الأرض ومن عليها » .

واذ ذاك ألقى هشام المففر عن وجهه ، ونطق بالشهادتين ،
ورفع وجهه عاليا الى السماء ، ثم انتضى سيفه وراح يتقدم
الصفوف يضرب به فى نحر العدو وهو يصيح :

« يا معشر المسلمين إلى ... إلى .. أنا هشام بن
العاص .

« يا معشر المسلمين آمن الجنة تفرون ؟ »

وجعل يردد ذلك مقبلا غير مدبر ، وما عهدته الناس
إلا رجلا ثبت الجنان ، صلب المعجم ، وخواض غمرات ،
مانعا لحوزته ، وحاميا لبيضته ..

وسمعه الناس يصرخ فيهم ، فأقبل من كان ولى وأدبر ،
واستبسل فى القتال من كان قد تهاون وتراخى ، وحملت
نفوس القوم ، وخاف الروم من هذا البطل الكمى الذى
لا يلقي نظيره ، ويعز بين الكثيرين قرينه ، واذا ذاك انهزموا
إلى موضع لا يسع أن يعبره غير فارس واحد .

وجعلت الروم تقاتل المسلمين على هذا الموضع ، فقد
سبقوا هشاما إليه وعبروه ، فمضى إليهم هشام بن العاص
وقاتلهم هناك وقاتلوه حتى قتلوه ..

قتلوه * * فسد الشجرة بجسده * *

ثم انتهى المسلمون إلى الشجرة فرأوا هشاما جثة هامة
فوقفوا محجمين عن التقدم * * إجلالا منهم له ، وخوفا من أن
تطأ سنايك جيادهم جثمان البطل الشهيد ، أو تدوسه
أقدامهم

وكان معهم إذ ذاك أخوه عمرو بن العاص فلما رأى
إحجامهم عن تتبع الروم وكفهم عن مطاردتهم صاح فيهم :
«أيها الناس : ان الله قد استشهد هشاما ورفع روحه» -
« وان ما ترون جثة * * فأوطئوه الخيل» *

وتقدم عمرو أمامهم ومشى على جثة أخيه الشهيد ، ثم
تبعه العسكر ففعلوا الذي فعله حتى تقطع جثمان البطل
الشهيد هشام بن العاص إربا إربا

وكتب الله بشهادته النصر لجنده اذ لم يستطع الروم
اقتحام الشجرة فحقت عليهم الهزيمة ، ودارت عليهم الدائرة ،
وولوا مدبرين على أعقابهم ، يرون الخير في الفرار ،
والسلامة في النجاة من سيوف أهل الايمان *

ثم عاد المسلمون من مطاردتهم للبيزنطيين المقهورين ،
فجمع أخوه عمرو بن العاص ما تناثر هنا وهناك من جثمانه
الطاهر ، وحمله في نطع فواراد الثرى *

مات هشام ولكنه كان في عداد الأبطال الخالدين
والشهداء الأبرار الذين إن قتلوا في سبيل الله فهم أحياء عند
ربهم يرزقون *

وحدث عمرو بن العاص بعد قتل أخيه فقال :

« استبقنا أنا وهشام الى الله عز وجل ٠٠٠ فسبقني »

« وأمسك على الستر ٠٠ حتى تطهرت وتحنطت »

« ثم أمسكت عليه الستر حتى فعل مثل الذي فعلت »

« ثم عرضنا أنفسنا على الله ٠٠ فقبله ٠٠ وتركني »

وهكذا كان الأخوان إيماناً وجهاداً ، وبذ لا في سبيل الله
ونصر الاسلام ٠

وهكذا كان هشام سباقاً الى الاسلام والى طاعة رسول الله
٠٠ حريصاً على أن ينعم بالصعبة الشريفة فنالها ٠٠ متطلعا
الى الشهادة فأكرمه الله عز وجل بها ٠

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ
مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ الَّتِي بَايَعْتُمْ بِهِمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٠﴾
صدق الله العظيم

أعمال الأستاذ الدكتور حسين حبشي

- ★ نور الدين والصليبيون (حركة الانفاقة الاسلامية في القرن
الثاني عشر) . (نشرته دار الفكر العربي) . (نفذ)
- ★ الحرب الصليبية الاولى (دار الفكر العربي) . (نفذ)
- ★ أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس (الجبنا) مترجم عن
اللاتينية (دار الفكر العربي) ونشرته وزارة التعليم بالملكة
العربية السعودية . (نفذ)
- ★ الشرق العربي بين شتى الرحي (دراسة تاريخية عن حملة
لويس التاسع على مصر والشام) . دار الفكر العربي . (نفذ)
- ★ أهل الزمة في الاسلام (تريتون) نشر دار المعارف ودار الفكر،
١٩٦٨ وهئة الكتاب ١٩٩٣، وصدر في مكتبة الأسرة، ١٩٩٦ .
- ★ زنجبار (من ١٨٩٠ - ١٩١٣ . دار المعارف (١٩٦٨)) (نفذ)
- ★ رحلة طانور في عالم القرن الخامس عشر (دار المعارف)،
سنة ١٩٦٨ . (نفذ)
- ★ مذكرات جوافيل عن القديس لويس مع دراسة تاريخية
مطولة بقلم المترجم (دار المعارف) سنة ١٩٦٨ . (نفذ)
- ★ تاريخ مسلمي أسبانيا لدوزي . العصبية القبلية (دار
المعارف ، سنة ١٩٦٣ . (نفذ)
- ★ الجزائر عبر التاريخ (مع أساتذة بعض الجامعات) نشره
معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة . (نفذ)
- ★ فتح القسطنطينية لكلاري (مترجم عن الفرنسية القديمة) ،
نشره مركز كتب الشرق الأوسط سنة ١٩٦٤ . (نفذ)
- ★ حوليات دمشق لمؤرخ شامى مجهول . نشرته مكتبة الانجلو
المصرية ، (سنة ١٩٦٨) . (نفذ)

- ★ الاحتكار في العصر المملوكي (حوليات جامعة عين شمس) ،
١٩٦٤ .
- ★ أنباء العصر - بآباء العصر للجوهري الصيرفي . دار الفكر
العربي ، سنة ١٩٧٠ .
- ★ مضمار الحقائق لمحمد بن عمر بن شاهنشاه . نشره عالم
الكتاب سنة ١٩٦٨ . (نفذ)
- ★ نزهة النفوس والأبدان (أربع مجلدات) نشره مركز تحقيق
التراث بدار الكتب المصرية ، ١٩٩٤ .
- ★ الحروب الصليبية لوليم الصوري (أربعة مجلدات) نشرته
سلسلة تاريخ المصريين (الهيئة العامة للكتاب) ١٩٩٥ .
- ★ مذكرات فلهااردوان عن الحرب الصليبية الرابعة . نشرها
المجلس العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، سنة
(١٤٠٣ هـ = ١٩٨٢) . (نفذ)
- ★ أنباء البغمر بآباء العصر لابن حجر العسقلاني . أربع مجلدات
نشره المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بوزارة الأوقاف بمصر
سنة ١٩٩٧ .
- ★ جمال الدين الشيال : كلمة تأبين في ذكره (١٩٦٧) .
- ★ المسلمون في الأندلس لدوزي (ثلاثة مجلدات) نشرته الهيئة
العامة للكتاب ١٩٩٤ .
- ★ A Fifteenth Century Crusade Against Egypt (1959)
(B.A.S. Un.), 1959.
- ★ The Egyptian Expeditions Against Rhodes and Castellar-
sso (B.A.S. Un.) 1961.
- ★ قصة اسلام الصحابة (ج ١) من عشرة أجزاء (قسم
الرجال) - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٧ .

تحت الطبع : للدكتور حسن حبشى :

- ★ الكسياد (عن الامبراطور الكسيوس كومنين) لابنته الأميرة أنا كومتينا ، مجلدان .
- ★ فلسطين في ظل الحكم الاسلامى للى سترانج (مجلدان) .
- ★ البقاعى (ابراهيم بن حسن) : عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران (ست مجلدات) أعد مركز التراث بدار الكتب المصرية الجزئين الأول والثانى منه .
- ★ البقاعى : المعجم الصغير (فى مجلدين) .
- ★ البقاعى : اظهار النصر لأسرار أهل العصر (ذيل على أنبار الغمر) فى أربعة مجلدات (من المسودة بخط المؤلف) .
- ★ ابن الحنبلى : در الحبيب فى تاريخ حلب (سبعة مجلدات والنسخة الأصلية بخط المؤلف مع مراجعتها على سبع نسخ أخرى .
- ★ ابن حجر وتلاميذه (دراسة تاريخية له ولأربعة من تلاميذه) .
- ★ أحداث صنعت التاريخ (عرض لتسعة أحداث كبرى فى الشرق والغرب كان كل منها نقطة تحول فى التاريخ .
- ★ العصر المملوكى : (دراسة اجتماعية) .
- ★ A Transition Period in Antioch Between 1090 & 1118 A. D.
- ★ تطور الجريمة وأساليب التعذيب فى التاريخ .
- ★ الدبلوماسية البابوية .

الكتب الإسلامية للدكتور حسن حبشى :

- ★ الرحمة المهداة (عرض جديد للسيرة النبوية العاطرة) : مجلدان .
- ★ سرايا الرسول (صلى الله عليه وسلم) عرض وتحليل قائمان على الوثائق والمصادر الأولية والسيرة الطاهرة .
- ★ قرون الهجرة : دراسة عرضية للعالم منذ الهجرة الشريفة حتى الوقت الحاضر (مجلدان) .
- ★ الفتح المبين (تمثيلية عن تاريخ مكة المكرمة حتى انعم الله عليها بالاسلام) .
- ★ صحايبات صنعن الأحداث (دراسة تاريخية من خلال أعمال المرأة فى صدر الاسلام) : خمسة مجلدات .

الفهرس

الصفحة

٥	الاهداء
٧	مقدمة المؤلف
٩	عمرو بن ثابت وقش
١٥	مهجع العكي اليعنى
٢١	اياس بن البكير
٢٥	أبو عقبة : اهبان بن أوس
٣١	أبو أيوب الأنصارى
٤١	أوس بن معير الجمحى
٤٥	صعصة التميمى
٥١	أوس بن ثابت
٥٩	معاذ بن عمرو بن الجموح
٦٧	زياد بن السكن
٧٣	سالم مولى أبى حذيفة
٧٩	الحجاج معبد العبسرى
٨٥	سمرة الفزارى
٩٥	سهل بن الحنظلية
١٠٧	عامر بن عبد قيس
١١٥	سراقة بن عمرو الفزرجى
١٣١	الأرقم بن أبى الأرقم
١٣٧	سعد بن الربيع



الصفحة

١٤٣	• • • • •	عبادة بن الصامت •
١٤٩	• • • • •	عبد الله بن رواحة •
١٥٥	• • • • •	حجاج بن علاط السلمى •
١٦١	• • • • •	سعيد بن زياد العدوى •
١٦٧	• • • • •	حارثة بن شراحيل الكلبي •
١٧٣	• • • • •	خريم بن فاتك الأسدي •
١٧٩	• • • • •	دعثنور بن الحارث •
١٨٥	• • • • •	انس بن النضر •
١٩١	• • • • •	أبو بصير بن أسيد •
٢٠١	• • • • •	عبد الله بن سهيل العامري •
٢٠٥	• • • • •	أبو لبابة الزنبري •
٢١١	• • • • •	سنان بن محصن الأسدي •
٢١٥	• • • • •	أوس بن خولى •
٢٢١	• • • • •	عمير بن سعيد •
٢٢٧	• • • • •	سماك بن خرشة •
٢٣٥	• • • • •	قيس بن عاصم المنقري •
٢٤١	• • • • •	معوذ بن عفراء •
٢٤٧	• • • • •	فرات بن حيان •
٢٦١	• • • • •	أبو الروم بن عمير •
٢٦٧	• • • • •	سعد بن عمرو بن ثقب •
٢٧٣	• • • • •	أبو وائل شقيق ابن سلمة •
٢٨١	• • • • •	البراء بن عازب •
٢٩٥	• • • • •	هشام بن العاص السهمي •
٣١٥	• • • • •	أعمال الدكتور حسن حبشي •

تم الجزء الأول من قصة اسلام الصحابة
بعون الله المنان ، ويليه الثمانى
بإذن الله تعالى وأوله ،
قصة اسلام :
نوفل بن الحارث

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٤٦٤٩/٧٩٩٧

ISBN — 977 — 01 — 5160 — 2



يتناول هذا الجزء وما يتلوه باقية من الصحابة الكرام، وهو قائم على دراسة متأنية، ونظرة صحيحة وتفهم عميق فيما جاء بكتب السير والتراجم والمغازي مع الاستعانة بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ويمتاز الكتاب بسلسلة العبارة ودقة البحث والموضوعية، ويهدف الكتاب إلى تقديم الإسلام في صورته الحضارية النيرة.

والمؤلف الدكتور حسن حبشي من أعلام المؤرخين في العالم العربي وله دراسات تاريخية في العربية والإنجليزية ونشاط مطبوع في الترجمة ونشر التراث. وقد مارس التدريس الجامعي في مصر والعراق والسعودية وليبيا وإنجلترا، كما شارك في كثير من المؤتمرات المحلية والعالمية، كما شغل منصب المستشار الثقافي لمصر في باكستان أكثر من مرة.

تصميم الغلاف: صبرى عبد الواحد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب